

تصدير

من رسائل القديس كيرلس الأول بطريرك الإسكندرية

الحق يجعل نفسه واضحًا لأولئك الذين يحبونه، ولكني أظن أنه يخفي نفسه ويسعى إلى أن يحتجب عن أفكار الماكرين. فهم لا يظهرون أنفسهم مستحقين أن ينظروا الحق بروية واضحة^١.

فإن الله يحمي الذي ينادي بحقه، ولكنه يزعزع بشدة، قوة أعدائه ويلاشيها ويبطل خططهم حتى إنهم لا يصلون إلى الهدف الذي كانوا يتوقعونه^٢.

ولكن من جهة انتقاد عديمي التقوى، ومن جهة شتيمة كراهيتهم السابقة التي من ذلك النوع، فهذا قليل الأهمية بالنسبة لي. لأنهم إن كانوا قد دعوا ربنا ببعزلبول (مت ١٠: ٢٥)، إذن فلا يكون أمرًا جديدًا إن دعوني هكذا، وإن كانوا قد اضطهدوه هو، فكيف لا يضطهدوني أيضًا؟ ولكن في كل هذه الأمور نحن نغلب وأتعبنا تأتي بحصادها، أي أن محبة المسيح تزداد ونبلغ نحن إلى المجد غير الفاني... أما من جهة الناس الذين يضلون ويمدحون الهرطقة التي ظهرت في زماننا بواسطة نستوريوس لكي تمسك بالحمقى وتضلهم، فإني بالضرورة أيضًا وبحسب مقدرتي قد وضعت هذا البحث ضد تعليمه الزائف، كما هو واجب علي^٣.

^١ الرسالة الثانية إلى سوكينسوس، الرسالة رقم ٤٦، (فقرة ١)

^٢ الرسالة إلى الأسقف رابولا، الرسالة رقم ٧٤، (فقرة ٤)

^٣ المرجع السابق، (فقرة ٦، ٧)

لم أجد أعذب من كلمات القديس كيرلس الكبير هذه لكي أستهل بها كتابي هذا. وشعرت وأنا أقرأها وكأنه حاضر معنا، لأنه عاش أحداثاً مماثلة لما يجري في زماننا هذا من الافتراء عليه وعلى رسالته المقدسة.

لم أتصور أن الدكتور يوسف زيدان وهو يستضيفنا أكثر من مرة في مكتبة الإسكندرية، ثم وهو يزورنا في دير القديسة الشهيدة دميانة في البراري وتبادل الهدايا والمحاضرات وصور المخطوطات، أنه كان في نفس الوقت يكتب أبشع كتاب عرفته المسيحية، ويستخدم فيه ما قدمناه إليه من كتب ومراجع وشروحات كوسيلة لمهاجمة كنيستنا وعقيدتنا المسيحية الأرثوذكسية.

كنا نظن أننا سنساهم في إعادة أمجاد مكتبة الإسكندرية التي تغنى العالم بتاريخها العظيم كمنارة للعلم والفلسفة، ونعمل معاً بروح الود والحوار البناء في إقامة حوار الحضارات في محراب هذه المكتبة التي عادت إلى الوجود في عهد الرئيس المحبوب محمد حسني مبارك.

ولكننا أصبنا بخيبة أمل من رئيس قسم المخطوطات بهذه المكتبة؛ الذي وجدناه يبحث عن الشهرة والمال بشوق عنيف ضارباً بصدافتنا وبكل القيم التي تمنيناها عرض الحائط، من خلال مخطوط سرياني لا وجود له في عالم الواقع، اخترعه خياله الخصب ليفاجئنا به وهو يحمل كل هذا الكم من العداء لنا وكأن قبلاته كانت هي قبلات الموت لا قبلات الحياة... فواحسرتاه!!

ولكن كما قلنا منذ سنوات إن "الحق يتكلم حتى ولو صمت،
ويتكلم حتى ولو بدا أنه قد ضاع، لأن الحق لا يمكن أن يضيع".
لذلك نقدّم هذا الكتاب لكل محبي الحق والحقيقة ليكون شاهداً على
التاريخ، وعلى العصر.

عيد القيامة المجيد

١٩ إبريل سنة ٢٠٠٩م

بشوك

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانة ببراري بلقاس

وسكرتير المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

ووكيل عام الكلية الإكليريكية اللاهوتية بالإسكندرية

مقدمة

هذا الكتاب هو رد لاهوتي وتاريخي موثق بالبراهين المستندة إلى أقدم المخطوطات الحقيقية غير الزائفة. وذلك لتصحيح الأضاليل التي أوردها الدكتور يوسف زيدان في روايته "عزازيل"، والتي مزج فيها الأدب الروائي بالتاريخ والعقيدة والشرح اللاهوتي، بنفس الأسلوب الذي كتب به "دان براون" روايته المشهورة "شفرة دافنشي" وكسب من ورائها ملايين الدولارات.

وقد نشرنا في الولايات المتحدة الأمريكية ردًا على روايتي "دان براون" وهما رواية "ملائكة وشياطين" ورواية "شفرة دافنشي"، وذلك الرد هو باللغة الإنجليزية في كتاب اسمه "الكأس المقدسة الحقيقية" *"The Real Holy Grail"*. كما أننا قد قمنا بالرد عليه في برنامج "البيت بيتك" مع المذيع الصديق العزيز تامر بسيوني في التليفزيون المصري. وقدّمنا في تلك الحلقة التليفزيونية الوثائق التي تدحض ادعاءات "دان براون" في روايته "شفرة دافنشي"، والتي رفض مجلس الشعب المصري بقرار بالإجماع توزيعها في مصر بجميع اللغات، وكذلك رفض عرض الفيلم الشهير المبني على هذه الرواية الهدّامة.

وها نحن اليوم نواجه الحجة بالحجة في الرد على الأهداف الهدّامة في رواية الدكتور يوسف زيدان. ولن يجديه نفعًا الاحتجاج

المستمر بأن هذا نوع من الأدب الروائي الذي لا دخل لرجال الدين فيه، لأنه استخدم شخصيات حقيقية في تاريخ المسيحية وأقوالاً وأحداثاً، نسبها إليهم بقصد تشويه صورة وسُمة كنيسة الإسكندرية وعقائدها ودفاعها عن الإيمان المستقيم في المسيحية.

فمثلاً حينما ينسب إلى البابا القديس ألكسندروس التاسع عشر في عداد بطاركة الإسكندرية أنه قتل القس المبتدع آريوس بالسم، بينما الثابت تاريخياً أن البابا ألكسندروس قد توفي قبل آريوس بثمانية أعوام كاملة؛ فهل هذا نوع من الأدب الروائي؟! نحن ننتظر قليلاً من الخجل عند الدكتور يوسف زيدان أو عند من منحوه جائزة في الأدب العربي أو على الأقل عند القارئ العربي بعد أن يطلع على كتابنا هذا.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم معي في إعداد هذا الكتاب الشامل بكل ما فيه من بحوث تاريخية وفلسفية ووثائقية.

بشوك

عيد القيامة المجيد

رئيس دير القديسة دميانة بالبراري

١٩ إبريل سنة ٢٠٠٩م

تمهيد

تزيف حقبة من تاريخ مصر هو جريمة في حق مصرنا المحبوبة. فالتاريخ الذي زيّفه د. يوسف زيدان هو جزء من تاريخ المصريين كلهم في فترة زمنية قرابة الـ ٦٤٠ سنة قبل دخول العرب مصر، وليس تاريخ الأقباط المسيحيين وحدهم.

ما هو الهدف من رواية د. يوسف زيدان؟! هل معرفة جزء من تاريخ مصر كما أراده ورآه د. يوسف زيدان وصديقه في حلب نيافة المطران؛ الذي نكاد نرى بصماته في كل فصل من فصول الرواية، وربما في أغلب صفحاتها! أم أن الهدف هو تحطيم إيمان النفوس الضعيفة بإقناع القارئ البسيط أن السيد المسيح ليس هو الله الكلمة وأنه لم يتجسّد، والتشكيك في صلبه أيضًا. أم الهدف هو التقهقر بالمسيحية إلى البدعة النسطورية. أو ربما يكون الهدف هو تشويه العقيدة المسيحية بدرجة تكفي لاشمئزاز المسلمين منها، مما يمكن أن يسبب فتنة طائفية. أم أن الهدف هو تحطيم القيم الأخلاقية لهذا الشعب المصري سواء المسلم أو المسيحي، بالإثارة الجنسية وتعليم الفتيات والشباب كيفية ممارسة الخطية في أبشع صورها، كما عرضها د. يوسف زيدان في روايته باستفاضة انتقدها الكثيرون من ذوي الأخلاق الحميدة، الذين نشكر الله أن مصر لازالت عامرة بهم. ما هي الفائدة؟ هل لمجرد التسلية؟ نحن نحتكم

إلى الضمير المصري الأصل، هل يصح أو يليق أن نتخذ من الديانة المسيحية العريقة والكنيسة المصرية المجيدة مدعاة للتسلية والتزييف؟ ودعونا نتكلم بصراحة ونسأل، ماذا سيكون رد الفعل لو قام شخص ما بتأليف رواية تتناظر هذه الرواية وبنفس مستوى التزييف والتحايل (الذي يسميه د. زيدان إبداعاً أدبياً) ولكن بالنسبة للديانة الإسلامية؟ هل سيقبل أي مسلم غيور على ديانته، المساس بمعتقداته وتزييف تاريخ الإسلام والتشكيك في مَوْرُوثاته ومُسْلَمَاته، والإساءة إلى شخصيات قيادية يُكَنّ لها كل تقدير واحترام؟

ألا يمكن أن تشعل هذه الرواية الفتنة الطائفية في مصر ولو على مدى زمني طويل؟ فلنقرأ ما كتبه د. يحيى الجمل في نهاية مقالته لجريدة المصري اليوم في ٢٠٠٨/٧/٢١ على الصفحة ١٧:

ما الذي أراد هيبا أن يقوله في هذا الرق، أو ماذا يريد د. يوسف زيدان أن يقوله؟ هل من الممكن أن تبلغ الوحشية والقسوة والدونية بأبناء الرب هذا المدى الذي وصفه هيبا وترجمه د. يوسف زيدان؟ هل ممكن أن يدفع التدين مهما بلغ صاحبه من تعصب وجهل إلى هذا المدى من القسوة والوحشية؟ واتصور أن هذا المشهد (يقصد مقتل هيباتيا) في "عزازيل" د. يوسف زيدان يستحق أن نتوقف عنده، ونحاول أن نستكنه ما وراءه. وأن الذي وراءه لكثير.

ما رأيك عزيزي القارئ؟ ألا تُعد الرواية بهذا تصعيداً لشحن الضمير الإسلامي ضد المسيحية والمسيحيين؟

يتشدد د. يوسف زيدان بأن روايته لا يوجد بها أي خطأ على حد تعبيره، والحقيقة أنها مليئة بالأخطاء التاريخية واللاهوتية. وهذا ما سوف يقدمه لك هذا الكتاب.

يصرّح د. يوسف زيدان لوسائل الإعلام معترضاً على تدخل رجال الدين في نقد الرواية والاعتراض على ما بها من أخطاء، على الرغم من أن حرية النقد مكفولة للجميع. ويقول بصوت عالٍ ليهتم رجل الدين بمسئوليّاته الدينية ولا شأن له بالأدب. وهل سبق لنا التدخل في أدبه أو أدب غيره؟ ولكن الأمر الآن يختص بل ويمس قلب الديانة المسيحية، والحفاظ على الإيمان هو أولى مسئولياتنا. بل دعني أقول إنه هو الذي أقحم ذاته فيما لا يعنيه على الإطلاق. إذ أنه أديب كما يقول، فما هو شأنه باللاهوت المسيحي وحقائق وعقائد الدين المسيحي؟ لقد زجّ بنفسه في مجال ليس له بالمرّة أن يدخل فيه، وانتهك حرمة دين سماوي بالخداع والتزييف والتحريف.

فهل انتهت المواضيع التي يمكنه أن ينسج بخياله حولها رواية، حتى يكتب عن اللاهوت؛ الأمر الذي يصعب أحياناً على المسيحيين أنفسهم إلاّ المتخصصين الدارسين منهم؟!

لقد أخذ منا العجب مأخذاً عندما قال د. يوسف زيدان في برنامج "البيت بيتك" في التلفزيون، وبلهجة أسيفة إن الأخلاق في مجتمعنا قد تدهورت! كيف يقول هذا في الوقت الذي ينشر فيه هذا الفسق والفساد على عشرات الصفحات -من أقصر الطرق- في

رواية تمزج بين التشهير بالرهبة والطعن في العقيدة المسيحية والخروج عن الحياء! أية أخلاق هذه التي يتباكى عليها د. يوسف زيدان؟!

صرّح الدكتور زيدان لإحدى المجلات المعروفة^٤ بأنه يسمي ممارسة الجنس خارج الزواج " *الفعل الإنساني البديع* " ويطلق على المشاهد الجنسية الخارجة عن الحياء في روايته: " كانت تجسيداً للمفهوم العربي أي العلاقة التي يكتمل بها الوجود الإنساني بين الرجل والمرأة!! " وأنا أضع هاتين المقولتين أمام القارئ العزيز بلا تعليق. ولكنني فقط أتساءل هل تجيز الديانة العلاقات الجنسية خارج الزواج؟

وأذكر هنا أيضاً مقولة أخرى للدكتور زيدان لنفس المجلة:
" لا يوجد مقدس في ذاته إنما يُقدّس المقدس باعتقاد الجماعة في قداسته، لذا تجد ما هو مقدس هنا غير ما هو مقدس هناك. ولو كان مقدساً في ذاته لالتقت الإنسانية كلها على تقديسه".
وهنا أيضاً سأتركك عزيزي القارئ مع هذه الكلمات بدون تعليق مني.

وعلى الرغم من أنني كنت قد شرحت للدكتور زيدان موضوع الشرك عند نسطور وما هي عقيدته وما هو الفرق بين عقيدة نسطور وعقيدة القديس كيرلس إجابةً مني على سؤال له - كان ذلك عندما ذهبت إلى مكتبة الإسكندرية وألقيت محاضرة هناك باللغة

^٤ مجلة المصور في عددها ٤٤٠٧ في ١٢٥ | ١٣ | ٢٠٠٩، على صفحة ٥٢.

الإنجليزية بدعوة منه في مؤتمر دولي عن الاصطلاحات اللاهوتية
باللغات العبرية والآرامية (السريانية) واليونانية والعربية التي
دارت حولها خلافات في القرن الخامس الميلادي- وكنت قبلها قد
أهديته أيضاً كتباً من إصداراتنا عن المجمع المسكوني الثالث في
أفسس (٤٣١م) وعن الكنائس الآشورية النسطورية؛ تشرح
باستفاضة الشريك الذي ينادي به نسطور، أجده مستمراً في عملية
التضليل. وفي زيارته لدير الشهيذة دميانة بعد أن ألقى محاضراته
عن التصوف في الإسلام شرحت له أيضاً معنى قول السيد المسيح:
"لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَلْقِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأَلْقِي
سَلَامًا بَلْ سَيِّفًا" (مت ١٠ : ٣٤). فقد كان في بداية انتشار الإيمان
يحدث أن يؤمن الابن أو الابنة مثلاً بالمسيحية ولا يؤمن الأب الذي
يُسلّم أولاده للحاكم الوثني ليقتلهم أو يقتلهم أبوهم بنفسه. وهكذا
تسبب الإيمان بالسيد المسيح في سفك دماء الشهداء منذ بداية
المسيحية. ولدينا أمثلة كثيرة لذلك في تاريخ الشهداء. ويمكن أن
يفهم أيضاً السيف الذي قصده السيد المسيح على أنه سيف الإيمان
المستقيم الذي يفصل ذوي المعتقد القويم عن الهرطقة، حتى لو
كانوا أقاربهم أو أحياءهم. وقد ذكر القديس كيرلس هذا المعنى في
رسالته الثالثة إلى نسطور والموجود نصّها في ملحق رقم (١).
فكلام السيد المسيح يقصد به مثل هذه الظروف فقط.

فلأسف ينشر د. زيدان الأضاليل ليس عن جهل ولكن عن
معرفة، وذلك لتشبّثه بالرغبة في الطعن في العقيدة المسيحية.

وبينما هو يدّعي أن الرواية هي رواية أدبية ومن حق الأديب أن يُبدع كما يشاء هكذا بلا ضابط، نجده يُلقي محاضرة في مؤتمر القبطيات الدولي المُعقد بالقاهرة في الفترة ١٤-٢٠ سبتمبر ٢٠٠٨م، والمفروض أنها لا تدخل تحت المصنفات الأدبية، ولكنه هاجم فيها أيضًا العقيدة المسيحية. وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على إصراره على نشر أفكاره المضلّة والتي كشفت بوضوح عن كراهيته للديانة المسيحية سواء في رواية أو في بحث لمؤتمر علمي، مما يدل على خداعاته تحت ستار الأدب الروائي. ولدينا تسجيلاً صوتياً كاملاً للمحاضرة ونسخة مطبوعة منها.

والحقيقة لم يكن المنظمون الأجانب للمؤتمر موفّقين في دعوته لكي يهاجم العقيدة المسيحية من داخل الكاتدرائية!

وإليك بعض الملاحظات على مقتطفات من محاضرة الدكتور يوسف زيدان التي قدّمها في المؤتمر الدولي التاسع للدراسات القبطية الذي استضافته مؤسسة القديس مارمرقس للدراسات وعُقد في البطريركية بالقاهرة ١٤-٢٠ سبتمبر ٢٠٠٨م بعنوان "اللاهوت العربي قبل الإسلام وامتداده في علم الكلام". أرقام الصفحات من المحاضرة مطبوعة وقد أرسلها الدكتور زيدان بالبريد الإلكتروني لكل المشتركين في المؤتمر. والكلمات ما بين القوسين () هي من وضع الدكتور زيدان أيضًا:

في مهاجمته للعهد القديم

عاب في الله كما صوّره العهد القديم فقال:

١. "قدمت اليهودية صورة إشكالية للإله" {صفحات ٥ - ٨} "الله التوراتي" عنيفاً منتقماً من الناس لحساب اليهود - نشر الرعب بأرض مصر إرضاءً لشعبه المختار - يحتاج علامة بصرية يميز بها اليهود حتى لا يضربهم سهواً - يظهر في سفر التكوين حائراً وثائراً - غيور غضوب - له صفة الحزن والندم - جبار ثائر منتقم - نسي نوحاً ومن معه - يحب أن يُطاع - يستلذ برائحة الشواء - يندم على أفعاله السابقة - ينتابه القلق لأن الإنسان (آدم) أكل من شجرة المعرفة فصار عارفاً مثل الآلهة - يترصد أعمال البشر غيرة منهم وحنفاً عليهم - قلقاً، حسوداً، حقوداً، غضوباً، نادماً، ناسياً، منتشياً برائحة الشواء، مغلوباً.. وهي صفات إنسانية رديئة - الله التوراتي مخصوصٌ ببني إسرائيل - ملتصقٌ بالأرض لا بالسماء، فهو يعيش في (الخيمة) مع الإنسان ويشاركه وقائع حياته.

٢. مهاجمة قصة الطوفان: {صفحة ٥}، واعتبارها على حد تعبيره "ذات الأصل السومري".

٣. "استكمال المنظومة الدينية اليهودية لذاتها، اعتماداً على الديانتين اللاحقتين (المسيحية، الإسلام) بإدخال فكرة البعث أو القيامة وما يتعلق بها من (الأخرويات) التي خلت منها النصوص اليهودية المبكرة (التوراة، أسفار الأنبياء الكبار)

وتم إدخالها في النصوص اليهودية المتأخرة، كالمشناة والجمارا" {صفحة ٤}.

٤. "آدم أكل من شجرة المعرفة، فصار عارفاً مثل الآلهة - وليس الإله الواحد" {صفحة ٦}.

٥. "... مشكلة الخطية الأولى التي اقترفها آدم وورثها بنوه، الذين لم يشهدوا في واقع الأمر، هذا الخلق الأول، ولم يشتركوا في (الخطية) لكنهم تعرّضوا مع ذلك لغضب الله، من زاوية القدوسية الإلهية" {صفحة ٩}.

٦. "تاريخ البشرية كله، وفقاً للتوراة، لم يتعدَ حتى يومنا هذا ستة آلاف عام! مع أن مصر القديمة أقامت (الأهرامات) في هذا الوقت الذي تؤكد التوراة أن آدم عاش فيه سني عمره التسعمائة والثلاثين! ثم عاش.. شيث تسعمائة واثنيتي عشرة سنة.. و.. أنوش تسعمائة وخمس سنين و.. قينان تسعمائة وعشر سنين.. الخ، مع أن البشر في زمن ما قبل الحضارات، لم يتجاوز متوسط عمر الواحد منهم ثلاثين سنة" {صفحة ٨}.

{وللرد على هذه النقطة نقول إن الأهرامات لم تُبنَ منذ ستة آلاف عامًا بل أقل من ذلك بكثير، حيث إنها بنيت في عهد الأسرة الرابعة (سنفرو وخوفو وخفرع ومنكاورع، من ٢٥٦١ إلى ٢٤٥٠ ق.م) حسب تقسيم الكاهن المصري "مانيتون Manéthon" الذي كتب تاريخ مصر خلال حكم الملك "بطليموس الثاني"^٥.

^٥ باسكال فيرنوس وجان يويوت، ترجمة: د. محمود ماهر طه، موسوعة الفراعنة: الأسماء - الأماكن - الموضوعات، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٨٢، ٢٥.

وأيضاً إن مدة هذه الأعمار التي ذكرها متداخلة، كما يذكر لنا الكتاب المقدس: "عاش آدَمُ مِئَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ وَلِداً... وَدَعَا اسْمَهُ شِيثاً وَكَانَتْ أَيَّامُ آدَمَ بَعْدَ مَا وَلَدَ شِيثاً ثَمَانِي مِئَةً سَنَةً... وَعَاشَ شِيثُ مِئَةً وَخَمْسَ سِنِينَ وَوَلَدَ نُوشَ وَعَاشَ شِيثُ بَعْدَ مَا وَلَدَ نُوشَ ثَمَانِي مِئَةً وَسَبْعَ سِنِينَ... فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ شِيثَ تِسْعَ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَاتَ (تك ٥ : ٤ - ٨)".

وعن المسيحية قال في محاضراته بالنص:

- "صدم العرب المسيحية من قبل أن يصدماها الإسلام بقرون من الزمان، عن طريق هذه الرؤى اللاهوتية {يقصد الهرطقات} التي دارت من قريب أو من بعيد حول محور وحيد هو رفض ألوهية الإنسان" {صفحة ١٥}.
- "جاء الإسلام من قلب المنطقة العربية، منتصراً للرؤى {يقصد الهرطقات} المعارضة للإيمان الأرثوذكسي (القبطي، السرياني، الرومي) وأعلن الدين الإسلامي منذ بداياته الأولى، عبر عديد من الآيات القرآنية الحاسمة المحكمة عن قبوله التام للمسيحية كدين، ورفضه التام للقول (الزعم) بألوهية المسيح" {صفحة ١٩}.
- "قدمت المسيحية حلاً لهذه المشكلة {يقصد مشكلة الإله التوراتي الملتصق بالأرض} بأن أكدت وجود الله في الأرض، لتتوافق بذلك أولاً مع اليهودية، ثم رفعتة ثانية إلى

السماء... وكان المسيح هو صيغة الخلاص من مشكلة اندماج الله مع الإنسان واندرجه في الأرض" {صفحة ٩}.

- "امتزاج العروبة بالإسلامية وهو امتزاج بدأ بمقدمات واضحة أدت إلى نتائج محددة، أعني... أن القرآن عربيٌّ مبينٌ وأن الأئمة من قريش... ومن بعدها وقائع التاريخ الفعلي لدول الإسلام التي أبرزت العروبة في الإسلام مع أنه يطرح نفسه للناس كدين لكل البشر، بل هو (الدين) مطلقاً، بحكم: إن الدين عند الله الإسلام.. وقد أكد الإسلام، مبكراً، ارتباطه باللغة العربية على مستوى التمييز بين المؤمنين (المسلمين) والكفار (وأهل الكتاب)... {صفحة ٣}
- "(فتوى) الإمام ابن تيمية التي نصها:... وقول الجهم أشر من قول اليهود والنصارى، الذين حكم الله تعالى بكفرهم" {صفحة ٣٠}.

موقف الدكتور زيدان من الهرطقات والهرطقة وكنيسة الإسكندرية كما جاء في نفس المحاضرة في مؤتمر القبطيات بالبطريركية بالقاهرة:

يسمي الهرطقات "الاجتهادات الخاصة بطبيعة المسيح" {صفحة ١١} و"الرؤى اللاهوتية" أو "الرؤى" {صفحة ١٥ - صفحة ١٩}.

ويطلق الدكتور زيدان على الهرطوقي لقب "المفكر الكنسي" {صفحة ١٣-١٤} وقد التزم بوضع كلمة "هرطقة" دائماً بين قوسين كما تلاحظ {صفحات ١٤-١٧} وقد قال:

"إننا نستخدم كلمة (الهرطقة) لتمييز هذه الأفكار فحسب، فهي (هرطقات) بحسب ما تراه الكنيسة الأرثوذكسية بعامة والقبطية بخاصة" {صفحة ١١}.

تطابق أفكار الهرطقة مع العقلية العربية والإسلام لأنهم رفضوا ألوهية المسيح {صفحات ١٧-٢١} وتعارضها مع فكر كنيسة الإسكندرية:

- "إن العقلية العربية ذات الطبيعة العملية، لم يكن من السهل عليها قبول فكرة الألوهية للمسيح، لأسباب تاريخية ونفسية يطول شرحها.. إذ تصور العرب (الإله) دومًا، على أنه (مفارق) للبشر؛ ومن ثم كان يصعب عليهم قبول التطابق التام بين الآب والابن، أو الإيمان السكندري بالـ هو هو! أعني الإيمان الذي مهدت له طبيعة الثقافة الفرعونية التي سادت في مصر لزمان طويل، وعاشت في الإسكندرية الهيلينية عقودًا طويلة، أعني الإيمان بألوهية الحاكم" {صفحة ١٨}.

- "نسب المسلمون لآريوس (الهرطوقي) ما يفيد بأنه كان مقدمة من مقدمات الإسلام، وأعطوه اسمًا إسلاميًا هو عبد الله بن أريس" {صفحة ٢٠-٢١}.

لرد على هذه الأخطاء الكثيرة والافتراءات على الكتاب المقدس وما جاء فيه وتأويله تأويلًا مغلوطنًا ومُشوَّهًا، أوردنا دفاعات عن الكتاب المقدس في هذا الكتاب. ولكن الأمر يحتاج إلى الرجوع إلى كتاب آخر منفصل غير كتابنا هذا، مثل كتابنا بعنوان "الرد على الشكوك الموجهة إلى الكتاب المقدس".

ونعود إلى رواية عزازيل فنقدم ملخصاً لهذه الرواية -المبنية على

مخطوط خيالي- لكي نوفّر على القارئ مساوئ وأضرار قراءتها:

تبدأ الرواية بمقدمة مؤرخة في ٤-٤-٢٠٠٤، لمترجم الرقوق المكتوبة باللغة السريانية والتي أكتشفت قبل عشر سنوات في الخرائب الأثرية في الشمال الغربي من حلب. ويعود تاريخ كتابة هذه الرقوق إلى النصف الأول من القرن الخامس. يذكر المترجم أن كاتب الرقوق هو راهب مصري يدعى هيبا، وهو شخصية لا ذكر لها إلا في هذه الرقوق. بدأ هيبا الكتابة بناءً على إلحاح عزازيل، الذي اقترح عليه فترة اعتكاف لمدة أربعين يوماً يدوّن فيها ما قابله في حياته، وكانت هذه الأربعون يوماً هي آخر أيام قضاها في الدير الذي يقع شمال حلب، والذي وصل إليه بعد مجيئه من أورشليم. تبدأ الأحداث بأن أتى الراهب الطبيب هيبا من أخميم التي درس بها الفلسفة والطب، إلى الإسكندرية طلباً لمزيد من العلم. [كانت أمه مسيحية ولم يكن يحبها ووصفها بأوصاف ذميمة. أما أبوه فكان وثنيًا وكان هيبا يحبه ويتعاطف معه كثيرًا، وقد وصف مقتل أبيه على يد عوام المسيحيين بطريقة بشعة حين كان هيبا في التاسعة من عمره. بعد ذلك تزوجت أمه بأحد قاتلي أبيه، وأما هو فتربى عند عمه]. في الإسكندرية تقابل مع أوكتافيا الوثنية وقضى معها ثلاث ليالٍ في علاقة خاطئة. تعرّف بعد ذلك بهيباتيا الفيلسوفة الوثنية الجميلة وأحبها جدًا ولكن لم يمهلها الوقت فقد قُتلت بأيدي المسيحيين بقيادة بطرس القارئ. وقد أفاض جدًا في وصف بشاعة مقتلها مدّعيًا أنه نتيجة لتحريض وتشجيع الأسقف كيرلس، الذي بالغ هيبا في وصفه بأبشع الصفات. على أثر صدمة هيبا العنيفة لمقتل هيباتيا، نزع صليبه وألقاه إلى الأرض وهجر الإسكندرية ١٥٤م بعد أن قضى فيها حوالي ٧ سنوات، إلى فلسطين حيث قضى ٣ سنوات، ثم استقرّ في أورشليم لمدة ٦ سنوات تقريبًا، وتقابل خلالها مع القس نسطور والأسقف ثيودور المصيصي عند مجيئهم للحج في أورشليم. أحب هيبا نسطور حبًا جمًا وصارت بينهما علاقة حميمة، وشجعه نسطور على الذهاب إلى حلب؛ فكتب له توصية ليسكن في الدير المذكور في شمال حلب حيث قضى حوالي ٧ سنوات (٤٢٤-٤٣١م)، زاره خلالها نسطور مرة قبيل رسامته أسقفًا، وزار هو نسطور بالقسطنطينية بعد أن صار أسقفًا. بدأ عزازيل محاوراته لهيبا أثناء فترة غيبوبة تعرّض لها لمدة ٢٠ يومًا أثناء وجوده في هذا الدير. وفيه تعرّف بمرتا المسيحية المطلقة وأخطأ معها. وانتهت إقامته بالدير بالأربعين يومًا التي ذكرناها. من شخصيات هذا الدير راهب يُسمى بالفريسي الأقنوم يشتهر بعد توبته بالحرص من النساء والتدقيق في حياته. بعد انتهاء هيبا من كتابة الرقوق، دفنها عند بوابة الدير وهجره بلا رجعة، حرًا (على حد تعبيره) والمقصود بالطبع أنه تحرر من قيود الدين والرهينة سعيًا وراء النساء متشبهًا بالحمام الجبلي!!

* * *

الباب الأول

الأخطاء التاريخية

الفصل الأول

- لقاء آريوس مع اسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية
- موت آريوس مسموماً
- إسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية هو الذي دبر قتل آريوس

الفصل الثاني

- التزييف في أحداث مجمع نيقية
 - ترأس الإمبراطور المجمع وأملى قراراته على الحاضرين
 - الإمبراطور هو الذي حرم آريوس وحكم بهرطقته
 - قسطنطين لم يكن يعرف اليونانية
- حرق قسطنطين لكل الأناجيل ماعدا الأربعة المشهورة
- انتصرت الإسكندرية في مجمع أنطاكية ٣٤٢ م
- الملكة هيلانة في بدايتها ساقية في مواخير الرها

الفصل الثالث

- ثيوفيلس أسقف الإسكندرية يهدم معبد سيرابيوم على رؤوس الوثنيين الذين فيه

الفصل الرابع

- تحريض القديس كيرلس الشعب على قتل هيبياتيا
- جماعة محبي الآلام ومقتل جورج الكبادوكي الآريوسي
- بطرس القارئ صار فيما بعد أسقفًا باسم مونجوس

الفصل الخامس

- الرد على الهجوم على القديس كيرلس الكبير، ملامح شخصية القديس كيرلس

الفصل السادس

- التزييف في أحداث مجمع أفسس
 - حضور الإمبراطور ورئاسته للمجمع
 - حضور بابا روما للمجمع
 - صياغة قانون إيمان جديد وإضافات على قانون نيقية
 - عقد المجمع قبل وصول الإمبراطور
- هيبا الرهاوي والقديس رابولا الرهاوي

الفصل السابع

- خربَ المسيحيون الإسكندرية وقتلوا اليهود والوثنيين بعد وفاة القديس كيرلس
- تشويه صورة المسيحيين والتعاطف مع الوثنيين
- تصوير رجال الدين الأقباط بصورة مُنفرة
- المبالغة في مديح نسطور على طول الرواية

الفصل الثامن

- يوحنا المعمدان ابن خالة السيد المسيح
- أسفار موسى الخمسة لم تُدوّن إلا بعد السبي
- التشكيك في مجئ العائلة المقدسة إلى مصر

الفصل التاسع

- تشويه صورة الرهبنة واعتبارها بدعة
- رهبنة النساء بدعة

الفصل العاشر

- القديس ديمتريوس أذاق أوريجانوس كؤوس المرار
- طاطيان كان وثنيًا

الفصل الأول

هل التقى آريوس مع إسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية؟

يخلط د. يوسف زيدان بين ألكسندروس أسقف الإسكندرية الذي تنجح سنة ٣٢٨م^٦، وألكسندروس أسقف القسطنطينية الذي عاصر واقعة موت آريوس سنة ٣٣٦م حسب ما ذكر هو نفسه في الرواية. فكتب في روايته ص ٥٥،٥٤:

نسطور: في اليوم السابق على لقائه المرتقب مع الإمبراطور وأسقف الإسكندرية، كان آريوس يسير ساعة الظهر مع جماعة، فدهمه مغص مفاجيء لا مقدمات له، وانتحى عن الطريق ليلبي نداء الطبيعة، فنزل منه دم كثير وقطع من لحم البطن وأجزاء الأمعاء.. ومات ميتة مخجلة، إذ سقط فوق ما نزل من بطنه. كان ذلك في يوم سبت من أيام العام السادس بعد الثلاثين وثلاثمائة للميلاد، قبيل الغروب.

وفي موضع آخر من الرواية ص ٢٥٣:

⁶ Margaret M. Mitchell and Frances M. Young, eds, *The Cambridge History of Christianity* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), p. 565; *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Alexander of Alexandria" p. 20 ; Johannes Quasten, *Patrology*, vol. 3 (Westminster, Maryland & Texas: Christian Classics, 1950-1960), p. 14; *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Alexander of Alexandria (d. 328)" p. 30.

هيبيا: استدرج الإسكندرانيون الراهب آريوس إلى القسطنطينية من منفاه ببلاد القوط (إسبانيا) بعدما كان قد استقر هادئاً هائئاً بأقصى العالم. استدرجوه، بعدما حرموه وعزلوه ومثلوا بسمعته. لم يرضوا له أن يموت في سلام. ولما انخدع وذهب ليلتقي بالأسقف إسكندر في بلاط قسطنطين الإمبراطور، أملاً في الوفاق وحلّ النزاع اللاهوتي الذي أغضب الإسكندرية، لقي آريوس مصيره المفجع ومات مسموماً. ولم يكن أسقف الإسكندرية أيامها بمثل قوة أسقفها اليوم، ولا كان آريوس مسكيناً مثلي!.

هكذا يتضح أن إسكندر أسقف الإسكندرية قد توفي قبل وفاة آريوس بثمان سنوات. فكيف يقتل آريوس بعد وفاته هو واعتلاء أثناسيوس كرسي الإسكندرية من بعده في نفس العام وهو عام ٣٢٨م. كما أن أثناسيوس نفسه كان منفياً عند وفاة آريوس.

* * *

هل مات آريوس مسموماً؟ هل إسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية هو الذي دبر قتل آريوس مسموماً؟

ونأتي إلى خطأ تاريخي آخر ذكره الدكتور زيدان، وهو أنه جاء على لسان نسطور في الرواية أن آريوس قد مات مسموماً وأن قسطنطين ارتضى باغتيال آريوس.

ص ٥٣ نسطور: لقد ضيَّع الإمبراطور قسطنطين قديماً، حكمة آريوس.. مثلما تضيع اليوم على يد الجهلة الذين يزعمون أنهم أتباعه، ويتخذونه مدخلاً للهرطقة ونقض الديانة. إن الآريوسيين الذين يملأون اليوم البلاد من حولنا، يجنون على آريوس مثلما جنى عليه الإمبراطور قسطنطين قبل مائة عام، وارتضى باغتياله في وضح النهار.

ص ٥٤ نسطور: اکتوى (يقصد آريوس) بنيران الإسكندرية ياهيباً.. ولما دعاه الإمبراطور من منفاه الطويل بأرض القوط، ليوفّق، قسراً، بينه وبين أسقف الإسكندرية كي يضمن هدوء الحال ويُرضي المدينة العظمى؛ تمّ اغتياله بالسّم. هيباً: مات مسموماً!

ص ٢٥٣ نسطور: لم يرضوا له أن يموت في سلام. ولما انخدع وذهب ليلتقي بالأسقف إسكندر في بلاط قسطنطين الإمبراطور، أملاً في الوفاق وحل النزاع اللاهوتي الذي أغضب الإسكندرية، لقي آريوس مصيره المفجع ومات مسموماً.

سوف نسرد هنا هذا الحدث التاريخي الهام كما أوردته أشهر المراجع الأجنبية المَعَوَّل عليها علمياً وعالمياً فيما يخص التاريخ

الكنسي، بالإضافة إلى ما ذكره المؤرخون الأنطاكيون الثقة أنفسهم. ثم ناقش بعد ذلك ما جاء بالرواية من زور وبهتان وتزييف للتاريخ.

بمجرد استبعاد القديس أثناسيوس، تم استقبال آريوس بشكل صوري وكئيّب، وكان بالفعل في طريقه من مجمع بأورشليم إلى الإسكندرية، وقد زادت آماله بسبب خلو كرسي الكرازة، ولكن كان الشعب حزيناً جداً بسبب وصوله وأيضاً بسبب نفي أثناسيوس⁷. ولذلك ظهرت مشاكل كبيرة، ولهذا السبب استدعى الإمبراطور آريوس إلى القسطنطينية، وذلك إما -كما يذكر سقراط⁸- لكي يحاسبه على الثورات التي تحدث في الإسكندرية، أو أن اليوسابيين كانوا قد خططوا أن يوقعوا تأثيراً في قبول الهرطوقي في القسطنطينية. وإذا لم يكن ألكسندر أسقف تلك الإيبارشية يميل بأي حال إلى رغبتهم، لذلك فقد دبّروا أن يستدعي قسطنطين آريوس أمامه. فاختبر قسطنطين إيمان آريوس مرة أخرى وجعله يوقع صيغة إيمان أرثوذكسي، وأقسم آريوس أن العقيدة التي بسببها قد تم حرمة منذ أكثر من عشر سنوات من قبل ألكسندر أسقف الإسكندرية لم تكن له. ولكن الإمبراطور لدى انصراف آريوس قال: "لو أن إيمانك كان صحيحاً، فقد أقسمتَ حسناً، وإن كان باطلاً فليحكم الله عليك بحسب تجديفك!"⁹.

⁷ Charles Joseph Hefele, *A History of the Councils of the Church: A.D. 326 to A.D. 429*, vol. 2 (Edinburgh: T. & T. Clark, 1896), pp. 32, 33.

⁸ Soc. H.E. i. 37., quoted in Hefele, vol. 2, pp. 32, 33.

⁹ Hefele, vol. 2, p. 33.

وعلى ذلك، فإن قسطنطين تحت ضغط اليوسابيين، قد أعطى أمراً لأسقف القسطنطينية بقبول آريوس في شركة الكنيسة، وقد هدّد اليوسابيون الأسقف بالطرد والنفي؛ إذا أبدى اعتراضاً. وأعلنوا أنهم في اليوم التالي (الموافق السبت) -سواء شاء أم أبى- سيحتفلون بالخدمة الإلهية مع آريوس. وأدرك الأسقف ألكسندر أنه لا معين له في هذه المحنة سوى الصلاة، فذهب إلى كنيسة القديسة إيريني St. Irene" وصلى إلى الله قائلاً:

"دعني أموت قبل أن يأتي آريوس إلى الكنيسة، ولكن إن شئت أن تشفق على كنيستك، فامنع هذه الجريمة، أن لا تدخل الهرطقة إلى الكنيسة مع آريوس!"¹⁰.

يذكر قداسة البطريرك الأنطاكي المنتيخ مار إغناطيوس يعقوب الثالث (مار سويريوس يعقوب توما مطران بيروت من قبل) في كتابه "تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية" أنه في الوقت نفسه اقترح مار يعقوب أسقف نصيبين السرياني -الذي وُجد في القسطنطينية في ذلك الحين- على مؤمني القسطنطينية أن يصوموا سبعة أيام من أجل أسقفهم، ففعلوا¹¹.

وبعدها بساعات قليلة، وفي مساء السبت نفسه، ذهب آريوس مع حراسة كبيرة عبر المدينة، وعندما اقترب إلى بلاط قسطنطين،

¹⁰ Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 2, p. 33.

¹¹ Henry Wace and William C. Piercy, eds, *A Dictionary of Christian Biography* (Massachusetts: Hendrickson, 1994), p. 549.

راجع: سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، ج ١، بيروت ١٩٥٣، ص ٢١٨.

اضطر أن ينزوي في مرحاض ليلبي نداء الطبيعة، وهناك مات فجأة بسبب انسكاب أحشائه، وذلك في سنة ٣٣٦م، وشهد الكثيرون موته كعقاب من السماء^{١٢}. ولم يذكر أي من المؤرخين أن أسقف القسطنطينية له أية علاقة مادية بموته. لكن من الواضح أن صلواته وصلوات المؤمنين كانت هي الفاعلة. وقد أجمع أغلب المؤرخين على أن موت آريوس بهذه الطريقة كان معجزة إلهية. وهذا ليس بغريب على كنيستنا (أقصد هذا التدخل الإلهي بصورة معجزية) ويذكر لنا التاريخ أمثلة عديدة.

ويذكر المؤرخ سوزومين (أرّخ للفترة ما بين ٣٢٤ و ٤٣٩م وقد دوّن ما كتبه ما بين ٤٣٩ و ٤٥٠م) مقالة عن موت آريوس كتبها القديس أثناسيوس يقول فيها:

"كان الرب هو القاضي، وأعلن ذاته ضد الظلم؛ وأن آريوس "فقد استعادة الشركة وحياته معاً في آن واحد"^{١٣}.
كما يذكر سقراط الذي عاش من (٣٨٠ - ٤٥٠م) بعد أن وصف الطريقة البشعة التي مات بها آريوس كما ذكرناها، يعلّق قائلاً:
"إن موضع هذه المأساة (الفاجعة) ما زال يُشاهد في القسطنطينية، كما ذكرت، خلف الخرائب في صف الأشجار: ولأن الناس يشيرون بالأصبع على المكان،

¹² Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 2, p. 34.

¹³ *Soz. H.E. ii. 30.*, vol. 2 of *Nicene and Post-Nicene Fathers*, Second Series (NPNF, 2nd ser.) (Massachusetts: Hendrickon, 1995), p. 280.

فهناك ذكرى دائمة محفوظة لذلك النوع غير العادي من الموت^{١٤}.

وهكذا نرى مدى التزييف الذي استعمله د. زيدان في هذه الرواية، وما زالت هناك بقية. ربما لا يعرف الدكتور زيدان أن الآريوسية كانت قوية جدًا في ذلك الزمان وكان عدد كبير من الأساقفة قد اعتنقوا الآريوسية بالفعل. وقد عقدوا عدة مجامع آريوسية. ومما يدل على ذلك، هو كيف أنهم أثَّروا على الإمبراطور نفسه لكي يضغط على ألكسندروس أسقف القسطنطينية (إسكندر كما يسميه د. زيدان) ليقبل آريوس في الشركة، وتدخل الله في الوقت المناسب كما يفعل دائماً. وقد كان الإمبراطور يسعى إلى الصلح وليس لأن يُغتال آريوس كما ذكر د. زيدان في الرواية.

¹⁴ Soc. H.E. i. 38., vol. 2 of *Nicene and Post-Nicene Fathers*, Second Series (NPNF, 2nd ser.) (Massachusetts: Hendrickon, 1995), p. 35.

الفصل الثاني

التزييف في أحداث مجمع نيقية

هل ترأس الإمبراطور مجمع نيقية وأملى على الحاضرين قراراته؟

ص ٤٩ هيبا: ... بعد مائة عام فقط على المجمع الكنسي العالمي (المسكوني) الذي رأسه هذا الإمبراطور.

ص ٥٢ نسطور: الحقيقة يا هيبا، أنَّ الأمر كله تلبيسٌ. فإيليس هو المحرك الرئيسي لكل ما جرى قبل مائة عام في مجمع نيقية. أعني بإيليس، شيطان السلطة الزمانية التي تغلب سكرتها الناس، فينازعون الرب في سلطانه، ويتمزعون فيما بينهم، فيفشلون وتذهب ريحهم بددا. تغلبهم أهواؤهم، فيتحامقون ويخالفون روح الديانة، سعياً لإملاك حطام الدنيا الفانية.. ما جرى يا هيبا في نيقية باطلٌ من تحته باطل، ومن فوقه باطل. فالإمبراطور قسطنطين كان متعجلاً لإعلان ولايته على أهل الصليب، حتى أنه لم يصبر على دعوته المسكونية للمجمع، إلى حين اكتمال مدينته الجديدة القسطنطينية، فعقد المجمع في القرية المجاورة نيقية التي كانت، لسوء اختيار موضعها تسمى أيامها: مدينة العميان! وقبلها بعام واحد، كان الإمبراطور يقضي حياته مشغولاً بأمر وحيد، هو تثبيت سلطانه بالحرب ضد قدامى رفاقه العسكريين. ولما انتهى من حروبه إلى الظفر بهم، أراد الظفر بالولاية الدينية على رعاياه، فدعا كل

رؤوس الكنائس للمجمع المسكوني، وأدار جلساته وتدخل في الحوار اللاهوتي، ثم أُملي على الحاضرين من الأساقفة والقسوس القرارات. مع أنه، فيما أظن، لم يقرأ كتاباً واحداً في اللاهوت المسيحي!

مجمع نيقية المسكوني الأول هو أحد الثلاثة مجامع المسكونية التي يؤمن بها كل المسيحيين على اختلاف طوائفهم. وقد اتفق الآباء في هذا المجمع على صيغة قانون إيمان موحد لكل المسيحيين، فيه تأكيد على ألوهية السيد المسيح ومساواته للآب في الجوهر والأزلية، وهذا أساس المسيحية. وكان عددهم ٣١٨، وقّعوا جميعاً على قانون الإيمان ما عدا اثنين فقط. فبأي حق يصفه د. زيدان بهذه الأوصاف الذميمة التي لم نسمعها من قبل؟!!

دعا الإمبراطور جميع أساقفة العالم لحضور هذا المجمع لحل النزاع الأريوسي، ومن أجل توحيد ميعاد الاحتفال بعيد الفصح. وهذا الأمر صار مألوفاً في الكنيسة فيما بعد، فالمجامع المسكونية التي عُقدت بعد ذلك كانت كلها بدعوة من الأباطرة بمرسوم منهم، ولم يكن هناك أية معارضة من أحد، كما لم يعتبر أحد ذلك تعدياً من السلطة المدنية على السلطة الكنسية، لا بل اعتبروها دعماً وسنداً لهم^{١٥}. وحسب Ferguson في "موسوعة المسيحية المبكرة" *Encyclopedia of Early Christianity*

^{١٥} الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، المجمع المسكوني الأول نيقية الأول (٣٢٥)، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١٤٧

"حضر الإمبراطور المجمع ولكنه سمح لأساقفة الشرق أن يترأسوه"^{١٦}.

عندما دخل الإمبراطور وقف في الوسط ولم يجلس إلا بعد أن أعطوه الأساقفة إشارة تعبر عن رغبتهم في أن يجلس. وهنا يتضح إلى أي مدى قدم الإمبراطور الاحترام والتكريم لأولئك الأساقفة^{١٧}.

ويذكر المؤرخ Philip Schaff في كتابه المشهور History of the Christian Church نفس الوصف السابق، ويضيف مقارنة بين مشاعر الكنيسة تجاه الإمبراطور في زمن الاستشهاد القريب، ومشاعرهم الآن وهم ينظرون إلى قسطنطين وكأنه ملاك من السماء، وقد كرموه بالرئاسة الشرفية للمجمع رغم أنه لم يكن قد تعمد بعد^{١٨}. ولكنه رغم ذلك كان يعيش مسيحياً.

وكما يذكر شاف Philip Schaff فإن الإمبراطور بعد أن ألقى خطابه أخلى الطريق للرؤساء الكنسيين للمجمع وبدأ المجمع العمل^{١٩}.

¹⁶ Encyclopedia of Early Christianity, 2nd ed., s.v. "Constantine the Great (ca. 285-337" p. 280.

^{١٧} الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، المجمع المسكوني الأول نيقية (٣٢٥)، ص ١٥٥. &

Soc. i. 8, vol. 2 of NPNF, 2nd ser., p. 9

¹⁸ Phillip Schaff, History of the Christian Church, vol. 3, (Michigan: Eerdmans Publishing, 1910), p. 625

¹⁹ Schaff, vol. 3, p. 626.

يذكر لنا أيضًا هيفيلي Hefele^{٢٠} ما يلي:

أفسح الإمبراطور المجال لرؤساء المجمع. وقد افتتح الإمبراطور المجمع كنوع من الرئاسة الشرفية، واستمر حاضراً؛ ولكن إدارة المناقشات اللاهوتية، والكلام بحق، كانت بالطبع هي شأن القادة الكنسيين للمجمع، وقد تركت لهم.

وعلى الرغم من حضور الإمبراطور المجمع، ورئاسته الشرفية فقط له، لكنه لم يكن له حق التصويت، مما يكفل للمجمع استقلاليته^{٢١}. وقد انضم الإمبراطور فوراً إلى الرأي العام ووافق على قانون الإيمان المعروف، عندما لاحظ إجماع الآباء على صيغة قانون الإيمان هذا. واعتبر أن ما وافق عليه هذا العدد الكبير من الأساقفة هو موحى به ومُصدّق عليه من الله، ولا يجوز بأية حال الحيدان عنه^{٢٢}. وطالب المجمع الإمبراطور، بعد إدانة آريوس، بحرق كتب هذا المبتدع فنفذ قسطنطين مطلبهم^{٢٣}.

يذكر المؤرخ سقراط^{٢٤} (٣٨٠-٤٥٠م) إن بعض الأساقفة قد رأوا أنها فرصة لكي يقدم كل منهم للإمبراطور، ما يلوم به

²⁰ Charles Joseph Hefele, *A History of the Christian Councils: To the Close of the Council of Nicaea: A.D. 325* (Edinburgh: T. & T. Clark, 1894), p. 281.

²¹ Leo Donald Davis, *The First Seven Ecumenical Councils: (325-787): Their History and Theology* (Minnesota: Liturgical Press, 1983), p. 57; &

الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، *المجمع المسكوني الأول نيقية الأول* (٣٢٥) ص ١٦٠

²² Soz. i. 20., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 255.

^{٢٣} الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، ص ١٦١.

²⁴ Soc. i. 8., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 9; &

الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، ص ١٥٤.

الآخر في أمور بعيدة عن القضية الأساسية التي هي هرطقة أريوس، فكتب كل منهم ما يريد وحدد لهم الإمبراطور يوماً ليقدم كل منهم اتهاماته. وفي اليوم المحدد استلم منهم هذه الرسائل الموجهة إليه وقال للجميع: "إن لهذه الاتهامات يوماً مناسباً هو يوم الدينونة العامة، وسيقضي فيها ذاك الذي سيحاكم الجميع. أما أنا، فلست سوى إنسان، ومن غير المسموح به أن أستمع لمثل هذه الأمور، خصوصاً أن المتهمين ومتهميهم أساقفة... ولتُحَ كل هذه الاتهامات بالمسامحة المتبادلة ولنعمل جميعاً من أجل الإيمان لهذا السبب نحن مجتمعون هنا". ثم أحرق الشكاوي أمامهم.

انعقد في أنطاكية مجمعاً في بداية عام ٣٢٥م^{٢٥} (أي قبل انعقاد المجمع المسكوني بنيقية في حوالي منتصف العام) لانتخاب أسقف لهذه المدينة، فاجتمع ٥٦ أسقفًا. وبعد انتخاب أوسطاثيوس أسقفًا لأنطاكية، ناقش الأساقفة المجتمعون هرطقة أريوس واكتشفوا بل وتأكّدوا من تعارضها وابتعادها عن تعاليم الكتاب المقدس، وخروجها عن التقليد الكنسي الرسولي واللاهوتي. فطالبت الأغلبية بإدانة أريوس للمحافظة على وديعة الإيمان سالمة صحيحة. ووقع الجميع على حرم أريوس ما عدا يوسابيوس القيصري وأسقفين آخرين. وهكذا نرى أن الآباء كانوا قد تأكّدوا من فساد رأي أريوس حتى قبل انعقاد المجمع

^{٢٥} الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، المجمع المسكوني الأول بنيقية الأول (٣٢٥)، ص ١٤٨

وفي غياب الإمبراطور. ولكن في نيقية ناقشوا آريوس وجادلوه وشرحوا له الإيمان المستقيم، وأعطوه فرصة لكي يتراجع ولكنه أصرّ على رأيه الفاسد، فحرموه وكل من يقول بقوله وقدموا صيغة أرثوذكسية لقانون إيمان تلتزم به كل كنائس المسكونة. ونذكر أيضاً ما جاء في كتاب "تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية"، وفي كتاب "المجمع المسكوني الأول، نيقية الأول (٣٢٥)"^{٢٦}:

ثم نهض قسطنطين ورمق الجميع بعين البشاشة ولفظ بصوته العذب خطاباً ممتعاً... فيه حثّ الجميع على السلام والوئام، مُخَوِّلاً إياهم السلطة الشرعية للبت في القضايا المُخْتَلَف عليها، وذلك بتسليمه إليهم خاتمه وصولجانه وسيفه قائلاً إنه أعطاهم سلطاناً على الكنيسة والمملكة كلها، ليفعلوا ما يرونه ملائماً لنصرة الدين وبنيان المؤمنين.

ولكي ندلل على تقدير نسطور لمجمع نيقية ودفاعه عن قانون إيمان نيقية؛ نلاحظ في أعمال مجمع أفسس ٤٣١م، أن المجمع المضاد برئاسة يوحنا الأنطاكي، الذي كان في ذلك الوقت موالياً لنسطور، قد اتهم المجمع الأصلي، خطأً، من ضمن عدة اتهامات زائفة، بالآريوسية والانحراف عن الإيمان النيقاوي. مما يدل على احترام

^{٢٦} سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، ج ١، بيروت ١٩٥٣، ص ١٩٧. & الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، المجمع المسكوني الأول نيقية الأول (٣٢٥)، ص ١٥٠، ١٥١ (حاشية).

نسطور وتقديره لمجمع نيقية ولقوانينه، سواء قانون الإيمان أو حرم أريوس، واعتباره الأريوسية هرطقة يتهم بها خصومه (المستقيمي الإيمان في الحقيقة، ونحن بالطبع لا نوافق نسطور على اتهامه القديس كيرلس بالهرطقة ولا نوافق على ما ذكره هنا ولكننا فقط أردنا أن نعرّف القارئ برأي نسطور في الأريوسية وفي قانون الإيمان النيقاوي عكس ما ذكره د. زيدان). ونذكر هنا ما قاله هيفيلي Hefele بهذا الخصوص:

... وقد وافق الاجتماع (مجمع الأنطاكيين [المضاد]) على هذا الاقتراح، ثم أعلن يوحنا الحكم بالطريقة التالية: "يعلن المجمع المقدس المجتمع في أفسس [يقصد المجمع المضاد] ... لأنكم عقدتم اجتماعاً منفصلاً [هو المجمع الأصلي المسكوني المستقيم الإيمان] له ميل هرطوقي وقح وعنيد.... وملاّتم المدينة والمجمع المقدس بالبلبلّة، لكي تمنعوا فحص هرطقاتكم الأبولينارية والأريوسية والإفنومية، فلتكونوا مقطوعين من الشركة حتى تتركوا خطاكم وتتصلحوا وتقبلوا من جديد الإيمان النيقاوي (كما لو كانوا هم أنفسهم خاضعين له!) بدون أية إضافات غريبة"^{٢٧}.

* * *

²⁷ Mansi, t.iv.p.1259 sqq.; Hardouin, t.i.p.1447 sq, Fuchs, l.c. Bd. iv.S.92 ff. quoted in Hefele, vol. 3, p. 57.

هل كان الإمبراطور قسطنطين لا يعرف اللغة اليونانية؟

ص ٥٢ نسطور: فالإمبراطور قسطنطين... لم يكن يعرف اللغة
اليونانية التي كان يحتدم بها الحوار اللاهوتي بين الأساقفة في نيقية.

تذكر المراجع أن قسطنطين كانت له دراية باللغة اليونانية^{٢٨}.
على غير ما قاله د. زيدان على لسان نسطور من أنه يجهلها.

* * *

هل الإمبراطور هو الذي حرم آريوس وتعاليمه وحكم بهرطقته ليرضي إسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية

٥٣ نسطور: ثم انتصر الإمبراطور للأسقف إسكندر ليضمن قمع
مصر ومحصول العنب السنوي، وحرّم الراهب آريوس، وحرّم تعاليمه،
وحكم بهرطقته كي يرضي الأغلبية من الرعية، ويصير بذلك نصير
المسيحية...

كنسياً ليس من سلطة الإمبراطور أن يحرم أحداً. فقد أعطى الله
سلطان الحل والربط للكهنة ورؤسائهم فقط، ولكن الإمبراطور
يؤيد الحرم. فكما أوضحنا سلفاً أن الذي حرم آريوس هم

²⁸ Soc. i. 8., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 9; Soz. i. 20., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 255. & ١٦٠ ص
الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب،

الأساقفة المجتمعون في نيقية وكان عددهم ٣١٨. وانحاز الإمبراطور إلى الرأي العام الذي وافق عليه ٣١٦ أسقفًا في البداية ثم أجمع عليه الكل. وقد أصدروا حرمهم بعد أن ناقشوا آريوس وأوضحوا له خطأه. ولكنه أصرَّ عليه فحرموه وكل من يقول بقوله. ونذكر هنا نص الحرم الذي ذُيل به قانون الإيمان النيقاوي الذي أصدره المجمع:

"وكل من يقول إنه كان هناك وقت لم يكن فيه ابن الله، أو إنه لم يكن موجودًا قبل ولادته، أو إنه مخلوق (made) من أشياء لم تكن موجودة (أي من العدم)، أو إنه من جوهر مختلف عن جوهر الآب، أو إنه مخلوق، أو إنه قابل للتغير أو التحول، كل من يقول ذلك تحرّمه الكنيسة الجامعة الرسولية"^{٢٩}.

ويتضح من ذلك أن

"الحرم الأخيرة للقانون تهاجم مباشرة الافتراضات الأريوسية.... الحرم الأخير مُوجّه ضد عقيدة آريوس في أن الابن كمخلوق، هو قابل للتغير ويبقى ثابتًا في الفضيلة بتدريب الإرادة"^{٣٠}.

وتأكيدًا لنفس المعنى نذكر ما جاء في الرسالة المجمعية التي أرسلها المجمع لكنيسة الإسكندرية:

²⁹ Vol. 14 of *NPNF*, 2nd ser., p. 3; Hefele, *A History of the Christian Councils*, pp. 294, 295.

³⁰ Davis, *The First Seven Ecumenical Councils*, pp. 60, 62, 63.

١- إلى الكنيسة المقدسة والعظيمة -بنعمة الله- التي للإسكندريين، وإلى أخوتنا الأحباء في كل مصر وليبيا والخمس مدن الغربية، يرسل الأساقفة المجتمعون في نيقية، الذين يؤلفون المجمع العظيم المقدس، تحياتهم في الرب.

٣- في المكان الأول أُختبر الإثم وعدم التقوى اللذان لآريوس ومسانديه. وقد تقرر بإجماع الحاضرين أن آراءه الكفرية لابد أن تُحرم مع كل تعبيراته التجديفية. التي استعملها لتأكيد أن ابن الله خرج من لا شيء. وأنه كان هناك وقت لم يكن فيه الابن، وأن ابن الله لأنه يملك حرية الإرادة فهو يستطيع فعل الرذيلة أو الفضيلة^{٣١}.

وكما رأينا ليس الأمر هو القمح والعنب، ولكن الإيمان المستقيم. وأيضاً أن الذي أصدر قرار حرم آريوس هم الأساقفة وليس الإمبراطور كما ادعى د. زيدان.

* * *

³¹ Soc.i. 9., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 12; B.J. Kidd, ed., *Documents Illustrative of the History of the Church: 313-461 A.D.*, vol. 2 (New York: Macmillan, 1932), p. 10.

هل حرق قسطنطين كل الأناجيل ما عدا الأربعة المشهورة؟

يردد الدكتور يوسف زيدان نفس الإيحاءات والمعلومات التي أوردها المؤلف "دان براون" في روايته المشهورة "شفرة دافنشي" - التي تم منع توزيعها في مصر بجميع اللغات، وكذلك منع عرض الفيلم الخاص بها، وذلك بقرارات من مجلس الشعب ومجلس الشورى ووزير الثقافة ووزير الإعلام - وذلك بأن الإمبراطور قسطنطين قد أحرق كل الأناجيل ما عدا الأناجيل التي تثبت ألوهية السيد المسيح، فيقول على لسان الراهب المزعوم هيبا:

ص ٥٣ هيبا: "كما أمر الإمبراطور يا أبت، بإحراق كتبه وبإحراق كل الأناجيل التي بأيدي الناس، عدا الأربعة المشهورة.."

ص ٣٥٨ هيبا: "انتبهتُ لأمر دقيق. لم يكن مجمع نيقية قبل مائة عام، وإنما كان قبل مائة وست من السنين! الذي كان قبل مائة عام بالضبط، هو اللجنة الرهيبة التي شكلها الإمبراطور قسطنطين، من القسوس المتشددين، سعيًا منه لإرضاء الأساقفة. كان ذلك سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة للميلاد. اللجنة راحت تفتش دور الكتب وتدهم بيوت الناس، لتجمع كتب الفلاسفة والمهرطقين، والأناجيل غير الأربعة المعترف بها، والكتب الدينية المخالفة لما استقر من رأي الأساقفة، والرسائل الغنوصية. كانوا يجمعون كل ذلك في ساحات المدن والقرى، ويحرقونه علناً، مهدين من يخفي هذه الكتابات الممنوعة، بالويل.. الويل".

بالرجوع إلى المراجع العالمية المشهورة* لم نجد أي أثر لمثل هذا الحدث الذي اخترعه د. زيدان، ولا حتى أي تلميح لتكوين لجنة أو إحراق أية أناجيل أو كتب لفلاسفة أو غنوسيين. لم يُذكر عن قسطنطين إلاَّ إحراقه لكتابات آريوس الهرطوقي الذي أدانته مجمع نيقية المسكوني الأول ٣٢٥م، وحرّمه هو وكتاباته.

عانت الكنيسة في عصور الاضطهاد التي مرت عليها، من إبادة وإتلاف أعداد خيالية من الكتب المقدسة. وبالأخص في عصر داكْيوس (٢٤٩ - ٢٥١م) ودقْلديانوس (٣٠٢/٣ - ٣٠٥م) وحتى صدور مرسوم ميلان للتسامح الديني ٣١٣م، ولكن ما زالت بين أيدينا الآن نسخ كاملة من المخطوطة الفاتيكانية والمخطوطة السينائية والمخطوطة الإسكندرانية للكتاب المقدس كاملاً. والنسخة الفاتيكانية^{٣٢} تحوي الترجمة السبعينية لأسفار العهد القديم بالإضافة للعهد الجديد. والمفقود منها قليل جداً. وهي محفوظة في مكتبة الفاتيكان وكتب ما بين (٣٢٥ - ٣٥٠م) ويوجد لديَّ شخصياً نسخة طبق الأصل منها. أما المخطوطة السينائية^{٣٣} (٣٤٠م) فمحفوظة في المتحف البريطاني وتحوي

* Soc. i. 9, vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 14; Soz. i. 21, vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 255. Hefele, *A History of the Christian Councils*, p. 297. Schaff, vol. 3, pp. 11-37. *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Constantine the Great (ca. 285-337)" pp. 280, 1. *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Constantine I" p. 193. Wace and Piercy, *A Dictionary of Christian Biography*, pp. 203-212. Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, s.v. "Constantine the Great (ca. 274/280-337)", pp. 255, 6.

³² Norman L. Geisler and William E. Nix, *A General Introduction to the Bible: Revised and Expanded* (Chicago: Moody Press, 1986), p. 390.

³³ Geisler and Nix, p. 392.

أيضاً معظم العهد القديم حسب الترجمة السبعينية والعهد الجديد كله. والمخطوطة الإسكندرانية^{٣٤} (٤٥٠ م) وتحوي العهد القديم كله مع استثناءات بسيطة ومعظم العهد الجديد وهي محفوظة في المكتبة الوطنية للمتحف البريطاني. ولديّ شخصياً أيضاً النسختين السينائية والإسكندرانية على أقراص مُدمجة.

ولمزيد من المعلومات عن الأنجيل الحقيقية فإننا نذكر على سبيل المثال أنه في متحف بودمر (Bodmer) بجنيف بسويسرا؛ توجد أقدم نسخة في العالم من إنجيل يوحنا (من منتصف القرن الثاني الميلادي) على بردية باللغة اليونانية مُرقمة دولياً (Papyrus 66). وكذلك أقدم نسخة من إنجيلي لوقا ويوحنا معاً (ما بين ١٧٥-٢٢٥م) على بردية باللغة اليونانية مُرقمة دولياً (Papyrus 75) ولدينا نسخة رسمية من كل منهما، وقد اكتُشفت هذه النسخ من الأنجيل في القرن العشرين في دشنا ونجع حمادي بصعيد مصر. وهي مطابقة لما بين أيدينا الآن من هذه الأنجيل [انظر صور من البرديات (66)، (75) للأنجيل في ملحق الصور].

عرفنا كما مرّ أن آباء مجمع نيقية طلبوا من الإمبراطور حرق كل كتب آريوس الهرطوقية. ولماذا يثير هذا الأمر غضب د. زيدان إلى هذه الدرجة؟ فحرق الكتب الآريوسية هو أمر طبيعي يتمشى مع وضع القوانين التي تحدد تعريف الإيمان ولا يقل أهمية عنه. ولكن توجد رسائل للقديس ألكسندروس موجهة

³⁴ Geisler and Nix, p. 394.

إلى آريوس تحمل تعاليم آريوس للرد عليها، وكذلك كتابات
القديس أثناسيوس للرد على الآريوسية CONTRA ARIANS. وبذلك
فإن تعاليم آريوس لم تختفِ بإحراق أغلب نسخ كتبه.

يفتخر هييا بطل الرواية بأن في حوزته عددًا لا بأس به من
الكتب الممنوعة، وهي كتابات غنوسية قد حرمتها الكنيسة
لاحتوائها على خرافات الفلسفات الوثنية. ويسمي بعضها فيتضح
أن من بينها إنجيل يهوذا. وهذا الإنجيل غنوسي، وسوف أعرض
لك عزيزي القارئ بعضًا مما جاء فيه من الخرافات، إذ أنني
أيضًا كنت قد حرصت أثناء سفري للخارج أن أقتني عدة نسخ
للتُرجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا^{٣٥}، (وها قد حانت الفرصة
لاستخدامها. انظر ملحق الصور) وإليك بعض مقتطفات من هذا
الكتاب الغريب، من الصفحات: ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩ (أرقام الصفحات
حسب التُرجمة الإنجليزية، وما بين الأقواس { } وُضع لتوضيح
التُرجمة من الإنجليزية):

يدعو {كل من} الآب والـ ٧٢ المنيرين الذين مع المولود من
ذاته {الذي خلق نفسه} وأيوناته الـ ٧٢، {يدعون} خضم هؤلاء
الغير مائتين، بالكوزموس {الكون} أي الهلاك (١٠٧).

فيه {أي في الكوزموس} ظهر الإنسان الأول مع قواته
{سلاطينه} الغير قابلة للفساد. والأيون الذي ظهر مع ولادته،
الأيون الذي فيه سحابة المعرفة (gnosis) والملاك، يدعى إيل
[...] أيون [...] وبعد ذلك [...] قال، فليُخلق ١٢ ملاكًا

³⁵ Rodolphe Kasser, Marvin Meyer, and Gregor Wurst, eds, *The Gospel of Judas*
(Washington D.C: National Geographic Society, 2006), pp. 36, 37, 38, 39.

ليسيطروا على chaos (الشواش) والعالم السفلي. وانظر، من السحابة هناك ظهر [ملاك] وجهه يتوهج بالنار، وشكله مُشَوَّه {مُنَجَّس} بالدم. اسمه نبرو (١١١) الذي يعني "المتنرد" (١١٢) وآخرون يسمونه يالدابأوث (١١٣) Yaldabaoth. ملاك آخر، ساكلاس (١١٤)، أتى أيضاً من السحابة وهكذا خلق نبرو ستة ملائكة -بالإضافة إلى ساكلاس- ليكونوا مساعدين، وهؤلاء خلقوا ١٢ ملاكاً في السموات، مع كل واحد يتقبل قسمًا {جزءًا} في السموات.... ثم قال ساكلاس لملائكته، فلنخلق إنساناً على الشبه والصورة. جبلوا آدم وزوجته حواء، التي تدعى، في السحابة، زوئي Zoe. لأنه بهذا الاسم تقصد كل الأجيال الإنسان، وكل منهم يدعو المرأة بهذه الأسماء. الآن، ساكلا لم يأ[مر...] إلا[...]. الأجا[يال...] هذا [...]. وقال [الحاكم] لآدم، "سوف تعيش طويلاً، مع أطفالك".

(انظر النص باللغة الإنجليزية في صور صفحات من كتاب الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا، في ملحق الصور)

حاشيات للمترجم ص ٣٧ في الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا
بنفس أرقامها في النص الإنجليزي:

حاشية رقم (١٠٧): الكون الذي لنا بعكس المملكة الإلهية العليا، مُعَرَّض للاضمحلال ومن ثم يمكن أن يسمى عالم الهلاك.

حاشية رقم (١١١): في "الكتاب المقدس للروح العظيمة الغير مرئية" ٣: ٥٧ نبروايل Nebroel هي شيطانة عظيمة تتزوج

ساكلاس وتنتج ١٢ أيونا. انظر أيضاً دور نيروايل في النصوص المانوية. هنا الاسم نيرو يُعطى بدون اللاحقة التكريرية "إيل" (أيضاً "الله" في العبرية، انظر الاسم إيل أعلاه). في "الكتاب السري ليوحنا" ٢ : ١٠، الخالق يالدابأوث له شكل أفعى بوجه أسد، وعينيه مثل صواعق {متوهجة}. في "الكتاب المقدس للروح العظيمة الغير مرئية" ٣ : ٥٦-٥٧، حكمة المادة {أو الجسد} دموية {وحشية} الشكل: "سحابة {تدعى} حكمة المادة ظهرت.... {هي} عاينت مناطق (الشواش chaos)، ووجهها يشبه... في شكلها... دم".

حاشية رقم (١١٢): أو، "المرتد" (قبطي، من اليوناني، apostates). تُشتق كلمة نيرو على الأغلب من نيرود في تكوين ١٠ : ٨-١٢ (انظر أخبار الأيام الأول ١ : ١٠) من السبعينية، حيث نيرود (وبالعبري نمرود) تعكس التقليد لوجه أسطوري معروف في الشرق الأوسط القديم. الكلمة نمرود ربما تكون مرتبطة بالكلمة العبرية لكلمة "متمرد" {أو عاصي}.

حاشية رقم (١١٣): يالدابأوث Yaldabaoth هو الاسم الشائع للخالق في Sethian texts ربما تعني يالدابأوث: "طفل الشواش child of chaos" أو، أقل احتمالاً، "child of (S)abaoth" في الآرامية.

حاشية رقم (١١٤): ساكلاس (أو ساكلا، كما في إنجيل يهوذا
٥٢) هو اسم آخر شائع للخالق في Sethian texts . Saklas
(Sakla) تعني "أحمق - fool" في الآرامية.

هاجم القديس إيريناوس أسقف ليون (١٢٠-٢٠٢م) في كتابه "ضد
الهرطقات" -الذي كتبه ما بين ١٨٢ و ١٨٨م أي في القرن الثاني
الميلادي- "إنجيل يهوذا" المزعوم. وذلك بعد أن استفاض في
شرحه لتخاريف الغنوسيين المخزية. ذكر فيه^{٣٦} آراء الغنوسيين
عن يالداباوث: إنه الابن الأول للأُم، وإنه بدوره تحدّر منه "ياأو"
الذي تحدّر منه "صاباأوث" إلخ.. إلى ستة بعده. تشاجر معه
أولاده هؤلاء بخصوص السلطة العليا.. مما سبب له الحزن
والياس. صار له ابن اسمه "نوس" {νους} أي العقل، لفّ أو
برم نفسه في شكل حية ومن ثم تحدّر منه الروح والنفس!
فارتفعت معنويات يالداباوث وقال: "أنا الأب وأنا الله وفوقي ليس
آخر". ولكن أمه عندما سمعت ذلك صرخت فيه قائلة: "لا تكذب
يا يالداباوث لأن أب الكل الإنسان الأول هو أعلى منك وهكذا
الإنسان ابن الإنسان".... قال يالداباوث "تعالوا، فلنصنع الإنسان
على صورتنا".

وأيضاً من ضمن هذه الخرافات الغير منسجمة، يقول القديس
إيريناوس إن هؤلاء الغنوسيون يقولون إن الإلهة الأم الحكمة

³⁶ St. Irenaeus, *Adv. haer.* i. 30., vol. 1 of *Ante-Nicene Fathers (ANF)*
(Massachusetts: Hendrickon, 1995), pp. 355-8.

(sophia) اخترعت بمكر خطة لخداع آدم وحواء عن طريق الحية، لكي يتعديا على وصية يالداأوث. يالداأوث بدوره طرد آدم وحواء من الفردوس لأنهم تَعَدَّيا وصيته. كان يالداأوث يرغب في أن ينجب أولادًا من حواء، ولكنه لم يتمكن من تحقيق رغبته، لأن أمه قاومته من كل وجه. وفي الخفية أفرغت أمه، آدم وحواء من النور الذي كان منثورًا عليهما، وذلك لكي لا يشترك هذا الروح المنبثق من القوة العليا، في اللعنة والخزي الذي سببهما التعدي. وَيُعَلِّمُ الغنوسيون أيضًا بأنه لكونهما (أي آدم وحواء) قد تفرَّغا من الجوهر الإلهي، فقد لُعِنَا منه (أي من يالداأوث) أيضًا وطُرِدَا من السماء إلى هذا العالم. والحية التي كانت تعمل ضد الأب طردها إلى هذا العالم السفلي. يالداأوث مرة أخرى، أغاظه البشر لأنهم لم يعبدوه ولم يكرموا كآب وكالِه، فغضب وقرر أن يبيد العالم كله. ولكن قاومته الحكمة sophia في هذه النقطة أيضًا، وأنقذت نوح وعائلته بالفلك؛ بواسطة انتشار هذا النور الذي ينبثق منها. ومن خلاله (أي نوح) امتلأ العالم مرة أخرى بالبشر. اختار يالداأوث إنسانًا معينًا من البشر اسمه إبراهيم، وأقام معه عهدًا. وتستمر القصة المعروفة عن موسى والأنبياء وفي كل هذا يأخذ يالداأوث دور الله في العهد القديم. ولكي لا أطيل عليك عزيزي القارئ، تستمر الخرافات إلى أن يذكر القديس إيريناوس إنهم يقولون إن "المسيح يجلس عن يمين أبيه يالداأوث"!

يقول القديس إيريناوس عن شيعة أخرى من الغنوسيين اسمها القاينيون Cainites نسبة إلى قايين أخي هابيل:

يقولون إن قايين تلقى كينونته من القوة العليا، وإن عيسو وقورح والسادوميين وكل من هم على شاكلتهم، لهم علاقة ببعضهم. ويعلنون أن يهوذا الخائن مُلِّمٌ بدقة بهذه الأمور، ولأنه وحده يعلم الحقيقة التي لا يعلمها غيره، فقد نفذ الغُوزة الخيانية؛ وطُرحت بواسطته كل الأشياء، الأرضية والسماوية، إلى التشوش (الالتباس). لقد صنعوا تاريخاً خيالياً (زائفاً) من هذا النوع، لَقَّبوه "إنجيل يهوذا"^{٣٧}.

يقول القديس إيريناوس أيضاً إنه "من المستحيل أن تكون الأنجيل أكثر أو أقل من أربعة"^{٣٨} ويشرح باستفاضة دلالة الرقم "أربعة". ويُعَقَّب بأن الله الكلمة نفسه أعطانا الإنجيل في أربعة صور، ولكن هذا الإنجيل يحييه روح واحد^{٣٩}.

كانت هذه نبذة عن كتابات الغنوسيين من مصدر قديم، حاولت أن تكون مختصرة بقدر الإمكان؛ لكي تستطيع معي عزيزي القارئ أن تتخيل ماهية هذه الكتب التي يتباكى عليها د. زيدان ويبالغ في تصوير حزنه على حرقها الذي لم يحدث إلا في خياله فقط.

* * *

³⁷ Iren. i. 31., vol. 1 of ANF, p. 358.

³⁸ Iren. iii. 11., vol. 1 of ANF, p. 428.

³⁹ Iren. iii. 11., vol. 1 of ANF, p. 429.

مجمع أنطاكية ٣٤٢ م

بمناسبة افتتاح الكنيسة الذهبية المثلثة في أنطاكية

يقول د. زيدان إن الإسكندرية انتصرت في هذا المجمع، ولكن الحقيقة هي عكس ذلك كما سنرى:

ص ٥٥ **نسطور**: خاصة بعدما اجتمع الأساقفة بعد وفاة آريوس بخمس سنين، في أنطاكية، أيام مجمع التدشين. وصاغوا بياناً قالوا فيه بوضوح، فاضح، إننا لم نكن يوماً من أتباع آريوس، إذ كيف يعقل ونحن أساقفة أن نسير وراء كلام قسّ!.. وهكذا انتصرت الإسكندرية.

وفي الحاشية يذكر د. زيدان:

هو المجمع الذي انعقد بانطاكية سنة ٣٤٢ بمناسبة افتتاح الكنيسة الذهبية المثلثة. (المترجم).

هذا المجمع عُقد عام ٣٤١ م وليس كما يذكر د. زيدان ٣٤٢ م. وعُقد أثناء تدشين الكنيسة العظيمة في أنطاكية المعروفة باسم الكنيسة الذهبية، التي بدأها قسطنطين الكبير وأُكملت في عهد ابنه قسطنطيوس. ولذلك عُرف المجمع دائماً باسم مجمع ٣٤١ م أو مجمع التدشين. حضره ٩٧ أسقفًا وكان التأثير الأقوى فيه لليوسابيوس الذين كانوا في عداوة مع القديس أثناسيوس وهم (أنصاف الآريوسيين) بقيادة يوسابيوس النيقوميدي ويوسابيوس القيصري. وكل أعضائه شرقيون وأغلبهم يتبعون الكرسي الأنطاكي. وهذا المجمع في بعض قراراته اتهم القديس أثناسيوس الرسولي تهماً باطلة وقرر عزله.

ويشهد بذلك كل من سقراط وسوزومين^{٤٠} بقولهما "إن عزل أثناسيوس جاء أولاً ثم أُصدرت القوانين". ذلك لأنهم عزلوه بناءً على قوانين لم يكونوا قد أصدروها بعد ولكنهم أصدروها بعد عزله! والتي ينص أحدها وهو القانون الرابع، على أن "الأسقف الذي يعزله المجمع... يسقط من رتبته كلياً إذا تجاسر وخدم الكهنوت، بل يفقد حق الاحتجاج في مجمع آخر، ويُبعد من شركة الكنيسة من يشترك معه أيضاً" ووضعوا قانوناً آخر قصدوا به مناوئة القديس أثناسيوس هو القانون الحادي عشر "ويقضي بعزل الأسقف.. الذي يرفع دعواه إلى الملك بدون تفويض من أساقفة تلك الولاية.. وإبعاده عن شركة الكنيسة"^{٤١}. وهكذا فعلى حد قول المؤرخ سقراط إنهم "أدانوا أثناسيوس في المقام الأول بأنه تصرف ضد قانون أصدروه بعد ذلك إذ أنه استرد سلطته الأسقفية بدون إذن مجمع عام من الأساقفة"^{٤٢}. وقد لام البابا يوليوس بابا روما المجمع النصف آريوسي لعزله أثناسيوس، داعياً إلى مجمع عام للاستعلام عن التهم الموجهة ضد القديس^{٤٣}. في هذا المجمع ٣٤١م تم تعيين غريغوريوس الكبادوكي أسقفاً على الإسكندرية بدلاً من أثناسيوس. وأمروا في هذا المجمع وبتأييد الإمبراطور أن يُثبَّت غريغوريوس بقوة

⁴⁰ Soc. ii. 8-10., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 38, 39, 40; Soz. iii. 5., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 285.

^{٤١} سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، الجزء ١. ١٩٥٣م، ص ٢٢٠، ٢٢١.

⁴² Soc. ii. 8., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 38.

⁴³ *The Synod of Antioch in Encaeniis: A.D. 341*, vol. 14 of *NPNF*, 2nd ser., p. 106.

الحكومة^{٤٤}. وقد ذكروا فعلاً ما ذكره د. زيدان، ولكن كان ذلك خداعاً منهم إذ هم يُدْعَوْنَ بالنصف آريوسيين، لأنهم يتحاشون دائماً القول بمساواة الابن للآب في الجوهر والأزلية. وفي هذا المجمع تحديداً وحسب ما ذكر سوزومين، وضعوا:

تعبيرات غامضة بحيث لا يستطيع سواء الآريوسيون أو أتباع قوانين مجمع نيقية أن يجدوا عليهم مأخذاً. وتحاشوا (مغرضين) التعبيرات المرفوضة من الجانبين... ولكنهم لم يصفوا عقيدة الابن بكونه مساوٍ للآب في الجوهر والأزلية أو العكس^{٤٥}.

أي أنهم في الحقيقة لم يؤمنوا بالوهية الابن ومساواته للآب في الجوهر والأزلية.

يتضح مما سبق أن د. زيدان يُطَوِّع الأحداث التاريخية لكي تخدم أهدافه الخاصة في الكتابة. فيُظهر تعاطفاً مع آريوس، ويقول "وهكذا انتصرت الإسكندرية"، على الرغم من أن المجمع المذكور كان مجعلاً نصف آريوسي وقرر عزل البابا الإسكندري ظلماً كما ذكرنا شهادة المؤرخين بذلك. ولكن د. زيدان يحاول دائماً ولا يُفَوِّت أية فرصة لكي يُشَوِّه بالتزييف صورة الإسكندرية! وقد تَعَمَّدَ إخفاء حقيقة يعرفها جميع اللاهوتيين وهي ما يسمى بدعة النصف آريوسيين التي قادها يوسابيوس القيصري أسقف

⁴⁴ Soz. iii. 5, vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 285.

⁴⁵ Soz. iii. 5, vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 285.

قيصرية ويوسابيوس النيقوميدي أسقف نيقوميدية. فقد سادت الأريوسية الإمبراطورية الرومانية ولكن في صورة مخففة هي ما يسمى بالنصف آريوسية التي تنادي بأن "الابن مشابه للآب في الجوهر" وليس "مساوٍ للآب في الجوهر"^{٤٦}. وقد عانى القديس أثناسيوس مُرَّ المعاناة من اليوسابين الذين كرهوه وأرادوا تحطيمه؛ فهم الذين تسببوا في الحكم بنفيه خمس مرات تم تنفيذ أربع مرات منها، وذلك بما كان لهم من دهاء ومكر وأيضاً نفوذ عند الإمبراطور قسطنطين ومن خلفوه. وهذا المجمع الذي نحن بصددده هو دليل على ذلك. بل وعلى سبيل المثال أيضاً نذكر مجمع صور (٣٣٥م) برئاسة يوسابيوس القيصري المؤرخ^{٤٧}؛ الذي أدان وعزل القديس أثناسيوس من أجل اتهامات زائفة أظهرت العناية الإلهية، على حد تعبير المؤرخ سقراط، براءة أثناسيوس منها^{٤٨}.

* * *

⁴⁶ Schaff, vol. 3, p. 635.

⁴⁷ Hefele, vol. 2, p. 19.

⁴⁸ Soc. i. 27- 32., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 29-32.

هل كانت الملكة هيلانة في بدايتها ساقية في مواخير الرُّها؟

ص ١٨٤ نسطور: هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين، كانت في ابتداء أمرها ساقية في مواخير الرُّها..

لم نجد في أي المراجع* أية إشارة لهذا الأمر، وما ذكرته المراجع هو إنها من أصل متواضع أي ليست من سلالات الأباطرة أو الولاة. ولكن لم يذكر أحد إنها كانت ساقية في مواخير الرُّها!

والثابت المعروف عند آباء الكنيسة، إن هيلانة كانت ابنة قسيس سرياني من قرية فجي بجوار الرُّها. وكانت جميلة الخلق والخلق. إنسانة تقية تحب الصلاة والصوم وكان لها تأثير كبير في حياة ابنها قسطنطين. فبتأثيرها منح المسيحيين حرية تامة مثلما فعل أبوه. ويُذكر لها سعيها في البحث عن خشبة الصليب المقدسة حتى وجدها. وشيدت العديد من الكنائس العظيمة والجميلة في القدس وفي بلاد عديدة^{٤٩}. "أما الأماكن المقدسة فجادت عليها هيلانة بأموال جزيلة، وبنت كنيسة القيامة العظيمة وغيرها. وبذلت مالا كثيرا على أهل

* Soc. i. 27, vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 21, 22; Soz. ii. 2., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 259. *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Helena (ca. 250-ca. 330)" pp. 515, 16. *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Helena" p. 371. Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, s.v. "Helena (ca. 248-ca. 327)" p. 458.

^{٤٩} سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، الجزء الأول ١٩٥٣م، ص ١٨٠، ١٨١، ٢٠٥، ٢٠٧. & قداسة مار إغناطيوس افرام الأول برسوم بطريرك انطاكية للسريان الأرثوذكس، الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، المجلد الأول، ١٩٤٠م، ص ٤٤٥، ٤٤٤، ٤٤٦.

البؤس، وصارت للنساء مثلاً يحتذى في الوداعة واللفظ، وأعدت
بيديها طعاماً للعداري المتزهديات والفقراء^{٥٠}.
وقد ذكرت المراجع العالمية^{*} أيضاً نفس هذا الكلام.

ومن ضمن الكنائس الجميلة التي شيدتها، كنيسة القديسة الشهيدة
دميانة ببراري بلفاس بمصر حيث قامت ببناء مقبرة فخمة للشهيدة
دميانة والعداري الأربعين، وطلبت من البابا ألكسندروس، بابا
الإسكندرية التاسع عشر أن يقوم بتدشينها، فقام بذلك يوم ١٢ بشنس
(٢٠ مايو) في أوائل القرن الرابع الميلادي^{٥١}.

^{٥٠} سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية
للسريان الأرثوذكس)، تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، الجزء الأول ص ٢٠٨.

^{*} Soc. i. 27., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 22; Soz. ii. 2., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 259. *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Helena (ca. 250-ca. 330)" pp. 515,16. *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Helena" p. 371. Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, s.v. "Helena (ca. 248-ca. 327)" p.458.

^{٥١} مخطوط سيرة القديسة دميانة بديرها العامر بالبراري، مخطوط رقم (٧٢٦٣١) وتاريخ نسخها
١٧٣٢م، ومخطوط رقم (٧٢٥٥٥) وتاريخ نسخها ١٧٨١م، واللذان نقلتا عن المخطوطة التي كتبها
الأنبا يوحنا أسقف البرلس - نقلاً عن مخطوطة أقدم منها- في القرن السادس في زمن البابا دميانوس
الـ٣٥ (٥٦٣-٥٩٨م).

الفصل الثالث

هل هدم البابا ثيئوفيلس معبد سيرابيوم على رؤوس الوثنيين المعتصمين فيه؟

هنا يتضح إلى أي مدى زيّف د. زيدان الحقيقة، فقام بتبديل الأدوار بحيث جعل المسيحيين يقومون بما فعله الوثنيون والعكس. فقد قال إن البابا ثيئوفيلس هدم معبد سيرابيوم على رؤوس الوثنيين، والحقيقة كما سوف نرى، هي أن الوثنيين هم الذين عذبوا المسيحيين وقتلوهם والعجيب إن هذا حدث داخل معبد سيرابيوم نفسه! بل أن الوثنيين تركوا المعبد وهربوا قبل أن يدخله البابا ثيئوفيلس.

ص ٧١، ٧٢ هيبا: مررتُ بجماعة من رجال الكنيسة يتجهون شمالاً، وحولهم عمالٌ يحملون معاول. كان العمال يرددون خلفهم: باسم يسوع الإله الحق، سنهدم بيوت الأوثان، ونبني بيتاً جديداً للرب"...إنه تمثال الإله كانوا يسمونه سيرابيس، وقد استبقاه أسقف الإسكندرية السابق ثيوفيلوس من معبد السرابيون الكبير، بعدما هدمه على رؤوس الوثنيين المعتصمين فيه.

ص ١٥٢ البابا كيرلس: يريدون إعادة بيت الأوثان الكبير الذي انهدم على رؤوسهم قبل سنين.

هجوم على البابا ثيوفيلس وشدة محاربته الوثنية:
ص ١٤١ هيبا: لم أخبره بما أعرفه من أنهما كانا يرفضان أفكار الأسقف
ثيوفيلوس وأعماله العنيفة، وأن بينهما رسائل متبادلة في ذلك. مع أنهما
كانا في شبابهما من تلامذته، وكانا يعتقدان أنه يحارب الوثنية التي
حاربت المسيحية طويلاً، ولما وجداه يطيل حربه إلى ما لا نهاية، نفرا
منه واجتنباه.

لم تذكر المراجع أية إشارة من قريب أو من بعيد لتورط
القديس ثيوفيلس في قتل أي أحد من الوثنيين^{٥٢}. وسنرجع إلى
مؤرخين معروف عنهما في تاريخ علم الباتولوجي عدم
الارتياح للقديس ثيوفيلس بل ومعاداته أحياناً، وهما سقراط
وسوزومين^{٥٣}. لو كانت هناك أدنى شبهة على القديس ثيوفيلس
لكان هذان أول من ذكرا ذلك. خاصة أنهما في أحداث أخرى
تكلمتا عنه بعداء شديد.

المؤرخ سقراط^{٥٤} Socrates (٣٨٠-٤٥٠م):

كتب سقراط مؤرخاً للفترة ما بين ٣٠٥ و ٤٣٩م. وفي وصفه
لواقعة معبد سيرابيوم التي حدثت ٣٩١م، حكى أن القديس
ثيوفيلس بعد أن حصل على تصريح من الإمبراطور بهدم معابد
الأوثان في الإسكندرية وبناء الكنائس على أنقاضها، وإن كان

⁵² Theod. H.E. v. 22., vol. 3 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 147-8; *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Theophilus. Patriarch of Alexandria" p. 831; Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 100; Wace and Piercy, *A Dictionary of Christian Biography*, pp. 982-3.

⁵³ *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Theophilus. Patriarch of Alexandria" p. 831.

⁵⁴ Soc. v. 16., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 126. ; Wace and Piercy, *A Dictionary of Christian Biography*, pp. 982-3.

سوزومين قد صحح تلك المعلومة بقوله إن الإمبراطور منح البابا ثيوفيلس -بناء على طلبه- معبد ديونيسيوس لكي يقيم مكانه كنيسة. ويكمل سقراط بأن البابا أخذ الرموز التي كانت تُستخدم في عبادة سيرابيس وغيره من الآلهة الوثنية، وفضحها وأظهر خزيها أمام العامة وكل الشعب في السوق (Agora)، ليوضح لشعبه مدى فساد هذه العبادة الشيطانية. لم يحتل الوثنيون وبالذات أساتذة الفلسفة هذه الفضيحة، فغضبوا جدًا وتآمروا فيما بينهم على أن يثأروا لكرامتهم بطريقة أكثر وحشية تفوق بكثير كل ما اقترفوه سابقًا. فاتفقوا فيما بينهم على علامة معينة ليسهل تجمعهم في وقت واحد، ثم انقضوا مثل المجانين المسعورين بنفس واحدة على المسيحيين وقتلوا كل من صادفهم منهم.

حاول المسيحيون الأبرياء الدفاع عن أنفسهم فلم يفلحوا، إذ أن عنصر المباغته مع الهيجان والثورة العنيفة لم يمكنهم من ذلك. فقبض الوثنيون على عدد كبير من المسيحيين وجروهم بعنف شديد وبسرعة إلى داخل معبد سيرابيوم الذي كان أشهر معقل للوثنية في ذلك الحين، وحاولوا إجبارهم على تقديم الذبائح للأوثان. فلما رفضوا عذبوا البعض بعذابات أليمة وقتلوا البعض الآخر.

عندما بلغ الأمر حاكم الإسكندرية أسرع إلى معبد سيرابيوم وطلب من الوثنيين أن يتركوا أسلحتهم ويستسلموا، ولكن دون

جدوى. وهكذا لم يتوقف الوثنيون إلا بعد أن شعروا بالارتواء من رؤية كثرة دماء المسيحيين.

اسمح لي عزيزي القارئ أن أذكرُك أن الوصف هنا للمؤرخ سقراط الذي لم يكن يحب البابا ثيئوفيلس. وهذا الكلام مثبت في المراجع العالمية المشهورة الموجودة بيانها في الحاشية على صفحة ٦٢، ولا يستطيع أحد أن ينكره.

في هذه الأثناء وصل منشور من الإمبراطور يأمر بهدم كل معابد الأوثان. اضطر الوثنيون إلى ترك المعبد بعد أن سمعوا المنادي ينادي بصوت عالٍ بنص المنشور وعلا أيضاً صوت هتاف المسيحيين بالفرح.

قام البابا ثيئوفيلس ومعه مجموعة من الجنود، وسط تهليل المسيحيين وذهول الوثنيين، بصعود المائة درجة من الدَرَج المؤدي إلى تمثال سيرابيوم. وكان بعض المسيحيين البسطاء قد صدقوا كلام أولمبيوس الفيلسوف المعروف الذي كان أشد الثائرين المعاندين للحاكم والذي ادّعى أنه سمع في الليلة السابقة صوت ترتيل يأتي من هيكل سيرابيوم يقول هليلويا. لذلك فعندما وصل البابا ثيئوفيلس إلى التمثال الضخم، أمر الجندي الذي كان بيده فأساً أن يضرب عنق التمثال بقوة ففعل الجندي. وعندئذ انفصلت الرأس عن جسم التمثال، وخرج عدد كبير من الفئران كانت تسكن في إله المصريين! فرح المسيحيون وازداد هتافهم وكسروا جسم التمثال الخشبي ثم أحرقوه. أما رأسه فوضعت في

مكان عام ليراها كل الشعب. وبعدها بدأ تنفيذ أمر الإمبراطور بهدم معابد الأوثان. وقد اعتاد الوثنيون أن يقولوا إن معبد سيرابيوم هو أجمل معبد في العالم. بل وسادت بينهم بعض الخرافات، التي منها أنه لو مشى أحد بجوار تمثال الإله سيرابيوم سيحدث زلزال يؤدي إلى موت كل الناس. ولذلك أراد البابا ثيئوفيلس أن ينقذ شعبه من هذه الضلالات.

خاف الوثنيون بعد ذلك من غضب الإمبراطور وتوقعوا أن يُنزل بهم أشد العقوبات، بسبب ما فعلوه بالمسيحيين، فهربوا إلى أماكن متعددة ومتفرقة في البلاد وترك الكثيرون منهم الإسكندرية.

المؤرخ سوزومين⁵⁵ Sozomen:

كان معاصراً لسقراط ولا يُعرف على وجه التحديد تاريخ ولادته أو موته. لكن من المعروف أنه أرَّخ للفترة ما بين ٣٢٤ و ٤٣٩م وقد دوّن ما كتبه ما بين ٤٣٩ و ٤٥٠م.

ذكر سوزومين كل ما ذكره سقراط وأضاف بعض التفاصيل. فأكد أولاً أن هجوم الوثنيين العنيف على المسيحيين وتعذيبهم وقتلهم كان داخل معبد سيرابيوم نفسه. ويذكر أن المسيحيين الذين رفضوا التضحية للأوثان، صلَّب الوثنيون بعضهم وكسروا سيقانهم وقتلوا البعض الآخر بطريقة لا تتفق مع الإنسانية. وذلك بعد أن حاصروا المعبد من الخارج ومنعوا أي اتصال بالذين في

⁵⁵ Soz. vii. 15., vol 2 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 385-6.

الداخل. حاول رئيس الجيش رومانوس وإيفاجريوس حاكم الإسكندرية أن يُذكِّراهم بما تنص عليه القوانين، وأن يسلموا أسلحتهم ويخرجوا من المعبد ولكن دون فائدة. فلما لم يُجد معهم الكلام نفعا أبلغا الإمبراطور. وكان رد فعل الإمبراطور طيباً جداً، إذ أنه اعتبر المسيحيين الذين قُتلوا وتعذبوا أنهم شهداء، وفي نفس الوقت سامح الوثنيين المعتدين، ربما يشجعهم هذا على اعتناق المسيحية دين التسامح. ولكنه أصدر منشوراً يقضى بضرورة هدم كل معابد الأوثان في الإسكندرية. وعندئذ هرب الوثنيون وتركوا المعبد فأخذه المسيحيون وبنوه كنيسة.

من هذا السرد الواضح للتاريخ بواسطة سقراط وسوزومين أقرب المؤرخين لهذه الأحداث، يتضح أن الإمبراطور هو الذي أمر بهدم معابد الوثنيين بالإسكندرية بعد المذبحة البشعة التي فعلوها ضد المسيحيين في معبد سيرابيوم.

الفصل الرابع

هل حرّض القديس كيرلس الشعب

على قتل هيياتيا؟

جماعة محبي الآلام ومقتل جورج الكبادوكي الآريوسي
مقتطفات من مقال "إعادة تقييم هيياتيا الإسكندرية" لـ بريان

ويتفيلد Bryan J. Whitfield

الدفاع عن القديس كيرلس الإسكندري في قضية مقتل هيياتيا

وصف هيياتيا

يبالغ الدكتور زيدان في وصف هيياتيا الفيلسوفة الوثنية على
لسان هييا "وكأنها كائنٌ سماويٌّ" لكي يشعر القارئ بفداحة الجريمة:
ص ١٣٥ **هييا:** هيياتيا امرأةٌ وقورٌ وجميلة، بل هي جميلة جداً. أو لعلها
أجمل امرأة في الكون. كان عُمرها في حدود الأربعين، وكان أنفها جميلاً
جداً وفمها، وصوتها، وشعرها، وعيناها.. كل ما فيها، كان أبهى من كل
ما فيها. ولما تكلمت زاد بهاؤها ألقاً.

ص ١٣٦ **هييا:** هيياتيا.. وكأنها كائنٌ سماويٌّ هبط إلى الأرض من
الخيال الإلهي، ليشرّ الناس بخبر رباني رحيم. كانت لهيياتيا تلك الهيئة
التي تخيلتها دومًا ليسوع المسيح، جامعةً بين الرقة والجلال.. في عينيها
زرقة خفيفة ورُمادية، وفيها شفافية. في جبهتها اتساعٌ ونورٌ سماويٌّ،
وفي ثوبها الهفاهف ووقفاتها، وقارٌ يماثل ما يحفُّ بالآلهة من بهاء. من

أي عنصر نوراني خلقت هذه المرأة؟.. كانت تختلف عن بقية الناس! فإن كان الإله خنوم هو الذي ينحت أجسام الناس، فمن أي صلصال طاهر نحتها، وبأي عطر سماوي سبكها؟.. يا إلهي، إنني أجدف.

ص ١٣٤ لكي يبيريء د. زيدان هيباتيا يقول على لسان هيبا:
ثم عرفت أن الرياضيات لا شأن لها بالوثنية ولا بالإيمان.

جماعة محبي الآلام ومقتل جورج الكبادوكي الأريوسي

ص ١٤٩ هيبا: وكان القسّ يوانس يرعاني من بعيد، ويوصيني دوماً بأن أتجنب الاندماج مع الرهبان الإسكندرانيين، خاصةً، الذين يسمون أنفسهم جماعة محبي الآلام.. كان منهم راهب طاعن في السن، يرهبونه كثيراً، عرفت بعد شهر سرّ نفوري من نظرتة القاسية. دعاني إليه بإشارة من عصاه التي تتكئ عليها سنواته السبعون، ولما اقتربت منه قال لي هامساً: عُد سريعاً إلى بلدتك، فالإسكندرية ليست مكانك! كان صوته أقرب لفحيح الأفاعي، وكانت لهجته لازعة كلسع العقارب. لم أفهم إشارته، وقد نصحني القس يوانس لما أخبرته بالأمر، بالابتعاد عنه. بعدها بأيام أخبرني خادم المضيفة بسر دفين، قال بعدما تلفت حوله: هذا الراهب المسن، محب الآلام، هو أحد أبطال الكنيسة! فقد كان في شبابه واحداً من الجماعة الذين فتكوا بأسقف الإسكندرية جورج الكبادوكي ومزقوه بالسواطير في شوارع الحي الشرقي.. أضاف الخادم هامساً، بعدما تلفت ثانية: جرى ذلك قبل ثمان وأربعين سنة، في العام السابع والسبعين للشهداء! يقصد سنة إحدى وستين وثلاثمائة للميلاد.

ص ١٨٤، ١٨٥ **نسطور**: يا هيبا ما يجري في الإسكندرية لا شأن للديانة به.. إن أول دم أريق في المدينة، بعد انتهاء زمن الاضطهاد

الوثني لأهل ديانتنا، كان دمًا مسيحيًا أراقته أيادٍ مسيحية! فقد قُتل الإسكندرانيون قبل خمسين سنة أسقف مدينتهم جورجيو (هو نفسه جورج الكبادوكي)، لأنه كان يوافق على بعض آراء آريوس السكندري. وقُتل الناس باسم الدين، لا يجعله دينًا. إنها الدنيا التي ورثها ثيوفيلس، وأورثها من بعده ابن اخته كيرلس. فلا تخط الأمور ببعضها يا ولدي، فهؤلاء أهل سلطان لا أصحاب إيمان.. أهل قسوة دنيوية، لا محبة دينية.

تكلم د. زيدان عن جماعة أسماها جماعة محبي الآلام، ربما قصد بها على سبيل الخطأ جماعة الرهبان التي تُعرف بـ "البارابالاني" والتي سوف يأتي الكلام عنها بعد قليل في معرض كلامنا في الدفاع عن القديس كيرلس. وسوف نثبت بالأدلة التاريخية الدامغة وبعدد ليس بقليل من المراجع العالمية، براءة القديس كيرلس من هذه التهمة الشنعاء وأيضًا البارابالاني. وسوف نتتبع بتدقيق أصل هذا الافتراء لكي نعرف أين ومتى بدأ. وذلك بشهادة كل من المؤرخين القدامى والمعاصرين على السواء.

ص ١٤٥ يقول هيبا: لن أنجو من وشايات الجماعة الرهيبة المسماة محبي الآلام، وسوف ألقى بسببهم مصير أبي.

لا توجد أية علاقة بين "البارابالاني" ومقتل جورج الكبادوكي الأريوسي، ولم تذكر أي من المراجع ذلك. والمعروف تاريخيًا

أن "البارابالاني" لم يأت ذكرهم قبل مطلع القرن الخامس، حين ابتداء أن يكون لهم مؤسسة قوية⁵⁶.

بعد بحوث عميقة لقضية مقتل جورج الكبادوكي، عدنا فيها إلى المؤرخين القدامى الأقرب إلى الأحداث، حسب المخطوطات المعترف بها دولياً لنصل إلى حقيقة الأمر، وجدنا الآتي:

فُرض جورج الكبادوكي الآريوسي المذهب، أسقفاً على الإسكندرية بدلاً من أسقفها الشرعي القديس أنثاسيوس الرسولي. وكان ذلك بواسطة قسطنطيوس الإمبراطور الآريوسي، في مطلع عام ٣٥٧م. وللوقت بعد أن تولّى قام بسلسلة من الأعمال الإرهابية العنيفة ضد كل من الوثنيين وأيضاً أتباع القديس أنثاسيوس أي المستقيمي الإيمان. ولذلك ثاروا عليه جميعاً في أواخر ٣٥٨م وأجبروه على مغادرة الإسكندرية. ولكنه تمكن من العودة إليها مرة أخرى في نوفمبر ٣٦١م، بعد أربعة أيام فقط من موت الإمبراطور قسطنطيوس الذي كان يحميه، وتولّى الإمبراطور يوليان الجاحد. يذكر سقراط⁵⁷ إن الوثنيين قد كرهوا جورج الكبادوكي ولم يحتملوا إهانته لهم*، فاغتالوا عدداً من

⁵⁶ *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Parabalani" p. 648.

⁵⁷ *Soc. E.H.* iii. 2, vol 2 of *NPNF*, 2nd ser. pp.78, 79.

* لأنه عندما أراد أن يبني كنيسة في موقع كان الوثنيون يستخدمونه سابقاً في ممارسة طقوس سرية وتقديم ضحايا بشرية لميثرا Mithra، وكان مهجوراً لفترة طويلة، اكتشف أتباع جورج أثناء تنظيف المكان، المقدس السري وفيه وجدوا جماجم العديد من الأشخاص لجميع الأعمار كانوا يُقدّمون قرباناً من أجل العرافة (أو الكهانة) عن طريق فحص الأحشاء، حيث كان الوثنيون يمارسون هذه وغيرها من فنون السحر التي بها يسحرون أو يسبون نفوس الناس. قام أتباع جورج بفضح هذه الممقوتات للعيان واللعن من

الجميع. [Socrates, *E.H.* iii. 2, vol 2 of *NPNF*, 2nd ser., pp.78, 79]

المسيحيين بأي سلاح وصلت إليه أيديهم وبأي طريقة ممكنة. جرّ الوثنيون جورج خارج الكنيسة وربطوه في جمل وبعد أن قطعوه إرباً أحرقوه هو والجمل.

رُوجت إشاعة أن الذين أبغضوه من أجل أثناسيوس (أتباع أثناسيوس) ارتكبوا هذا الاعتداء على جورج... ولكن الرسالة التي أرسلها الإمبراطور (يوليان الجاحد) إلى الإسكندرانيين، تلقي اللوم بوضوح على العامة وليس على أي من المسيحيين*.

مقتطفات من رسالة الإمبراطور:

بسبب كل هذه الروايات الساخطة ضد جورج كعدو للآلهة، قد لوّثتم مرة أخرى مدينتكم المقدسة؛ في حين كان يجب أن تتهموه أمام القضاة. لأنكم لو كنتم فعلتم هذا لما ارتكب القتل أو أي أعمال أخرى غير قانونية؛ ولكن تنفيذ القانون بإنصاف كان سيحفظكم أبرياء من هذه الإفراطات المخزية، بينما يجلب عليه العقوبة نتيجة جرائمه الغير ورعة*.

كما يذكر سوزومين المؤرخ**:

عندما نما إلى علم الوثنيين في الإسكندرية أن يوليان صار الحاكم الأوحّد بعد موت قسطنطينوس... هاجموا جورج بصياح وتوبيخ كما لو كانوا سيقنّطونه... ووضعوه في السجن. وفي الصباح الباكر اندفعوا إلى السجن وقتلوه وقذفوا بالجثة على جمل. وبعد أن عرّضوها لكل إهانة أثناء النهار، أحرقوها ليلاً. أنا لا أجهل أن الهراطقة الأريوسيين

* Soc. E.H. iii. 2, vol 2 of NPNF, 2nd ser. p. 79.

** Soz. E.H. v. 7, vol 2 of NPNF, 2nd ser. p. 330.

يؤكدون أن جورج تلقى هذه المعاملة الوحشية من أتباع أنثاسيوس، ولكن يبدو لي أن الأكثر احتمالاً هو أن مرتكبي هذه الأعمال هم الوثنيون؛ إذ أن عندهم سبباً لبغضته، أكثر من غيرهم من الناس.

ثم ذكر سوزومين نفس ما قاله سقراط بخصوص معبد ميثرا وقتل الوثنيين للمسيحيين وأضاف:

... قتل الوثنيون جورج بمجرد أن سمعوا أن يولييان صار إمبراطوراً. هذه الحقيقة أكدها ذلك الإمبراطور نفسه والتي لم يكن ليعترف بها إلا لأن الحق قد أجبره، لأنه على ما أعتقد، كان الأجدر به أن يتهم المسيحيين أيًا كانوا - وليس الوثنيين - بقتل جورج، ولكن هذا لا يمكن إخفاؤه.

فمن أين أتى د. زيدان بهذه المعلومة وربط بطريقة الخطأ بين مقتل جورج الكبادوكي الأريوسي الدخيل، والجماعة التي سمّاها جماعة محبي الآلام. ولماذا يلصق التهمة بالمسيحيين؟

ما قبل مقتل هيباتيا

ص ١٥٠، ١٥١ هيبا: إن كراهية البابا لهيباتيا كانت قد بلغت المدى. كانوا يقولون إن الحاكم أوريستوس طرد رجلاً مسيحياً من مجلسه، فغضب البابا. ويقولون إن الحاكم يعارض ما يريده البابا من طرد اليهود بعيداً عن الإسكندرية، بعدما طردهم الأسقف ثيوفيلوس إلى ربّع اليهود الكائن بالجهة الشرقية، وراء الأسوار.... أخذ الأسقف يعيد الصلاة حتى أخذ الناس النشيج ... ثم صار صوته نارياً متأججاً وهو يقول لهم: يا أبناء الله ... إن مدينتكم هذه هي مدينة الرب العظمى... ولقد طهرناها من اليهود، المطرودين. أعاننا الرب على طردهم، وتطهير مدينته منهم. ولكن أذيال الوثنيين الأنجاس، مازالت تثير غبار الفتن في ديارنا. إنهم يعيشون حولنا فساداً وهرطقة....

اعتقل أوريستوس الحاكم أحد أتباع القديس كيرلس واعتقله وعذبه علانية وذلك لمجرد الاشتباه في تهمة التجسس. وكانت

هذه هي بداية المتاعب التي أثارها الحاكم كما سنرى فيما بعد. ثم تطورت الأمور إلى أن تهورَّ أحد الرهبان وقذفه بحجر تعبيراً عن استيائه منه بسبب بعض ما أتاه من تصرفات غير لائقة، إذ أنه رفض محاولات الصلح التي قام بها البطريرك. كانت النتيجة أن عذب هذا الراهب عذاباً عنيفاً حتى مات.

إذن لم يكن الأمر مجرد أن الحاكم طرد رجلاً مسيحياً من مجلسه كما ادّعى د. زيدان. ولم يذكر أحدٌ من المؤرخين أن القديس ثيوفيلس قد طرد اليهود من الإسكندرية، لكنهم اتفقوا جميعاً على أنه قاوم الوثنية جداً وحوّل الكثير من البرابي ومعابد الأوثان التي خلت من الوثنيين إلى كنائس. وهذا أمر طبيعي إذ أنه معروف من الكتاب المقدس أن "كل آلهة الأمم شياطين"^{٥٨}، وعبادة الأوثان هي عبادة الشيطان. ولكن لم تذكر المراجع أية إشارة من قريب أو من بعيد لتورط القديس ثيوفيلس في قتل أي أحد من الوثنيين. ولم تذكر المراجع أيضاً أن هناك أية صلة بين القديس ثيوفيلس وطرد اليهود.

قضية طرد اليهود من الإسكندرية:

ذبح اليهود عدداً كبيراً من المسيحيين الأبرياء هبوا بناءً على نداء أطلقه اليهود أن هناك كنيسة تحترق، فلما هبّ المسيحيون الأبرياء لإنقاذ الكنيسة خرج عليهم اليهود من كمينهم وذبحوا عدداً كبيراً منهم. فتوقع القديس كيرلس أن يرد رعا

^{٥٨} مزمور ٩٥: ٥ (الترجمة السبعينية)

المسيحيين على المذبحة التي قام بها اليهود، فتدارك الموقف ولجأ إلى أن يوجه اليهود إلى وجوب سرعة مغادرة الإسكندرية، منعاً لمزيد من الدماء. والدليل على ذلك هو ما اتفقت عليه جميع المراجع العالمية في أنها لم تذكر أنه قد مات يهودي واحد في هذه الأحداث⁵⁹، فقط رحلوا خارج الإسكندرية. وقد ذكرنا ذلك في معرض مقالة الدفاع عن القديس كيرلس في مقتل هيياتيا. ولكن أولئك المغرضين الذين وضعوا على عاتقهم تشويه سمعة القديس كيرلس، صَوَّروا الموقف على غير حقيقته إمعاناً في تحقيق غرضهم.

وصف مقتل هيياتيا

وصف الدكتور زيدان مقتل هيياتيا ببشاعة زائدة تثير الاشمئزاز بدرجة تكفي أن يكره القارئ وبشدة، المسيحيين وبالأخص رجال الدين وعلى رأسهم البطريرك! ولكننا بعد أن نستعرض ما ذكره، سنأخذك عزيزي القارئ في جولة سريعة في ثنايا رسائل القديس كيرلس وتأملاته. ومن كلامه هو، يمكنك التعرف على هذه الشخصية المتميزة جداً والتي قلما يوجد الدهر بأمثالها. لتدرك معنا إلى أي مدى وصل الافتراء عليه، وذلك في فصل خاص عن ملامح شخصية القديس كيرلس بعد أن ننتهي من الدفاع عنه فيما يخص قضية مقتل هيياتيا.

ص ١٥٤ هيبيا: فاندفع إلى ناحيته أحدهم وهو يصيح صيحة هائلة ويُخرج من تحت رداءه الكنسي سكيناً طويلاً.. صدناً

⁵⁹ Wace and Piercy, p. 236.

وهنا يصور زيدان رجال الدين بطريقة منفرة جدًا وكأنهم سفاحون فعلاً.

ص ١٥٦، ١٥٧ هيبا: انفلت شعرها الطويل الذي كان ملفوفًا كالتاج فوق رأسها، فأُنشِب فيه بطرس أصابعه، ولوى الخصلات حول معصمه، فصرخت، فصاح: باسم الرب سوف نظهر أرض الرب... سحبها بطرس من شعرها إلى وسط الشارع، وحوله أتباعه من جُند الرب يهللون... الجذبة القوية انتزعت خصلات من شعرها، فرماها، نفضها من يده.. نظر بطرس ناحيتي بوجه ضبع ضخم، وتهلل وهو يقول: أيها الراهب المبارك، اليوم نظهر أرض الرب. وكان البقية يتجمعون حول فريستهم، مثلما تجتمع الذئاب حول غزال رضيع.. لما أوشكت أصابع هيباتيا أن تعلق بيدي الممدودة إليها، امتدت يد نهشت كُم ثوبها، فتطوحت كفها بعيداً عني، وتمزق الثوب في اليد الناهشة، فرفعه الناهش ولوح به، وهو يزرق بعبارة بطرس: باسم الرب سوف نظهر.. العبارة التي صارت يومها أنشودة للمجد الرخيص.

من المعروف أنه لم يتورط في مقتل هيباتيا أحدٌ من رجال الكهنوت، ولكن فقط بطرس القارئ ومعه مجموعة من الرعايا الثائرين. والقارئ في الكنيسة لا يُعد من رتب الكهنوت. فلماذا وعلى أي أساس ينسب د. زيدان الجريمة إلى رجال الكهنوت؟! ص ١٥٧ هيبا: لم استطع انتزاع عيني عن جثة أوكتافيا التي أهاجت دماؤها الصخب، فاشتدت بجند الرب تلك الحمى التي تتملك الذئاب حين توقع صيداً. صارت عيونهم الجاحظة مثل عيون المسعورين، وهاجت بواطنهم طلباً لمزيد من الدم والافتراس..

ص ١٥٨ هيبا: هيباتيا.. أستاذة الزمان.. النقية.. القدسية.. الربة التي عانت آلام الشهيد، وفاقت بعذابها كل عذاب.

ص ١٥٩ هيبا: وسكنت صرخات هيباتيا، بعدما بلغ نحيبها من فرط الألم، عنان السماء. عنان السماء، حيث كان الله والملائكة والشيطان يشاهدون ما يجري ولا يفعلون شيئاً. هيبا.. ما هذا الذي تكتبه؟

هيبا لعزازيل: اسكت يا عزازيل، "اسكت يا ملعون".
قال **هيبا لعزازيل:** "اسكت يا ملعون" تعليقاً على الجملة السابقة،
وليس تعليقاً على تشكيك عزازيل في عقيدة التجسد عندما قال
لهيبا: "التجسد خرافة" ص ٣٦٢، كما ادّعى د. زيدان في برنامج
البيت بيتك في التليفزيون.

ص ١٦٠ يقول د. زيدان على لسان هيبا، بعد مقتل هيباتيا:
أفقت من ذهولي، على حيرتي في مقصدي، هل أعود للكنيسة
المرقسية.... فأشارك الأخوة هناك احتفالهم بنشوة الظفر والانتصار على
آخر رموز الوثنية الغابرة، وأعلن معهم الابتهاج باستعلان الديانة
واستيلائها التام على المدينة؟ أم ألقى بنفسي على الجمر الباقي حول جسد
هيباتيا فأحتضنه.... أوكتافيا... حاولت حمايتها... فصارت جثة ملقاه
على جانب الطريق مكفنةً بدمائها الطاهرة.

ص ١٦١ عن هيباتيا يقول **هيبا:** وأنا لم أعت شقيقة يسوع من أيدي
أخوتي في الديانة.. لكنهم ليسوا أخوتي.. أنا لست منهم، ولست مني.
ص ١٧٥ **نسطور:** كيرلس دفع لهذه اللجنة القضائية (التي أرسلها
الإمبراطور للتحقيق في مقتل هيباتيا) رشاًوي كثيرة، وبذل لهم الهدايا
النفيسة حتى ينطمس الأمر؟

من الطبيعي أن تسقط هذه الدعوى بسقوط اتهام القديس كيرلس
أصلاً بمقتل هيباتيا. فهو ليس له علاقة بالجريمة فما الذي
يضطره أن يفعل ذلك؟

وما هو مرجع الدكتور زيدان في هذه المعلومة التي ليست لها
أية علاقة بالواقع المتفق عليه والثابت تاريخياً في جميع المراجع
العالمية الموثوق في مصادرها. إذ لم يُقر به أبداً أي من
المؤرخين، حتى ولا المعادين للقديس كيرلس.

كنمهد لإعادة تقييم قضية مقتل هيباتيا ودور القديس كيرلس
فيها، نورد هنا بعض مقتطفات من مقال لـ بريان ويتفيلد Bryan

J. Whitfield وهو يعرض لنا الخلفية التاريخية التي تساعدنا على فهم المقال التالي لهذا المقال.
مقتطفات من مقال:

حلاوة العقلانية

إعادة تقييم هيپاتيا الإسكندرية⁶⁰

بريان ويتفيلد

منذ كتابات القرن السادس للكاتب داماسيوس Damascius إلى الكتاب الأكثر حداثة مثل تشارلز كنجسلي Charles Kingsley، وإدوارد جيبون Edward Gibbon، وكارل ساجان Carl Sagan، نجد أن مأساة قتل هيپاتيا قد استخدمت كحدث للتعبير اللئيم الذي يزيّف وقائع التاريخ، إما لخدمة قصة أكبر، أو للدعاية. هؤلاء المؤرخون المتحيزون يقدمون هيپاتيا كشهيدة وثنية شريفة، وعذراء ضحية قُتلت بتحريض من القديس كيرلس، أسقف الإسكندرية المسيحي "الشرير"، من أجل رفضها التخلي عن ديانة اليونانيين. فصارت هيپاتيا تجسيدًا للحضارة الإغريقية التي تم تدميرها بواسطة هجوم المسيحية الطائش، وهي الحضارة التي تمثل خلاصة ما وصلت إليه حكمة القدماء.

ربما تصلح قصة مقتل هيپاتيا أن تكون قصة مسرحية من نوع رفيع، ولكنها فقيرة تاريخيًا وتسئ إلى أعمال هيپاتيا الحقيقية

⁶⁰ Bryan J. Whitfield, "The Beauty of Reasoning: A Reexamination of Hypatia of Alexandria," *The Mathematics Educator*, Volume 6 Number 1: 14-21.

وتتجاهل استمرارية التقليد الفلسفي السكندري بعد موتها. لذلك فإن فحص دلالتها لابد أن يبدأ بدحض هذه الصورة المثالية ثم متابعة تطور سيرتها وأعمالها باستخدام مصادر تاريخية أكثر وثوقاً بالإضافة إلى الاستنتاجات المنطقية التي يمكن الوصول إليها من السياق الفكري والحضاري الذي عاشت فيه.

حل العُقد الجدلية polemical

إن محاولة استخدام موت هيباتيا كهدف جدلي بدأ أولاً مع كتابات داماسيوس Damascius العلامة الأثيني وآخر رئيس للأكاديمية قبل أن تغلق بواسطة جوستينيان. لقد كتب من منفاه، كأحد آخر الوثنيين (آخر واحد منهم)، وإذ كان شغوفاً بأن يستغل فضيحة موت هيباتيا، فقد نسب مسؤولية موت هيباتيا إلى أتباع كيرلس، حتى يتصورها القراء كأنها شهيدة الهيلينية، وذلك في مقابلة مع الإمبراطور يوليانيوس الذي جعلوا منه بطلاً، وهو الذي سعى لإعادة الوثنية كديانة للإمبراطورية، وقُتل -كما قيل- بواسطة مسيحي خائن (Lacombrade^{٦١}, 1978; Chuvin^{٦٢}, 1990). إلا أن موت يوليانيوس لا يُعتبر استشهاداً بالقدر الذي يعتبرون به قتل هيباتيا.

كان لآراء داماسيوس تأثيرها في العصور القديمة؛ فكانت أساساً لكثير من المعلومات التي وردت في الموسوعة المعجمية البيزنطية المعروفة بسودا Suda والتي أثّرت بقوة على التقارير الخاصة

⁶¹ Lacombrade, C. (1978). Introduction. In Synesios de Cyrene, Tome I: *Hymns, texte et traduction*. Trans. C. Lacombrade. Paris: Societe d'edition les belles lettres.

⁶² Chuvin, Pierre. (1990). *A Chronicle of the Last Pagans*. Trans. B. A. Archer. Cambridge: MA: Harvard University Press.

بموت هيباتيا. كما أنه من المرجح أن يكون داماسيوس قد أثر على مصادر المعلومات البيزنطية الأخرى عن هيباتيا، بما في ذلك كتابات فوتيوس Photius وجوهانز مالالاس Johannes Malalas ونيكفورس كالستوس Nicephorus Callistus (Ogilvie^{٦٣}, 1986;) (Lacombrade, 1978).

على أن أسلوب التحيز لهيباتيا لم يقتصر على المؤرخين البيزنطيين فقط، بل إننا نجد أن المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبون، كمنظيره الأثيني، قد عمد على تشويه سمعة كيرلس، فبدأ وصفه لموت هيباتيا بالتعليق التالي: إن الأسقف: "تأهب سريعاً أو قبل ذبيحة عذراء" (Gibbon^{٦٤}, 1946, p. 1562). وكان جيبون طوال روايته حريصاً على التركيز على الصراع بين هيباتيا العفيفة وكيرلس الإنفعالي الذي، من ضمن أخطاء أخرى له، "كان ينظر بعين الغيرة إلى موكب الخيول والعبيد الرائع المزدهم عند باب أكاديميتها" (Gibbon, 1946, p. 1562).

وفي وصف جيبون لموت هيباتيا اقتبس كمصدر له كتابات المؤرخ الكنسي سقراط المعاصر لها. لكن المصدر الرئيسي لجيبون لم يكن سقراط وإنما تقرير المعجم المعروف بالسودا (Suda) (Suidas)، وهو معجم بيزنطي من القرن العاشر أو الحادي عشر اعتمد على آراء داماسيوس. وحتى في اختياره لمصدر مادته، كانت النقطة الجدلية

⁶³ Ogilvie, M. B. (1986). *Women in Science: Antiquity Through the Nineteenth Century*. Cambridge, MA: The MIT Press.

⁶⁴ Gibbon, E. (1946), *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*, 3 vols. New York: The Heritage Press (p. 1562).

لجيبون واضحة مثله في ذلك مثل دامايسيوس. وحتى عنوان مجلده التاريخي يدل على أن النموذج الذي يحتذي به هو نموذج منحرف. فقد سجل جيبون تاريخاً صور فيه التعارض المعقد بين العقلانية الهيلينية والعاطفية المسيحية، وقد رأى "التحول من الفيلسوف القديم إلى الراهب المسيحي كصورة مصغرة من 'الانحدار والسقوط' في الحضارة القديمة" (Shiel⁶⁵, 1968, p.112). وعليه، فقد طعم جيبون رؤيته الجدلية عن النزاع بين الوثنية والمسيحية بواسطة طريقة عرضه لتاريخ هيباتيا. فالتفاوت بين كيرلس "المتعطش للدماء" وهيباتيا الحكيمة قدم له واحدة من سلسلة الأدوار التي تبرز الصراع الكبير بين الثقافتين المتعارضتين. فكان موت هيباتيا بالنسبة له ببساطة هو فرصة لتعزيز جدّله ضد نمو المسيحية.

وإذا كان المؤرخون مثل دامايسيوس وجيبون متلهفين لاستخدام موت هيباتيا كغرض للجدل ضد المسيحية، فإن هناك آخرين كانوا متلهفين لاستخدام هذا القتل لأغراضهم الطائفية. فبمعطيات هذا الهجوم ضد كيرلس، أصبحت قصة هيباتيا وسيلة سهلة للجدل البروتستانتي ضد الكاثوليكية التي يمثلها هذا الأسقف. ففي القرن الثامن عشر كتب جون تولاند John Toland وهو معاصر لجيبون، مدحاً في هيباتيا ضد الإكليروس بعنوان "هيباتيا" فقال: "هيباتيا: أو تاريخ السيدة الأكثر جمالاً، والأكثر فضيلة، والأكثر علماً،

⁶⁵ Shiel, James. (1968), *Greek Thought and the Rise of Christianity*. London: Longmans Green and Company (p. 112).

والناجحة في كل شيء؛ التي تم تمزيقها إلى قطع بواسطة كهنة الإسكندرية، إرضاءً لكبرياء ومنافسة وقسوة رئيس أساقفتهم الذي يدعى -بدون استحقاق- القديس كيرلس" (Ogilvie, 1986). وبعد مرور أكثر من مائة سنة على ذلك، واصل الكاتب الروائي الإنجليزي تشارلز كنجسلي Charles Kingsley في القرن التاسع عشر هذا الجدل ضد الكاثوليك في روايته الطويلة "هيباتيا أو الأعداء الجدد بوجه قديم" (Kingsley^{٦٦}, 1853). هؤلاء الأعداء الجدد كانوا من دائرة جون هنري نيومان John Henry Newman الذي صار هدفاً لنقد كنجسلي المستمر منذ تحوله إلى الكاثوليكية. فقد أدار كنجسلي حملة ضد الكاثوليكية من خلال الصحافة ومن خلال رواياته (Trevor^{٦٧}, 1963). هكذا كشفت هذه الرواية عن وجهة نظر كنجسلي الخاصة، أكثر مما كشفت عن هيباتيا التاريخية، والتي لا تحمل بالتأكيد أي شبه لبطلنة الرواية العاجزة المتباهية والشهوانية (Snyder^{٦٨}, 1989, Rist^{٦٩}, 1965). لكن بينما تمثل رواية كنجسلي ذروة الاستخدام الجدلي لقصة هيباتيا إلا أن ميراثها لم يحظَ بالنصيب الكافي في القرن الحالي. ففي الوصف الأكثر انتشاراً لموت هيباتيا، يرسم كارل ساجان Carl Sagan صورة واضحة لهيباتيا لكنه مثل داماسيوس وجييون من

⁶⁶ Kingsley, C. (1853) *Hypatia: New Foes with an Old Face*. Rpt. New York: Garland Publishing, 1975.

⁶⁷ Trevor, M. (1963). *Newman: Light in Winter*. Garden City, NY: Doubleday.

⁶⁸ Snyder, J. M. (1989). *The Women and the Lyre: Women Writers in Classical Greece and Rome*. Carbondale, IL: Southern Illinois University Press.

⁶⁹ Rist, J. M. (1965). *Hypatia. Phoenix*, 19, pp. 214-225.

قبله، يُصعّد المقارنة بين كيرلس وهيباتيا كأمثلة لانتصار الانفعال المسيحي الغير منطقي على شجاعة وعفة وحكمة الهيلينية فيقول:

وقفت هيباتيا في المركز بالنسبة لهذه القوى الاجتماعية الجبارة، فقد كرهها كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية بسبب صداقتها القوية للحاكم الروماني، ولأنها كانت رمزاً للعلم وللعلوم التي كانت في الكنيسة الأولى ترتبط بالوثنية. ورغم تعرضها لمخاطر شخصية إلا أنها استمرت في التعليم والنشر، حتى سنة ٤١٥م، حينما كانت في طريقها لعملها حيث هاجمها رعا ع متعصبون من أتباع كيرلس، فجرّوها من مركبتها، قطعوا ملابسها وسلخوا جلدها من عظمها بأصداف بحرية. ثم حُرقت بقاياها ومُحيت أعمالها ونُسي اسمها. وأُعلن كيرلس قديساً (Sagan^{٧٠}, 1980, pp. 335-336).

ولسوء الحظ لم تحظَ هيباتيا بالنصيب الكافي حتى في كتب تاريخ الرياضيات. فقد سجل بورتون (1985) Burton^{٧١} أن هيباتيا: كان لها دور في آخر محاولة لمعارضة الديانة المسيحية. فكرمز حي للحضارة القديمة، قُدّر لها أن تكون رهناً في النزاع السياسي للسيادة في الإسكندرية.

⁷⁰ Sagan, C. (1980). *Cosmos*. New York: Random House, (pp. 335-336).

⁷¹ Burton, D. M. (1985). *The History of Mathematics: An Introduction* (2nd ed.)
Dubuque, IA: Wiliam C. Brown Publishers. (p. 242).

ومع أن بورتون كان حريصاً على أن يتجنب الجدل ضد كيرلس، وهو بحق ينسب سبب موت هيباتيا إلى عنف الرعاع، إلا أنه أصر على أن يجعل هيباتيا ممثلة للوثنية التي كانت تتعارض مع قوة المسيحية المتزايدة.

يصمم (1965) Rist ريست بقوله: "يجب أن ننقل من الخيال والانحدار العاطفي للتاريخ إلى الحقائق" (p. 215).

إن تقرير المؤرخ الكنسي سقراط الذي كان معاصراً لهيباتيا له أهمية خاصة في هذه المأمورية إذ أنه مصدر قديم وأكثر موضوعية بالمقارنة بدماسيوس.

لقد صار دور كيرلس، رئيس أساقفة الإسكندرية، في موت هيباتيا دوراً مركزياً في جدل الكتاب أمثال جيبون وكنجسلي. فادعائهم بتورط رئيس الأساقفة المباشر في القتل سمح لهؤلاء الكتاب بأن يصفوه بأنه رمزٌ لمسيحية مليئة بالعواطف وبعدم العقلانية، ورمز يوضح التناقض الصارخ مع هيباتيا. إلا أن الفحص الدقيق للمصادر غير المتحيزة يكشف لنا عن عدم ظهور أي تورط مباشر لكيرلس في مقتل هيباتيا. حتى كاتب السودا

Suda نفسه كان مدركاً تباين المصادر التي استند إليها: فكتب إن هيباتيا "عانت من هذه المعاملة بسبب الحسد وبسبب حكمتها السامية خاصة في مجال علم الفلك؛ والبعض يقولون إن الحسد كان من جانب كيرلس، بينما آخرون يدّعون أن هذه الأحداث تمت بسبب الاندفاع الفطري والميل نحو التحريض على الفتنة بين السكندريين"

(quoted in Snyder, 1989, pp. 115-116)

علاوة على ذلك، فإن سقراط يضع حادثة موت هيبياتيا ضمن سياق أشمل هو شغب المدنيين الإسكندريين. ففي الفصلين السابقين لحديثه عن سيرة هيبياتيا، نجده يصف سلسلة أحداث من خطين متداخلين: الأول هو زيادة عنف الرعاع، والثاني هو زيادة الشقاق بين كيرلس وأورستس Orestes والي الإسكندرية. (Socrates⁷², 1952; see also the summary in Chuvín, 1990)

ويعلق سقراط في مقدمته لهذين الفصلين بما يلي:

إن عامة الشعب الإسكندري يسعد بالشغب عن أي شعب آخر؛ ففي أي وقت تسمح له الفرصة يندفع بطريقة مفرطة ومبالغ فيها، ولا يتوقف إلا بإراقة الدماء.

(Socrates, 1952, p. 159)

هكذا أيضًا يؤكد ألان بومان أنه من نهاية القرن الثالث فإن تاريخ الإسكندرية كان تاريخاً من العنف المتكرر وهذا نشأ جزئياً نتيجة للتعددية في المدينة. فقد كان هناك عنف ضد اليهود حتى منذ عهد فيلو Philo. لكن بقيام المسيحية كانت الخصومة الأكثر شيوعاً هي بين الوثنيين والمسيحيين. هذا التاريخ المستمر للصراع أحدث سلسلة من أحداث العنف المتكرر أدت إلى تآكل الطبقات الاجتماعية وحطمت آثار الحضارة المتبقية. فرعاع الإسكندرية

⁷² Socrates Scholasticus. (1952). *The Ecclesiastical History*. In P. Scaff and H. Wace (Eds.), *A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church* (Vol 2). Grand Rapids, MI: W.B. Erdmans.

خربوا عمدًا السرايوم عام ٣٩١م [كان ذلك بناءً على منشور من الإمبراطور، انظر ص ٦٤، ٦٦ في كتابنا هذا]، حينما كانت هيباتيا في بداية العشرينات من عمرها (Bowman^{٧٣} 1986). كما أن العنف المتكرر خلق جواً متقلباً يسهل معه هياج حركة الرعاع أيًا كان السبب، حقيقي أم خيالي (Bowman 1986).

لكن سقراط يلخص الحدث بحرص بقوله: إنها (أي هيباتيا) وقعت "كضحية للغيرة السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت" (Socrates, 1952 p. 160).

ليس هناك أقل دليل يربطه (أي كيرلس) مباشرة بموت هيباتيا. لذلك فإنه من أجل الأمانة، لا يمكن حسابها كشهيدة للهيلينية. بل يجب أن يحسب موتها بالأحرى أنه نتيجة مأساوية لعنف الرعاع ضد الصراع السياسي بالإسكندرية.

* * *

⁷³ Bowman, A. K. (1986). *Egypt After the Pharaohs: 332 BC-AD 642 from Alexander to the Arab Conquest*. Berkeley: The University of California Press, 1986.

الدفاع عن القديس العظيم كيرلس الإسكندري في قضية مقتل هيباتيا

يُعتبر القديس كيرلس هو الأب المشترك للكنيسة الجامعة، وصيغته اللاهوتية الخاصة بطبيعة السيد المسيح: "طبيعة واحدة متجسدة لله

الكلمة" *μία φύσις τοῦ θεοῦ λόγου σεσαρκωμένη*

mia physis tou Theou Logou sesarkomeny

تُعد حجر الزاوية في جميع الحوارات المسكونية الخاصة بطبيعة السيد المسيح. وتعتبره الكنيسة اليونانية المرجع الأعظم في كل المشاكل الكريستولوجية. وقد دعاه أنسطاسيوس السينائي (بُعِيد ٧٠٠م) بـ "خاتم الآباء" لأنه جمع تراث التقليد الآبائي في تعليمه الثالوثي لذلك فهو يختتم عهد الآبائية في العالم اليوناني. ولُقِّب بـ "عالم الكنيسة اللاهوتي" في ١٨٨٢م، وتمجده الكنيسة اليونانية في مدائحها قائلة:

السلام لك أيها النجم اللامع المحارب المدافع عن العذراء
القديسة، والذي ارتفع صوته على كل الرؤساء في أفسس
بأنها والدة الإله.. ابتهج أيها المبارك كيرلس، ينبوع
اللاهوتيات، ونهر معرفة الله. لا تتوقف عن أن تتشفّع عنا
أمام المسيح^{٧٤}.

⁷⁴ St. Cyril of Alexandria, *On the Unity of Christ*, trans., John Anthony McGuckin, (New York: St Vladimir's Seminary Press, 1995), p. 32.

وتكرم الكنيسة السريانية أيضاً القديس كيرلس في ليتورجيتها في
تذكار الآباء والمعلمين (الملافنة) فتقول:

وبالأخص مار قوريللس (القديس كيرلس) العظيم، البرج
العالي الذي بثبات وبكل إخلاص برهن على تأنس كلمة
الله، ربنا يسوع المسيح المتجسد^{٧٥}.

وهكذا نلاحظ مدى تكريم الكنائس الأخرى (غير كنيسة الإسكندرية)
لهذا القديس العظيم.

إنه لخطأ تاريخي بل واجحاف أن يُتَهم هذا القديس العظيم البابا
كيرلس بطريك الإسكندرية الـ٢٤ (٤١٢-٤٤٤م) بالتحريض على
قتل هيئات الفيلسوفة الوثنية (٤١٥م). حيث نتج عن ذلك زعم
تاريخي قاصر ليس له أي أساس، ضد واحد من أعظم اللاهوتيين
الأقباط الكبار الأكثر شهرة والذي تطلق عليه الكنيسة القبطية لقب
"عمود الإيمان الأرثوذكسي".

وتُعرف حياة القديس كيرلس بالتقوى والقداسة ومحبة الدفاع
عن الحق. ولم تذكر سيرة حياته حدوث أي شيء أو فعل من جانبه
يقودنا إلى الاعتقاد بأنه كان مسؤولاً عن قتل الفيلسوفة. وحقيقةً إنه
ليس فقط من السذاجة افتراض أن يُعد القديس كيرلس مسؤولاً عن
قتل هيئات، ولكن هذا الاستنتاج أيضاً يتجاهل بالضرورة تحليل
سياق اجتماعي-ثقافي أكبر وأوسع للحياة الدينية في الإسكندرية

^{٧٥} نيافة المطران مارثاوفيلوس جورج صليبا، *خبر الحياة*: كتاب القديس الإلهي حسب طقس
كنيسة إنطاكية السريانية الأرثوذكسية، جبل لبنان ٢٠٠٢م، ص ٢٣٠، ٢٩٨، ٣٦٩.

في القرن الخامس. إن الإصرار على نسبة هذا الفعل الوحشي إلى القديس كيرلس الكبير، يُقَوِّض ما ينادي به من إيمان مستقيم وبنال من صفاته الأخلاقية القوية، وهو الشخصية التي تُكرم ليس فقط بين المسيحيين الأرثوذكس الأقباط بل المسيحيين الأرثوذكس في العالم أجمع كما أشرنا.

من المعروف إن كتابة التاريخ لا تتصف أبداً بالموضوعية الكاملة، لكنها عادةً ما تتمازج بسياسة السلطة. والمؤرخ له دائماً برنامج سياسي ديني أو اجتماعي ينشره بواسطة كتابته لنمط معين من التاريخ. وغالباً ما توجد دوافع أكبر هي التي توجه قلم المؤرخ الذي عادةً ما يتأثر سواء بالبيئة الثقافية أو الحضارية المحيطة والمعاصرة -بما فيها من ضغوط- أو بما يميل إليه هو شخصياً من آراء أو أفكار أو اتجاهات معينة. وهذا يعني أنه يجب أن نسأل أنفسنا هذا السؤال الجوهرى: لماذا وضعت بعض المصادر اللوم على القديس كيرلس، وكيف حقق لهم ذلك تعزيزاً لأهدافهم السياسية الخاصة؟ وأخيراً أيضاً يجب أن نسأل: ما الذي يضطرنا أن نقبل هذه الوثائق التاريخية التي تلقي اللوم على القديس كيرلس في قتل هيئاتها وكأنها نوع من الحقيقة الموضوعية؟ ولماذا يجب أن نقبل هذه الاتهامات بدون أن نتحرى صدقها من عدمه.

هذه هي نفس الظاهرة التي حدثت مثلاً في تلقيب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية خطأً بلقب "مونوفيزايت" Monophysite أي "أصحاب الطبيعة الوحيدة"، مع أن الكنيسة القبطية تؤمن بطبيعة

واحدة متحدة من طبيعتين للسيد المسيح استمر فيها الوجود الديناميكي للطبيعتين بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال. فتسمية "مونوفيزايت" هي بلا شك تسمية تاريخية سائدة تسعى أن تعزز نوعاً معيناً من التاريخ بدون أن توضع في الاعتبار التسمية المقابلة أو المضادة (أي أن الكنيسة القبطية ليست مونوفيزيتية). والسؤال هنا: لماذا يُلقب كثير من المؤرخين الكنيسة القبطية بالمونوفيزيتية؟ ذلك لأنهم لم يرجعوا إلى المصادر ولم يدرسوها دراسة نقدية ولم يتعرفوا على الدوافع التي وراء تلك التسمية التاريخية الخاطئة. وهكذا نجد أنه من المهم أن تُراجع مثل هذه الوثائق التي تصنع هذه الادعاءات، والمؤرخ الجيد يجب عليه أن يفعل ذلك بكل أمانة.

هذا البحث هو رد أو نوع من الرواية المقابلة في مواجهة بعض هذه الكتابات التاريخية السائدة والتي بسذاجة تضع لوم غير واجب على القديس كيرلس في مقتل هيياتيا.

السنوات الأولى لباباوية القديس كيرلس

كانت السنوات الأربع الأولى لباباوية القديس كيرلس سنوات عاصفة، حيث كان على عاتقه أن يدافع عن الإيمان الأرثوذكسي المقدس ضد الهرطقة النوفاتيين (الذين رفضوا توبة الذين أنكروا الإيمان أثناء الاضطهاد)، وأن يرد على عنف ودسائس اليهود لكي يتمكن من إنقاذ قطيعه. وكان من واجبه أيضاً أن يوجه شعبه

ويبعدهم عن الفلسفة الوثنية. وهكذا نجد أنه كان على القديس كيرلس أن يحارب في عدة جبهات. بالإضافة إلى أن أورستوس حاكم الإسكندرية (والذي كان يريد أن يعين الأرشيدياكون تيموثاوس بطريركاً بدلاً من القديس كيرلس قبل رسامته بطريركاً) خلق مشاكل كثيرة للقديس كيرلس منذ بداية أسقفيته.

وندلل على ذلك بالمقتطفات الآتية والمأخوذة من عدة أعمال تاريخية متنوعة:

يقول A. Louth:

انتُخب البطريرك في عام ٤١٢م لكي يخلف خاله، ولم يكن هذا هو الاختيار المفضل للهيئات المدنية. وكانت السنوات الأولى لأسقفيته مضطربة.^{٧٦}

يكتب S. J. Davis:

منذ وقت انتخاب كيرلس في عام ٤١٢م وجد البطريرك نفسه في خلاف حاد مع القوات المدنية لحكومة الإسكندرية. وكان قد انتُخب بالرغم من المعارضة الشديدة للقيادات المحلية العسكرية.^{٧٧}

⁷⁶ Frances Young, Lewis Ayres, and Andrew Louth, eds, *The Cambridge History of Early Christian Literature: First Edition* (Cambridge University Press, 2004), p. 353.

⁷⁷ Stephen J. Davis, *The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church and its Leaders in Late Antiquity* (Cairo: American University in Cairo Press, 2004), p. 72.

يعلق F. Young:

كانت الإسكندرية في كل الأحوال مدينة عالمية تميل إلى الاضطرابات والشغب، مع وجود مشاحنات عرقية [عنصرية] لها طبيعة مستوطنة. وكان العنصر الثالث الذي هو عامة المسيحيين دائماً محاصراً من الوثنيين واليهود، ولكنه مع ذلك كان قوياً في تأثيره وأعداده. هل أثار كيرلس أية متاعب؟ وهل هي سلسلة من الصُدَف وحدها أثارت الاختلافات كما يحدث غالباً عندما ينقسم سكان المدن المزدهمة إلى أجناس وعقائد مختلفة؟⁷⁸.

يعلق J.A. McGuckin:

إن أفعال كيرلس المبكرة كبطريك تبينه كمُصلح حاول أن ينظم إدارته الكنسية، ولكنه لم يتمكن تماماً من السيطرة على القوات الشعبية التي اعتمدت عليها قاعدة سلطته⁷⁹.

أوريستوس: المتسبب في اندلاع العنف

هناك حقيقة يعرفها من يقرأ التاريخ بصدق، وهي أن أوريستوس حاكم الإسكندرية كان هو المتسبب في اندلاع العنف، عندما اعتقل أحد الأنصار المتحمسين للقديس كيرلس وعذبّه علانية لمجرد أنه

⁷⁸ Frances Young, *From Nicaea to Chalcedon* (London: SCM Press, 1983), p. 243.

⁷⁹ John Anthony McGuckin, *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy: Its History, Theology & Texts*, (Leiden: E.J. Brill, 1994), p. 7.

شك -بوشاية من اليهود- في قيامه بالتجسس لحساب القديس كيرلس.

يكتب Young:

إن أول اندلاع للعنف كان عندما تم ضبط أحد الأنصار المتحمسين لكيرلس وهو يتصنّت في وقت كان فيه الحاكم يصدر تنظيمات [أو قوانين رسمية] بخصوص العروض اليهودية في السبت. واعتقل أوريستوس جاسوس كيرلس المزعوم وعذّبه علانية⁸⁰.

وكتب Davis:

إن خلافات كيرلس مع الحكومة وخصوصاً مع أوريستوس، تصاعدت بسرعة أثناء الشغب والاضطرابات التي حدثت بين المسيحيين واليهود في المدينة. وفي ليلة هذا الشغب كان أوريستوس قد اخضع أحد اتباع كيرلس-وهو معاونه الأكثر حماساً- لتعذيب علني بسبب الاشتباه في تهمة التجسس⁸¹.

واندلاع العنف -بصرف النظر عن الشكاوى المتكررة التي قدمها أوريستوس ضد القديس كيرلس للبلاط الإمبراطوري- يبرهن بقوة على أن أوريستوس أراد إثارة المتاعب ضد القديس كيرلس لكي يتخلص منه. وتخيل أوريستوس أن القديس كيرلس كان منافساً له،

⁸⁰ Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

⁸¹ Davis, *The Early Coptic Papacy*, p. 72.

بل أن شهرة البطريك وسط قطيعه، وأيضاً معرفة الشعب القبطي ونظرته للبطريك على أنه الراعي الصالح الذي يبذل نفسه لأجلهم، ربما جعلت أوريستوس يشعر أن سلطته على المدينة قد باتت في خطر.

تصاعد التوتر بين المسيحيين واليهود

يعطي Young نبذة قصيرة ولكنها دقيقة عن أحداث التوتر الذي حدث بين المسيحيين واليهود في الإسكندرية: يقول Young:

اشتكى كيرلس لقادة اليهود الذين تأمروا حثيثاً ضد المسيحيين. ففي الليل أطلقوا صيحة عالية أن كنيسة معينة تحترق، ثم ذبحوا جميع المسيحيين الذين هبوا للمساعدة في إطفاء الحريق.⁸²

وهنا نلاحظ بوضوح كيف أن المسيحيين ذبحوا ومع ذلك لم يتخذ أوريستوس الحاكم أي موقف. أما القديس كيرلس فكراخ صالح تحرك بأسرع ما يمكن لكي ينفذ قطيعه ولكي يمنع المزيد من نزف الدماء، ومع شعبه المسيحيين أخرجوا اليهود خارج المدينة. ولكنه لم يأمر بقتل ولا يهودي واحد منهم بالرغم من موت مسيحيين كثيرين في تلك الليلة. وكتب القديس كيرلس للإمبراطور قائلاً إنه

⁸² Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

"كان يدافع عن مصالح المسيحيين في المدينة في وجه هجمات قاسية"^{٨٣}.

"البارابالاني" Parabalani

كتب Young إنه بعد حادثة اليهود، عندما أحسوا بالحاجة لمساعدتهم "أتى حوالي خمسمائة راهب إلى المدينة من صحراء نيتريا للدفاع عن بطيريكهم"^{٨٤} وذلك يثبت من الوهلة الأولى أن الرهبان أتوا فقط بعد حادثة اليهود. سُمي هؤلاء الرهبان بالبارابالاني وقد أتوا من الصحراء للدفاع عن بطيريكهم وشعبهم ضد الأفعال العنيفة مخاطرين بحياتهم من أجل الإيمان المسيحي الأرثوذكسي. وقد نشأت خدمة "البارابالاني" أصلاً في مصر مع خدمة دفن جثث آلاف الشهداء وكذلك دفن ضحايا الأوبئة.

ملحوظة على لقب أو تسمية "البارابالاني"

معناها باليونانية "يخطر أو يغامر" أي "يُعَرِّض نفسه للخطر"، ويدل الاسم على أعضاء أخوية في الكنيسة الأولى، ظهرت أولاً في الإسكندرية ثم في القسطنطينية، كان عملهم العناية بالمرضى ودفن الموتى. وقد خاطروا بحياتهم بتعرضهم للأمراض المعدية والتي غالباً ما تكون بدأت أثناء الأوبئة. كما أنهم كانوا على نوع ما حراساً للبطيريك وكانت أعدادهم صغيرة. حددت the Codex

⁸³ McGuckin, *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy*, p. 15.

⁸⁴ Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

Theodosianus عام ٤١٦م عدد الملتحقين بـ ٥٠٠ فقط في الإسكندرية وزاد العدد فيما بعد إلى ٦٠٠، بينما في القسطنطينية كان قد انخفض عددهم من ١١٠٠ إلى ٩٥٠ وذلك تبعاً لـ the Codex Junstinianus. يتم اختيارهم بواسطة البطريرك وتحت سيطرته... وكانوا يُعدون ضمن رجال الإكليروس وتمتعوا بامتيازاتهم. شاركوا في الحياة العامة وإن كان حضورهم في الاجتماعات العامة أو في المسارح ممنوعاً قانونياً. ويبدو أنهم لم يُذكروا بعد عصر جوستينيان^{٨٥}.

ويجب التفريق بين "البارابالاني" ورعاع المسيحيين الذين قتلوا هيباتيا. فلم يكن "للبارابالاني" أي دور في قتلها^{٨٦}، ولكن كما سنرى سيوضع اللوم كاملاً وبحق على رعاع المسيحيين.

الوثنية والوثنيون بالنسبة للأقباط

كتب Young أن "البارابالاني"

باغتوا أوريستوس في عربته. وإنه لمن الواضح أن الرهبان نظروا إلى أوريستوس على أنه ممثل للوثنية، بالرغم من اعتراضاته بأنه عُمِد بواسطة بطريرك القسطنطينية. ثم أساءوا معاملته وقذف أحدهم حجراً اصطدم برأس

⁸⁵ James Dixon Douglas, ed., *The New International Dictionary of the Christian Church: Revised Edition* (Michigan: Zondervan 1978), p. 747.

⁸⁶ Susan Wessel, *Cyrill of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic* (New York: Oxford University Press, 2004), p. 56.

أوريستوس. واندفع كل شعب المدينة لانقاذه. وعُذب
الراهب الذي أذى الحاكم عذاباً عنيفاً حتى مات^{٨٧}.

ويلخص Davis مسلسل الأحداث كما يلي:

بعد استبعاد كيرلس لليهود من أجزاء معينة في المدينة،
أرسل أوريستوس خطاباً للإمبراطور يشكو من أنشطة
كيرلس. وعندما رفض أوريستوس محاولات الصلح التي
قام بها البطريرك، تحرش به مجموعة كبيرة من الرهبان
أنصار كيرلس في شوارع الإسكندرية بينما كان في عربته،
وصرخ عدد منهم بإهانته وسموه "وثنيًا". وألقى أحد
الرهبان المتحمسين بشدة ويدعى أمونيوس، حجراً على
أوريستوس وأصابه في رأسه. ومرة أخرى كان رد
أوريستوس الرسمي سجن الطرف المهين وتعذيبه، ومات
أمونيوس كنتيجة للتعذيب الشديد^{٨٨}.

وفيما يتعلق بما سبق لابد أن يؤخذ في الحسبان مايلي:

أولاً: إن أبرز نقطة تستحق الالتفات هي حقيقة أنه قبل هذا
الحادث بين "البارابالاني" وأوريستوس وقبل قتل هيباتيا، حاول
القديس كيرلس المصالحة مع أوريستوس ولكن بدون جدوى. وأنه
لمن المرجح جداً إنه لو قبل أوريستوس الصلح لكان من الممكن
فعلاً أن يمنع ذلك سلسلة الأحداث التي انتهت بمقتل هيباتيا. وهكذا

⁸⁷ Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

⁸⁸ Davis, *The Early Coptic Papacy*, p. 72.

نجد أنه ليس من الدقة في شيء أن يوصف القديس كيرلس بالإجرام، بينما في الحقيقة كان أوريستوس هو الذي رفض السلام الذي عرضه القديس كيرلس.

ثانيًا: لم يُعطَ أي اهتمام لمناصر القديس كيرلس المتحمس الذي عذبه أوريستوس علنًا، ولم يُلتفت أدنى التفات إلى الراهب الذي عُذِبَ أيضًا حتى الموت كثنائي فعل عنيف من جهة أوريستوس.

ثالثًا: اتخذ أوريستوس الجانب المعادي للمسيحيين، وهذه الحقيقة تؤكد في سلسلة أحداث اليهود، وكما سنرى فيما بعد في قضية مقتل هيباتيا.

رابعًا: إن الوثنية -التي تعتبر بحق قوة شيطانية- كانت ولا زالت تُمارَس في الإسكندرية في ذلك الوقت. فأخذت الكنيسة على عاتقها مسؤولية إنقاذ مؤمنيه من تأثيرها المدمر على أرواحهم وحياتهم الأبدية.

مقتل هيباتيا

في بداية العام الرابع لبطيركية القديس كيرلس، كمن بعض من رعاة المسيحيين لعربة فيلسوفة الأفلاطونية الحديثة الشهيرة هيباتيا وسحبوها داخل كنيسة وقتلوه. منذ زمن الفيلسوف الوثني

Damascius وحتى يومنا هذا اعتاد أعداء القديس كيرلس أن يحملوه شخصيًا مسؤولية هذه الجريمة. يذكر يوحنا النيقوسي John Bishop of Nikiu في كتابه *Chronicle* الذي كتبه عام ٦٩٠م:

ظهرت في تلك الأيام في الإسكندرية فيلسوفة وثنية اسمها هيباتيا كرست نفسها في كل الأوقات للسحر... وأضلت أناس كثيرين بخداعاتها الشيطانية. وكان حاكم المدينة يكرمها إلى أبعد حد لأنها قد أضلته بسحرها، وقد توقف عن حضور الكنيسة كما كان معتادًا... وهو لم يفعل ذلك فقط بل قد جذب كثير من المؤمنين إليها، وهو نفسه استقبل غير المؤمنين في منزله^{٨٩}.

ويقول Young عن هيباتيا:

هي أكثر الوثنيين شهرة في عصرها... فيلسوفة الأفلاطونية الحديثة التي تستطيع أن تثبت نفسها بجدارة في أي محفل أكاديمي. كان من الواضح انبهار أوريستوس بها، وكانا أحيانًا كثيرة في صحبة بعضهما البعض. قرر رعاك المسيحيين أنها هي التي أثرت على أوريستوس ضد كيرلس، الصلة بالوثنية مرة أخرى!^{٩٠}

^{٨٩} John Bishop of Nikiu. *The Chronicle*, trans., R. H. Charles and D. Litt (Oxford University Press, 1916).

^{٩٠} Young, *From Nicaea to Chalcedon*, pp. 243-244.

وهكذا نرى، كما ذكر كل من يوحنا النيقوسي و Young أعلاه، فإن المجتمع المسيحي الكبير (وليس "البارابالاني") كان يكره هيباتيا مفترضاً أنها كانت تؤثر على أوريستوس بفلسفتها حيث إنها كانت دائماً في صحبته. وهذه الجمهرة من الرعايا المسيحيين -وليس من بينهم "البارابالاني"- اعتقدت أن هيباتيا كانت السبب في عداة الحاكم للكنيسة.

وبنظرة فاحصة إلى التاريخ المسيحي المبكر نرى أن أجيال المسيحيين الذين لم يستسلموا للوثنية (أو أي ممارسات دينية أخرى تتعارض مع معتقداتهم المسيحية) قد عذبوا بقسوة بدون النظر إلى السن أو الجنس، وعذبوا أحياناً لسنوات، ثم قُتلوا ونالوا الشهادة على أيدي الأباطرة الوثنيين والحكام. ونجد أن أحداث عذاباتهم وموتهم لم يلتفت إليها أحد من المؤرخين الحديثين. وهنا يجب أن نسأل: لماذا إذن أثار مقتل فيلسوفة وثنية واحدة -هيباتيا- على أيدي رعايا المسيحيين كل هذا الاهتمام، بينما قُتل الكثير من المسيحيين لم يُلاحظ أو يُذكر؟ ونجيب على هذا السؤال قائلين مرة أخرى: إن للمؤرخ دائماً برنامجاً سياسياً أو دينياً أو اجتماعياً ينشره ويعلنه عن طريق كتابته لنوع معين من التاريخ، وتوجد دائماً قوة أكبر هي التي توجه قلم المؤرخ. بالإضافة لذلك فإنه في حالة مقتل هيباتيا نستطيع أن نبرهن بوضوح على أن النظريات أو المفاهيم المعاصرة والساخرة جداً التي تجانس جوهرياً التعددية والتنوع الاجتماعي [بمعنى تدوير الفوارق الاجتماعية وضمناً بين الأديان] كان لها تأثير كبير على كيفية فهم بعض المؤرخين الحديثين لأحداث القرن الخامس. ليس فقط أن هذا النسق يُعد مفارقة تاريخية

- حيث إنه يفرض تصورًا للانطباع الشخصي الغربي المعاصر لما يسمى بالمجتمع المساواتي، على موقف حدث في القرن الخامس - ولكنه أيضًا مخاطرة بإعادة تأليف قصة تاريخية سائدة بطريقة غير عادلة. وبلا شك فإن قتل هيئاتيا كان حدثًا مرعبًا تمامًا كما كان قتل آلاف الشهداء المسيحيين، ولكن في فهم الأحداث المحيطة بهذا الحادث المشؤم لا يجب علينا أن نكون متسرعين بزيادة في تطبيق تحليلاتنا المألوفة على موقف لا علاقة له بهذه التحليلات.

تحليل المؤرخين الحاليين في ضوء كتابات المؤرخين المعاصرين للحدث

بعد أن درسنا الأحداث المحيطة بمقتل هيئاتيا، فإنه من المُلح أن ندرس كتابات بعض المؤرخين والكتّاب الذين قدموا تفسيرًا تحليليًا عادلًا لهذه الرواية التاريخية. ومن هذه المصادر سوف نرى بمنتهى الوضوح أنه من الخطأ تمامًا أن نفترض أن القديس كيرلس كان متورطًا في هذه الجريمة.

كتب McGuckin في كتابه "القديس كيرلس الإسكندري والجدل الكريستولوجي"

Saint Cyril of Alexandria and the Christological Controversy,

شرحًا مختصرًا لحادث هيئاتيا، وبكل تعقل واتزان يشرح كيف أن هؤلاء المؤرخين الذين يتهمون القديس كيرلس بقتل هيئاتيا قد

جرّدوا الأحداث التاريخية تمامًا من كل ما أحاط بها من قرائن أو سياقات ووضعوها بالخطأ عبء مقتل هيبياتيا على أكتاف القديس كيرلس مع أن سقراط (٤٠٨/٣٨٠-٤٥٠م) المؤرخ الوحيد المعاصر للقديس كيرلس لم يوافقهم على هذا الرأي:

يقول سقراط إن هذا الحادث لم يأتِ ولا بأقل ملامة على كيرلس أو كنيسة الإسكندرية. والبعض -وأشهرهم جيبون Gibbon الذي يسمي الجريمة "عمل كيرلس البطولي"- يفسرون تفسيرًا خاطئًا وبوقاحة هذه الملحوظة عندما يعتبرون أن القتل هو فعل كان (كيرلس) متورطًا فيه شخصيًا... وقد أعاد الفيلسوف الوثني Damascius سرد الحادث خصيصًا ناسبًا اللوم والاشتراك في الجريمة لكيرلس شخصيًا، ولكن ما كتبه كان بعد ١٣٠ عام من الأحداث، وكل ما كتبه هو إجحاف واضح من البداية ومملوء كرهاً شديدًا للطريقة التي استخدمتها المسيحية في قمع مهنته وأسلوب حياته. وبعد جيبون جاء تشارلز كينجسلي Charles Kingsley معطيًا للرومانسية اعتبارًا أكبر من اعتباره للحقيقة في روايته "هيبياتيا"، ولم يضيع أي فرصة لتصوير كيرلس على أنه الوغد الشرير في الرواية. وذلك التصوير المغالي فيه والأسطوري الذي قدمه صار هو السائد حديثًا. ومؤخرًا كان ويكهام Wickham أكثر عدلاً لكيرلس، بالتأكيد على أساس حكم أكاديمي دراسي

أعمق، حيث إنه لخص الأزمات المبكرة لإدارته كما يلي:
"الوقائع لا يمكن إنكارها. الصورة التي قدموها ليست
صورة قس متعصب متعطش للسلطة يقود رعا عاضبين
ولكنها كانت محاولة لقائد غير مجرب حاول، ولكنه فشل
مبدئيًا في السيطرة على القوات الشعبية"^{٩١}.

وعلى نفس نهج تحليل J.A. McGuckin كتب Wace and Piercy قائلين:

أما عن تأكيد Damascius أن كيرلس هو الذي شجع
القتل... فإننا لا يمكننا أن نستند على شهادة فيلسوف وثني
عاش ١٣٠ عامًا بعد الحدث وكان كارهاً بشدة للمسيحية.
ولنا ما يبررنا -مع كانون روبرتسون- في اعتبار ما قاله
إنه افتراء لتشويه السمعة وغير مستند على شيء^{٩٢}.

ويقدم J.A. McGuckin أيضًا في كتابه "لاهوت القديس كيرلس
الإسكندري" *The Theology of St Cyril of Alexandria: A
Critical Appreciation*
تقييمًا حاسمًا للموقف:

كان كيرلس الإسكندري ضحية لقصر النظر العلمي الشديد
الذي للأوروبيين في القرون الحديثة والذي كان معظمه
بسبب اتجاهات امبريالية غير معروفة، والبعض لا يخلو
من العنصرية... وفي أجزاء من دراساتي التاريخية

^{٩١} McGuckin, *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy*, pp. 14-15.

^{٩٢} Wace and Piercy, p. 236.

لكيرلس والتي بالنسبة لي كانت ذات مغزى (وإن كانت جانبية بالنسبة للقصة الأساسية) حاولت أن أوضح كيف أنه سواء خطة جيبون Gibbon التي تُعرّف كيرلس على أنه أسوأ شخصية في القصة (ليدلل على كم أفسدت المسيحية الإمبراطورية الرومانية) أو البرنامج الفيكتوري *Victorian agenda* أثناء حكم الملكة فيكتوريا ١٨٣٧-١٩٠١م، الذي انتقده أخلاقياً بشدة (كجزء من محاولة خلع الكريستولوجيات الأنجلو-كاثوليكية السكندرية *Anglo-Catholic Alexandrian Christologies* في سبيل تحقيق كريستولوجية الإخلائية-الإنسانية السائدة حديثاً

(a newly ascendant Kenotic-Humanist Christology)

فكل منهما كان بقوة اعتبار غير متمشي مع العصر الذي حدث فيه [ينطوي بوضوح شديد على مفارقة تاريخية] وقد تصاعد بواسطة الدارسين الذين لهم مصالح [رغبات] راسخة... ويوجد الاتهام -الذي يعوزه حس المسؤولية- لشخصية كيرلس الأخلاقية، خاصة في الهراء الرومانسي والذي أُستبدل [أُعتبر] كتاريخ في رواية تشارلز كينجسلي "هيئاتنا". وهذا قد كلف كيرلس عدم ترجمة كتاباته في السلسلة الفيكتورية للترجمات الأبائية إلى الإنجليزية مثل *The Nicene and Post-Nicene Fathers*... ويمثل جور وريلتون C. Gore and H.M. Relton أولئك الذين بينما هم

قد تزلّعوا في العقيدة المسيحية المبكرة لكنهم يدافعون عن كريستولوجية الإخلائية-الإنسانية. ولذلك كان كيرلس أحد ضحايا التغيير الجذري [غير المتوقع] في مواجهة الكريستولوجية الأنجليكانية في العصر الذي تلى حركة اوكسفورد وفي وقت كانت فيه الكنيسة تزدد في الانحياز إلى البرنامج البروتستانتي الأوروبي التحرري^{٩٣}.

وشهادة أخرى لـ Wickham في "موسوعة المسيحية المبكرة" *Encyclopedia of Early Christianity* :
أفسد العنف السنوات الأولى لأسقفية القديس كيرلس الإسكندري في مدينة تعاني من الشغب والإعدام بدون محاكمات قانونية. بلغ الشجار بين الوثنيين واليهود والمسيحيين، وبين كيرلس والحاكم أورستوس إلى ذروته في القتل البشع للرعاع المسيحيين للفيلسوفة الشهيرة الوثنية هيباتيا عام ٤١٥م... وكون كيرلس مسئولاً عن العنف فهذا ليس إلا أسطورة اُدرخت في رواية تشارلز كينجسلي "هيباتيا" ودامت منذ ذلك الوقت. فكونه لم يكن مسيطراً على شعبه لعدة سنوات هو استنتاج عادل، ولم تدنه الحكومة شخصياً في ذلك الوقت^{٩٤}.

^{٩٣} Thomas G. Weinandy and Daniel A. Keating, eds, *The Theology of St Cyril of Alexandria: A Critical Appreciation* (London: T&T Clark, 2003), pp. 205, 207-208.

^{٩٤} *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Cyril of Alexandria (ca. 375-444)" pp. 310-11.

كما كتب A. Louth المؤرخ أيضاً:

عانى كيرلس هذا الإهمال في الأزمنة الحديثة، ففيما عدا رسائله المجمعية فهو غير مُمَثَّل في الترجمة الفيكتورية الإنجليزية المتأخرة للآباء، -*Library of Nicene and Post-Nicene Fathers* مكتبة آباء نيقية وما بعد نيقية. ومما تسبب في ذلك، هو بلا شك تصويره في رواية شارلز كينجسلي الشهيرة "هيباتيا" في عام ١٨٥٣م كشخص شرير قاسٍ وعديم الضمير. ومع ذلك فكل هذا يعطي أساساً فقيراً لفهم شخص اعتبره المسيحيون على الأقل منذ القرن السابع فصاعداً "خاتم الآباء"^{٩٥}.

ويجب هنا أن نتساءل لماذا صور تشارلز كينجسلي بخبث القديس كيرلس بهذه الصورة، ولماذا يكتب روائي عن مقتل هيباتيا بعد ١٤٣٨ عام من الحدث نفسه، مستحضراً في ذهنه مثل هذا التخيّل القدحي الزائف عن القديس كيرلس وبابويته؟! وحيث إنّنا قد لا يمكننا الرد المباشر على هذا السؤال فإنّه من الضروري أن نؤكد حقيقة أن أعمال كينجسلي ليست تاريخاً، ولا يجب أن تُقرأ على أنها مقالة تاريخية عن الخلاف الديني والاجتماعي في القرن الخامس في الإسكندرية ولكن بالحري كقصة خيالية. ونفس الكلام نقوله بالنسبة لرواية زيدان التي نحن بصددّها والمملوءة بالأخطاء التاريخية والتزييف والافتراءات على الكنيسة ورجالها وعلى رأسهم البابا كيرلس الكبير.

⁹⁵ Young, Ayres, and Louth, *The Cambridge History of Early Christian Literature*, p. 353.

يبرهن J.A. McGuckin بحق على أنها مجرد ثقافة غير مسئولة من جانب المؤرخين الذين اعتبروا أعمال كينجسلي تاريخاً أكثر منها خيالاً. ونحن نكرر نفس الرأي بالنسبة لاعتبار رواية "عزازيل" تاريخاً وليس خيالاً، وهنا تكمن الخطورة، بالرغم من أنه يراوغ ويقول إنها مجرد رواية أدبية ثم يعود ليقول إن الأحداث التاريخية التي فيها هي أحداثٌ صحيحة.

وعلى أساس ما قاله J.A. McGuckin فيما يخص انتقاد البرنامج الفيكتوري بقسوة للشخصية التاريخية للقديس كيرلس، فإننا نرى بوضوح أن هذا الوضع السياسي المتصلب يُعتبر بكل أسف ثقافة غير مسئولة أصبحت في النهاية تاريخاً يحكى بالخيال.

وفي *Hypatia of Alexandria*⁹⁶ by M. Dzielska "هيپاتيا الإسكندرية"، التي كتبها م. دزيلسكا، تعرض الكاتبة مراجعة للتاريخ في قصة هيپاتيا ونقد الادعاءات ضد القديس كيرلس. وفي خطاب إلكتروني [e-mail] مع دزيلسكا⁹⁷ قالت:

تاريخياً لم يكن هناك ارتباط مباشر بين تحريض القديس كيرلس وقتل هيپاتيا. بالرغم مما في كتابات دامسيوس *Damascius' (Life of Isidorus)* من عبارات متحيزة تتهم

⁹⁶ Maria Dzielska, *Hypatia of Alexandria* (Cambridge: Harvard University Press, 1995).

⁹⁷ Excerpt from email correspondence with Maria Dzielska on Thursday, 2 March, 2006.

أرسلته دزيلسكا مؤلفة الكتاب المذكور، ردًا على رسالة إلكترونية منا (عن طريق إحدى معارف الدير وهي Harvard Divinity School scholarship holder) للحصول على معلومات بخصوص اتهام القديس كيرلس في مقتل هيپاتيا فأجابت بهذا الرد المفيد جدًا.

كيرلس، فإن المصادر الباقية تجعل هذا العمل الإجرامي يظهر على أنه قتل له طابع سياسي وليس ديني، مرتبطاً بالضغط الاجتماعية والصراعات المتضاربة التي حدثت في ذلك الوقت في الإسكندرية بين الجماعات المتنافسة داخل السلطات العلمانية والكنسية.

القديس كيرلس الكبير



تقول سوزان ويسيل Susan Wessel في كتابها^{٩٨} "القديس كيرلس والجدل النسطوري"

Cyril of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic

لم يتورط "البارابالاني" أبدًا، رسميًا في الفعل الأكثر إرهابية لذلك الزمان وهو مقتل هيياتيا. لأنه لم يُشر أي قانون من القوانين أبدًا إلى الحادث.

وأضافت في نفس الكتاب قائلة:

في فبراير ٤١٨م، أصدر ثيئودوسيوس الثاني عدة قوانين جديدة استعادت سلطة كيرلس على "البارابالاني" مرة أخرى، ورفع عددهم إلى ٦٠٠...

فلو كان القديس كيرلس و"البارابالاني" متورطين بغير التباس في مقتل هيياتيا، لما كان الإمبراطور ثيئودوسيوس قد أعاد المجموعة لتكون تحت سلطة القديس كيرلس.

ربما يكون من المعقول ظاهريًا أن نخلص إلى أن مقتل هيياتيا يمكن أن يُعزى إلى مجموعة من المسيحيين المتوحشين، لم يكونوا من "البارابالاني"، ولكنهم اعتقدوا أن مقابلات هيياتيا الواضحة جدًا مع حاكم الإسكندرية هددت سلطة (أو قوة) القديس كيرلس في المدينة.

كذلك فإن في كتاب س.ج. دافيز:

S. J. Davis' book, *The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church and its Leaders in Late Antiquity*^{٩٩}

يشرح دافيز أن الاتهامات ضد القديس كيرلس كانت على غير

^{٩٨} Susan Wessel, *Cyril of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic*, pp. 56, 57.

^{٩٩} (Cairo: American University in Cairo Press, 2004).

أساس وكانت غير دقيقة تاريخياً في اتهامه بالقتل. وهو يُقوّض كل الاتهامات ضد القديس كيرلس بأن وضّح كيف أن الوضع كله كان معقداً ومتفجراً. ويشير أيضاً إلى أن "قتل هيباتيا كان على ما يبدو -ولو جزئياً- نتيجة صراع معقد بين كيرلس وأوريستوس بخصوص السلطة الكنسية-القضائية [الشرعية]"^{١٠٠}. كذلك عندما نتحدث عن البيئة الاجتماعية غير المستقرة، في الإسكندرية بسبب قتل هيباتيا نذكر ما كتبه McGuckin في كتابه

St Cyril of Alexandria: On the Unity of Christ

"القديس كيرلس الإسكندري: في وحدانية المسيح":

نسب بعض المعلقين -وبالأخص أولئك الذين أرادوا أن يسيئوا إلى سمعة ولاهوت كيرلس- هذه الاتهامات من العنصرية والفتن والقتل له وانتقده بقسوة كزعيم للدهماء [مهيج أو خطيب شعبي يستغل الاستياء الاجتماعي لاكتساب نفوذ سياسي] له قليل أو بدون أية مبادئ، وهذا نتيجة لقراءة الأحداث بسذاجة. فالحياة في القرن الخامس في أية مدينة بيزنطية كانت عنيفة بطريقة تبعد عن خيال وخبرة أغلب الحديثين. وعنف الرعاع كان تقريباً جزءاً من نمط منظم للسلوك الاجتماعي راسخ الجذور في النظام الاجتماعي الروماني. كان على الأباطرة وحكام المقاطعات وبالفعل الأساقفة المسيحيين، الذين اتخذوا أكثر فأكثر قوة

سياسية من القرن الرابع فصاعداً، أن يعترفوا به ويعالجوه [يتعاملوا معه]^{١٠١}.

¹⁰⁰ Davis, *The Early Coptic Papacy*, p. 72.

¹⁰¹ St. Cyril of Alexandria, *On the Unity of Christ*, trans., McGuckin, p. 14.

والمؤرخ الأنجليكاني Canon W. Bright في كتابه
A History of the Church from the Edict of Milan, A.D. 313, to the Council of Chalcedon, A.D. 451.
يدافع بوضوح عن
القديس كيرلس قائلاً:

لم يكن كيرلس طرفاً [شريكاً] في هذا العمل الشنيع، ولكنه
كان عمل الناس الذين صاح هو أصلاً بالأمهم. وإن لم يكن
هناك هجوم [انقضاظ] على الكنائس لم تكن هيئاتها قد
قُتلت^{١٠٢}.

إن سقراط كان أكبر مؤرخ خلال عصر القديس كيرلس وقد وُلد
في القسطنطينية ربما في أوائل حكم ثيودوسيوس الصغير عام
٤٠٨م^{١٠٣} أو كما يقول البعض عام ٣٨٠م^{١٠٤}. وهو كمساند قوي
للنوفاتيين كره القديس كيرلس. ولهذا السبب -ضمن أسباب أخرى-
تسبب في إساءة سمعة القديس كيرلس وكنيسته. ولكن على الرغم
من ذلك، من الواضح أنه لم يقل إن القديس كيرلس دفع الرعاع إلى
قتل هيئاتها.

يقول كاتب سير القديسين الروماني الكاثوليكي المتقف
Alan Butler في كتابه "سير القديسين" (*Lives of the Saints, sub Jan. 28*) إنه يعتبر كيرلس بريئاً، وقد احتكم
إلى صمت أوريسستوس وسقراط إزاء الجريمة. يميل كل من

¹⁰² Canon W. Bright, *A History of the Church from the Edict of Milan, A.D. 313, to the Council of Chalcedon, A.D. 451* (Oxford: Parker, 1860), pp. 274-275.

¹⁰³ Wace and Piercy, p. 912.

¹⁰⁴ *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Socrates Scholasticus" p. 785; Quasten, vol. 3, p. 532; *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Socrates Scholasticus (ca. 380-450)" p. 1076.

Walch, Schröckh, Gibbon, and Milman إلى أن يُحمَل كيرلس مسؤولية قتل هيئاتيا ولكن الدلائل ليست كافية^{١٠٥}.
لم ينسب سقراط أي دور معين لكيرلس في الأحداث التي أدت إلى مقتل هيئاتيا. ورأى فقط أن العمل العنيف جلب فيما بعد الانتقاد الشديد سواء لكيرلس أو لكنيستته... لا يوجد أي دليل مباشر أو يُعوّل عليه يدل على أن القديس كيرلس أمر بحدوث ضربة مشابهة للمافيا على هيئاتيا^{١٠٦}.
لا يوجد تقرير موثوق به يربط مباشرة بين كيرلس ومقتلها^{١٠٧}.

... من ثم يظهر أنه لا يوجد أي إثبات أن... (القديس كيرلس) كان مذنباً في هذه الجريمة البشعة^{١٠٨}.
وفي الحقيقة أنه إذا كان القديس كيرلس مسؤولاً عن مقتل هيئاتيا فإن الشخص الأول الذي كان سيأخذ موقفاً ضده ويدينه هو أورستوس، وأول من سيعلم أنه مذنب هو سقراط. وحقيقة أن أحداً منهما لم يفعل ذلك فهي أوضح دليل على براءته.

الخلاف الكريستولوجي

بعد مقتل هيئاتيا بثلاث عشرة سنة فقط كان القديس كيرلس مشغولاً في صراع عقائدي ملتهب مع نسطور بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨-٤٣١م. لهذا فقد اعتبر نسطور القديس كيرلس عدوه اللدود

¹⁰⁵ Phillip Schaff, vol. 3, p. 943.

¹⁰⁶ Davis, *The Early Coptic Papacy*, p. 71.

¹⁰⁷ Wace and Piercy, p. 504.

¹⁰⁸ Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 117.

وبحث عن أي سبب لاستبعاده من المضممار الكنسي واللاهوتي. وكان ذلك دافعاً لبعض الإسكندريين الذين كان القديس كيرلس قد عاقبهم بسبب تجاوزات أخلاقية كبيرة، أن يذهبوا في ذلك الوقت إلى القسطنطينية ويقدموا شكاوي هناك ضد رئيس أساقفتهم. من ضمنها عدم أمانته في وظيفته كمنقذ للفقراء، والثانية أنه كان يسيء معاملة والدته بطريقة فظيعة، والثالثة أنه سرق، وقد أولى نسطور أدناً لهذه الاتهامات. فشكى كيرلس هذا الأمر في خطاب جديد إلى نسطور وأرفق معه طلباً -كشئ أساسي- بأن يصلح المظلمة التي أحدثها بعظاته^{١٠٩}.

ونستنتج من ذلك أنه لو كانت هناك أدنى ملامة أو اتهام للقديس كيرلس بقتل هيباتيا لكان الأجدر بأولئك المعادين له أن يوجهوا له هذه التهمة بدلاً من تلك الاتهامات المضحكة.

وهكذا فمن الضروري أن نسأل: إذا كانت اتهامات القتل ضد القديس كيرلس بها أقل القليل من الحقيقة لماذا لم يستخدمها نسطور كسلاح قوي لكي يحطم سمعة القديس كيرلس تماماً أو يعزله أو يسجنه؟

أثناء هذا الجدل اللاهوتي كان الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني يحكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية ومقره القسطنطينية. ولكونها الموقع الرئيسي لإدارة الإمبراطورية كان كل القضاء الإمبراطوري والمكاتب والسجلات الرسمية كائنة في هذه المدينة. فإذا كان هناك أي دليل على أن القديس كيرلس كان متهماً بمقتل هيباتيا لوجد بلا شك سجل [محضر] مكتوب عن القضية.

¹⁰⁹ Charles Joseph Hefele, *A History of the Councils of the Church: A.D. 431 to A.D. 451*, vol. 3 (Edinburgh: T. & T. Clark, 1883), pp. 20-21.

ولكن لم توجد أية وثائق تتهم القديس كيرلس. وبالإضافة إلى هذه النقطة يجب أن نأخذ الآتي في الحسبان: كان مقر بطريركية القسطنطينية بالطبع في القسطنطينية ولذا يكون من السهل جداً بالنسبة لنسطور أن يحصل على كل ما يريده من معلومات من السجلات الرسمية. فإذا كانت هناك حقاً أية اتهامات رسمية ضد القديس كيرلس لانتهز نسطور الفرصة لكي يستفيد من هذه الاتهامات في الازدراء بالبطريرك الإسكندري، وفي رفع دعوى رسمية ضده أمام المحكمة العليا في القسطنطينية حسبما ورد في قرارات الإمبراطور السابقة لانعقاد المجمع في أفسس. (وقد أوردنا نص هذه القرارات على صفحة ١٤٣ من كتابنا هذا). ولكننا نعلم بكل تأكيد أن سجلات تحمل مثل هذه الاتهامات لم تكن موجودة بالمرّة، وأن نسطور لم يحاول أبداً أن يثير أو يذكر مثل هذه القضية. بل لقد وصل الأمر إلى طلب الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني من البابا كيرلس الإسكندري أن يرأس جلسات المجمع المسكوني الثالث في أفسس، كما أن كليستين بابا روما قد أرسل إلى البابا كيرلس رسالة يطلب منه فيها أن يستخدم سلطان كنيسة روما وكنيسة الإسكندرية في الحكم على نسطور^{١١٠}.

وصل الصراع الكريستولوجي إلى قمته في مجمع أفسس عام ٤٣١م، ومع ذلك فنحن لا نجد في محاضر جلسات المجمع أية إشارة إلى قضية القديس كيرلس ومقتل هيباتيا. ولكن على العكس نجد تقدير الآباء الحاضرين المجمع -وعددهم مائتان- للدور الذي قام به القديس كيرلس ممثلاً فيما يلي: صاح الأسقف هيرموجينيس

¹¹⁰ St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans, John I. McEnerney (Washington D.C: CUA Press, 1987), Letter 12, p. 69.

أسقف رينوكوروروس بتهليل في مجمع أفسس بعد قراءة كتابات
القديس كيرلس ضد نسطور، قائلاً:

إنه نفس الروح القدس الواحد الذي كان مع الآباء في نيقية
عندما وضعوا تعريف الإيمان كان مع روح وصوت أبينا
الجزيل القداسة والمبجل بطريك الإسكندرية كيرلس عندما
كتب ذلك من أجل تصحيح الأخطاء التي قدمها نسطور
الموَقَّر إلى الكنيسة^{١١١}.

(لقراءة صورة من محاضر جلسات المجمع يمكن الرجوع إلى
C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church: Volume III*^{١١٢}. وأيضاً إلى كتابنا باللغة العربية "المجمع المسكوني
الثالث في أفسس ٤٣١م والصراعات العقائدية في القرنين الرابع
والخامس حول شخص وطبيعة السيد المسيح").

نقرأ في بعض الوثائق التاريخية^{١١٣} أن نسطور وصل إلى
أفسس محاطاً بعدد كبير من الحراس المسلحين برئاسة الكونت
إيريناوس. وهؤلاء الجنود كانوا في صف نسطور ويوحنا الأنطاكي
وكانوا معادين للقديس كيرلس ومجمع أفسس المسكوني الكبير.
وعندما وصل يوحنا الأنطاكي متأخراً إلى أفسس حاول الأساقفة
الممثلون للمجمع أن يخبروا يوحنا بقرارات المجمع، ولكن الجنود
منعوه ثم أهانوهم وضربوهم. هذه الأحداث كانت بمعرفة وموافقة
الكونت إيريناوس. فلو اعتقد الجنود أن القديس كيرلس كان مسؤولاً
عن مقتل هيياتيا لكانت هذه فرصة لتعبيره بذلك خارج المجمع، إلا

¹¹¹ St. Cyril of Alexandria, *On the Unity of Christ*, trans., McGuckin, p. 7.

¹¹² Hefele, vol. 3, pp. 44-52, 61-72.

¹¹³ Soc. vii. 34., quoted in Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, p. 44.

أن حقيقة أنهم لم يهتموه تثبت مرة أخرى أن القديس كيرلس لم يكن له بأي حال أي دور في الاغتيال.
إنه ليس من العدل أن نتهم أو ندين بطريرك أية كنيسة بسبب أعمال غير قانونية قام بها بعض من شعبه الذين يتأثرون بدوافع مختلفة، أغلبها سياسية واجتماعية أو عرقية. فالبطريرك يمكنه فقط أن يوجه أتباعه ويرشدهم إلى الطريق الصحيح، ولكنه لا يمكن أن يكون مسئولاً عن أعمال كل مجموعة وكل فرد.

* * *

هل بطرس القارئ صار أسقفًا باسم مونجوس؟

يذكر في الحاشية على ص ١٥٨: (١) في طرف الرق، مكتوب بالقلم العربي الدقيق: بطرس القارئ هذا، ارتقى بعد ذلك سلّم الإكليروس حتى صار أسقفًا، وقد اتخذ لنفسه الاسم الكنسي: مونجوس. هذا هو كل المكتوب بالحاشية، ولم أستطع التأكد من صحة هذه المعلومات.. (المترجم).

تذكر المراجع العالمية* أن بطرس منغوس (أو منجوس) رسمه البابا ديسقوروس (٢٥) (٤٤٤ - ٤٥٤م) شماسًا، وكان تلميذًا له. فهو إذن لم يكن قد رُسم بعد شماسًا في عصر البابا كيرلس (٢٤). وعُين بطريركًا ٤٧٧م، خلفًا للبابا تيموثاوس (٢٦) أيلوروس.

* *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Peter Mongus (d. 490)" p. 906.; Wace and Piercy, *A Dictionary of Christian Biography*, p. 834. ; *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Peter Mongus (477- 490)" p. 678. ; A Grillmeier, *Christ in Christian Tradition*, vol 2: part 4, Mowbray, London, 1996, p. 38. ; James Dixon Douglas, ed., *The New International Dictionary of the Christian Church: Revised Edition* (Michigan: Zondervan 1978), p. 769.

وأستبعد من البلاد بأمر الإمبراطور لتمسكه بعقيدة ضد عقيدة مجمع خلقيدونية. ثم أُعيد بطريكاً ٤٨٢م، بعد أن وقّع مرسوم الاتحاد الذي أصدره الإمبراطور زينون، وتتيح ٤٩٠م. فلو افترضنا صحة هذه المعلومة التي أكّدها د. زيدان في حديثه لمجلة روزاليوسف، كما جاء في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ | ٥ | ٢٠٠٩م ص ٥١، يكون عمر بطرس المذكور عند تنصيبه بطريكاً لا يقل عن ٨٧ سنة، إذ أن مقتل هيباتيا كان ٤١٥م، ولا يمكن أن يكون عمر بطرس أقل من ٢٥ سنة وقتئذٍ، فيكون من مواليد ٣٩٠م. إذ كيف يكون له هذا الدور القيادي، وأيضاً القوة البدنية التي وصفها د. زيدان، وهو أقل من ٢٥ سنة؟! من ٢٥ سنة؟!

وهذا الافتراض ينتهي إلى أن بطرس مات ٤٩٠م وعمره حوالي ١٠٠ سنة! بالإضافة إلى أنه لم تذكر أي من المراجع العالمية الخمسة الأكثر شهرة التي أوردت سيرته والمذكورة في الحاشية ص ١١٥ أن هناك أية علاقة بين بطرس القارئ والبطريك بطرس منغوس. ولا نعلم من أين أتى الدكتور زيدان بهذه المعلومة الغريبة، وعلى أي أساس أكّد صحتها لمجلة روزاليوسف! مع أنه أورد في روايته أنه غير متأكد من صحة هذا الأمر.

الفصل الخامس

الرد على الهجوم على القديس كيرلس ملاح شخصية القديس كيرلس

يعوزنا بالضرورة أن نتعرف على نشأة وشخصية القديس كيرلس لكي نصح الصورة القاتمة جدًا التي رسمها له د. زيدان في الرواية.

كانت والدته هي أخت القديس ثيئوفيلس الذي صار البطريرك الثالث والعشرين على كرسي الإسكندرية. نيتّم ثيئوفيلس وأخته صغارًا فأشرف على تربيتهما القديس أثناسيوس الرسولي (البابا العشرون على كرسي الإسكندرية) واهتم بهما روحياً وثقافياً. وهكذا صار ثيئوفيلس بطريركاً. وأما أخته الفاضلة فتزوجت وأنجبت القديس العظيم كيرلس الذي صار البابا الرابع والعشرين (خلفاً لخاله)، ولقبته الكنيسة بعمود الدين. وهكذا نجد أن القديس كيرلس قد تربى ونشأ في جو روحي عميق، تأصل في أمه التي ربّاه القديس أثناسيوس الرسولي، والتي صار شقيقها بطريركاً على الكرازة المرقسية. فهل من المنطق أو من اللائق أن نتخيل وننسب للقديس كيرلس مثل هذه الأوصاف الذميمة، وهو قد نشأ هذه النشأة المباركة؟!!

وصف الدكتور زيدان البابا كيرلس بأسلوب سيئ، مقارنةً بينه وبين المصلوب بطريقة لا تليق بهذا الإنسان العملاق في تعبهِ ومعاناته في الدفاع عن الإيمان المستقيم المسلم مرةً للقديسين:

ص ١٤٦ هيبا: لأنه أطلَّ علينا من مقصورةٍ مُذهَّبةٍ الجدار بالكامل، هي شرفةٌ واحدةٌ، فوقها صليبٌ ضخْمٌ من الخشب، معلقٌ عليه تمثال يسوع المصنوع من الجصِّ الملَوَّن. من جبهة المسيح المصلوب وبديه وقدميه، تتساقط الدماءُ الملَوَّنة بالأحمر القاني. نظرتُ إلى الثوب الممزَّق في تمثال يسوع، ثم إلى الرداء الموشَّى للأسقف! ملابسُ يسوع أسْمالٌ باليَّةٌ ممزقةٌ عن صدره ومعظم أعضائه، وملابسُ الأسقف محلاةٌ بخيوط ذهبية تُغطيه كله، وبالكاد تُظهر وجهه. يَدُ يسوع فارغةٌ من حطام دُنْيانا، وفي يد الأسقف صولجانُ أظنه، من شدَّة بريقه، مصنوعاً من الذهب الخالص. فوق رأس يسوع أشواكُ تاج الآلام، وعلى رأس الأسقف تاجُ الأسقفية الذهبية البراق.. بدا لي يسوع مستسلماً وهو يقبل تضحيته بنفسه على صليب الفداء، وبدا لي كيرلس مقبلاً على الإمساك بأطراف السماوات والأرض.

كانت مصر مستعمرة رومانية فُرض عليها إرسال القمح إلى القسطنطينية كما هو معروف تاريخياً، وكما أقرَّ د. زيدان في روايته "عزازيل". ولم يكن الشعب المصري شعباً يتمتع بالغنى والرفاهية تحت وطأة الاستعمار الروماني.

وقد عاش آباء وبطاركة الكنيسة في ذلك الزمان عيشة بسيطة لم تكن لهم وفرة الغنى ولا الأبهة التي يصفها د. زيدان، والدليل على ذلك أنهم عندما طالت إقامتهم في أفسس أيام انعقاد المجمع

المسكوني الثالث، عندما أمر الإمبراطور بعدم مغادرتهم أفسس إلا بعد الانتهاء إلى قرارات موحدة، أرسل القديس كيرلس رسالة إلى كهنة وشعب القسطنطينية يخبرهم أن بعضاً من الآباء المتقدمين في العمر قد انتقلوا من هذا العالم، بسبب سوء الظروف المعيشية التي عانوها بأفسس مع طول المدة. فلو كان القديس كيرلس يملك وبرة من المال لكان قد تمكن من مساعدة أولئك الآباء وإنقاذ حياتهم. وإليك ما يذكره المؤرخ هيفيلي عن لسان القديس كيرلس في رسالته ، بهذا الخصوص:

وكان كل المجمع في حالة إنهاك شديد، وقد توفي العديد من أعضائه، وآخرون كانوا في حالة فقر شديد حتى أنهم اضطروا لبيع ممتلكاتهم ليحصلوا بمشقة على ما هو ضروري للبقاء^{١١٤}.

وأيضاً نحن لا نستخدم أبداً التماثيل منذ فجر المسيحية في كنائسنا القبطية في مصر.

وادّعى د. زيدان أن القديس كيرلس يهيج الشعب على قتل هيباتيا ويستشهد بالآية "ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً".

وذكر على لسان القديس كيرلس ما يلي:

ص ١٥٢ يريدون إعادة بيت الأوثان الكبير الذي انهدم على رؤوسهم قبل سنين، ويودون تعمير مدرستهم المهجورة التي كانت تبث الضلال في

¹¹⁴ Mansi, t. iv.p. 1435; Hardouin, t.i.p. 1593., quoted in Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, p. 88; St. Cyril of Alexandria, Letter 27, *Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, p. 114.

العقول، ويفكرون في إعادة اليهود من الرّبع الذي سكنوه إلى داخل أسوار مدينتكم. لكن الرّب، يا جند الرّب، لن يرضى بذلك أبداً. ولسوف يُحبط مساعيهم الدنيئة، وسوف يُبدّد أحلامهم المريضة، وسوف يرفع قَدْر هذه المدينة العظمى، بأيديكم أنتم. مادمتم بحق، جنود الرب. مادمتم بحق، جنود الحق.. لقد صدق ربنا يسوع المسيح، حين نطق بلسان من نور، فقال: الحق يطهركم! فتطهّروا يا أبناء الرب، وطهّروا أرضكم من دنس أهل الأوثان. اقطعوا ألسنة الناطقين بالشر. ألقوهم مع معاصيهم في البحر، واغسلوا الآثام الجسيمة. اتبعوا كلمات المخلص، كلمات الحق، كلمات الرب. واعلموا أن ربنا المسيح يسوع، كان يحدثنا نحن أبناءه في كل زمان، لما قال: ما جئت لألقى في الأرض سلاماً، بل سيفاً!

من أين جاء د. يوسف زيدان بهذه الأقوال السخيفة على لسان القديس كيرلس وعلى لسان السيد المسيح الذي لم يقل كما أورد د. زيدان "الحق يطهركم" بل قال "وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ" (يو ٨ : ٣٢).

سننتين من أقوال القديس كيرلس وتفسيره لهذه الآية عدم صحة ما يدّعيه د. يوسف زيدان -دون أي دليل- ففي التفسير لهذه الآية "أَتُظَنُّونَ إِنِّي جِئْتُ لِأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الْأَرْضِ كُلَّا أَقُولُ لَكُمْ بَلْ أَنْقَسَامًا" (لو ١٢ : ٥١) يتحدث عن السلام والمصالحة: تفسير القديس كيرلس لإنجيل لوقا^{١١٥} عظة ٩٤ :

¹¹⁵ Cyril of Alexandria, *Commentary on the Gospel According to St. Luke*, trans. Payne Smith (Oxford, 1859), pp. 438, 439.

ومع ذلك فالمسيح هو سلامنا بحسب الكتب "أنه نقض حائط السياج المتوسط،... لكي يوحد الشعبين في إنسان واحد جديد، صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الآب" (أف ٢: ١٥، ٤). لقد وحد الأشياء السفلى بالأشياء العليا، فكيف يكون أنه لم يأت ليعطي سلاماً على الأرض؟ فماذا نقول إذن عن هذه الأشياء؟ ذلك السلام هو مُكرَّم، وهو بالحق أمر سامي جداً، ذلك أنه مُعطى لنا من الله لأن الأنبياء أيضاً يقولون: "يا رب أعطنا سلامك لأن كل شيء أعطينا" (إش ٢٦ : ١٢).

ص ١٥٢ هيبا: اهتزت الجموع مهتاجة، حتى كاد احتياجها يبلغ الغاية.. وراح كيرلس يكرّر بهديره الحماسي الأسر، قول يسوع المسيح: ما جئت لألقي في الأرض سلاماً، بل سيفاً! فيزداد هياج الجموع، ويقارب بحدته حدود الجنون. بدأ الناس يرددون وراءه العبارة، ولم يكفوا إلا حين قطع الترداد بصرخة كالرعد، ذلك الضخم المعتاد على إنهاء خطب يوم الأحد النارية، أعني بطرس قاريء الإنجيل بكنيسة قيصرون الذي انفجر من بين الجموع قائلاً: بعون السماء، سوف نظهر أرض الرب من أعوان الشيطان. سكت الأسقف، فسكن الناس إلا بطرس القارئ.. ثم أخذ بعضهم يعيد وراءه عبارته، وأضاف إليها أحدهم الترنيمة المربعة: باسم الإله الحي سنهدم بيت الأوثان، ونبنى بيتاً جديداً للرب.. بعون السماء سوف نظهر أرض الرب من أعوان الشيطان.. باسم الإله الحي سنهدم بيت الأوثان..

من المتعارف عليه أن ما يقوله الإنسان يعطي فكرة عن شخصيته، لذلك وجدنا من المناسب هنا أن نذكر بعضاً من أقوال القديس

كيرلس الذهبية لنرى هل يمكن أن يُعقل أن مثل هذه الشخصية السمحة تُحرّض على القتل، أو تكون كما صَوَّرَهَا د. زيدان في روايته. فليس أبلغ من كلمات القديس نفسها نردّها بها على هذه الافتراءات. فإليك بعض مقولات له تكشف عن عمق روحانية ووداعة واتضاع هذا القديس العظيم:

الرسالة رقم ١١٦٣٩ وهي خطاب المصالحة مع البطريرك يوحنا الأنطاكي:

كيرلس يهدي التحيات في الرب إلى سيدي وأخي المحبوب وشريكي في الخدمة الكهنوتية، يوحنا. "لتفرح السموات ولتبتهج الأرض" (مز ٩٦: ١١)، "وحاجز السياج المتوسط" (أف ٢: ١٤) قد نُقِض، والحزن قد انتهى، وكل نوع من الخلاف قد أزيل، حيث أن المسيح مخلصنا جميعاً قد منح سلاماً لكنائسه.... ٢- لذلك، منذ أن وصل إلى الإسكندرية، سيدي المحبوب جداً من الله وشريكي في الخدمة الكهنوتية وأخي بولس، قد امتلأنا بابتهاج القلب وبكل حق. مثل هذا

^{١١٦} الرسالة رقم ٣٩، أرسلها البابا كيرلس إلى يوحنا الأنطاكي سنة ٤٣٣م بعد استعادة السلام والوحدة مع كنيسة أنطاكية. وتظهر هذه الرسالة فرح كيرلس بتحقيق المصالحة واستعادة صداقته مع البطريرك يوحنا. كما تحوي الرسالة وثيقة الاتحاد التي أرسلها مجمع أساقفة أنطاكية إلى البابا كيرلس، وقد وافق البابا كيرلس، على هذه الوثيقة من أجل السلام. رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، رسالة رقم ٣٩، د. موريس تاووضروس ود. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، مؤسسة القديس أنطونيوس، نصوص أبائية - ٥٦، طبعة ثانية، يوليو ٢٠٠١م، ص ٧.

الرجل يعمل كوسيط ويدخل في أتعاب محادثات تفوق الطاقة، وذلك لكي يهزم بغضة الشيطان، ويوحد ما كان منفصلاً، بأن ينزع العثرات التي تسبب الانقسام كلية من بيننا، ولكي يكلل كنائسنا وكنائسكم بالفكر الواحد وبالسلام. إنه من فضلة القول أن نتحدث عن الأسلوب الذي تُنزع به هذه العثرات. وإني أفترض أنه من الخير أن نهتم وأن نتكلم بما هو لازم لوقت السلام ولذلك فقد سررنا بلقائنا بالرجل المتقي لله جداً السابق ذكره، الذي ربما تصور أنه لن يحتاج إلى بذل مجهود قليل لإقناعنا أنه يجب أن نجمع الكنائس معاً إلى السلام، ونبطل ضحك أصحاب الآراء المخالفة، ونلاشي أيضاً منخاس شر الشيطان. ولكنه وجدنا هكذا مهيين لهذا الأمر، حتى أنه لم يئن بالمرّة من أي تعب. لأننا نذكر قول المخلص: "سلامي أعطيكم سلامي أترك لكم" (يو ١٤: ٢٧). وقد تعلمنا أن نقول في صلواتنا: "أيها الرب إلهنا أعطنا سلامك، لأن كل شيء قد أعطيتنا"^{١١٧}، حتى أنه إذا صار أحد ما شريكاً في السلام المعطى من الله، فإنه لن ينقصه أي شيء صالح^{١١٨}.

^{١١٧} (انظر أشعيا ٢: ٢٦ وترد هذه الصلاة في القداس الإلهي في أوشية السلام الكبيرة).

^{١١٨} رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، رسالة رقم ٣٩، ص ٢٩، ٣٠.

رسالة ٥٧ من كيرلس إلى مكسيموس الشماس الأنطاكي:

علمت من الراهب المحبوب بولس أن تقواك إلى الآن ترفض الشركة مع يوحنا التقي جداً، بسبب أنه يوجد البعض في كنيسة أنطاكية الذين إما أنهم لا يزالون بعد يفكرون مثل نسطوريوس، أو كانوا يفكرون هكذا ولكنهم ربما كفوا عن ذلك. وتبعاً لذلك فليختبر لطفك أولئك الذين يقال عنهم إنهم تصالحوا، هل يتمسكون بتعاليم نسطوريوس علانية وبدون خجل ويخبرون بها الآخرين، أو أن ضمائرهم كانت قد ضعفت مرة والآن قد تصالحوا بعد أن ندموا على ما كانوا يعتقدون به، وربما يخجلون أن يعترفوا بخطئهم. لأنه يحدث أن بعضاً من مثل هذه الحالات تصير لأولئك الذين خدعوا... ٢- فإذا رأيتهم الآن متوافقين مع الإيمان الصحيح، فلا تعد تتذكر ما قد مضى. لأننا نريد أن نراهم بالأحرى ينكرون ضلال نسطوريوس بدلاً من أن يدافعوا عنه بدون خجل، ولكي لا نظهر أننا نكرم حب الصراع دعنا نقبل الشركة مع الأسقف التقي جداً يوحنا، ونلتقي معه. ولأسباب تدبيرية علينا ألا نكون متشددين جداً في استعمال الكلمات مع أولئك الذين يتوبون لأنه تدبيرياً كما قلت، فإن الأمر يستلزم قدراً كبيراً من (المحبة)^{١١٩}.

^{١١٩} رسائل القديس كيرلس الإسكندري، ج ٤، الرسالة رقم ٥٧، ص ٥١.

يصف هيبا القديس كيرلس بطريقة سيئة. ويحط من قدر المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية:

ص ٢٤٨ هيبا: التقيتُ بالأسقف كيرلس مرةً وحيدةً.. كان يومها قد مرَّ على وجودي بالإسكندرية عامان طافحان بالملل، كنتُ خلالهما مستسلماً لمشية الرب، متناسياً حلم النبوغ في الطب. قضيتُ أوقاتي هناك ما بين الصلاة مع الرهبان، وحضور القداس في أغلب الأيام، والإغفاء في أغلب القداسات. والانتظام بفصول المدرسة اللاهوتية، لأتعلم ثانيةً ما كان يدرسه العطارون والعشابون وأهل الفلاحة في بلادي الأولى.. وبقيتُ على هذه الأحوال مقيماً، مسلوباً الإرادة والروح، وقد أدركتُ أن أحلامي التي علّقتني بالإسكندرية، انقلبتُ بعد ما جئتُ إليها كوابيس جاثمةً على روحي، ولا فكاك منها.

ص ٢٤٩ هيبا: كان كلام كيرلس معي حاداً
وبعدما يذكر كل ما دار بينه وبين كيرلس. يعلّق في ص ٢٥٠:
هيبا: سمعني نسطور باهتمام وقلق، حتى شعرتُ من إنصاته أنه يدرك من المعاني الكامنة وراء حكايتي، ما هو أعمق مما بيديه ظاهر الكلام.

ص ٢٥٣، ٢٥٤ يتكلم هيبا عن القديس كيرلس:
إنه لن يقابلني أصلاً، وإنما سيفتك بي. ولو نجوتُ منه، فهل سأنجو من العوام، ومن جماعة محبي الآلام. وهم يعلمون أنني جئتُ ممثلاً لنسطور الذي يروونه مهرطقاً! أهل الإسكندرية لا يرحمون، ولا يخشون عقاباً على أفعالهم. قتلوا هيباتيا على مرأى من سكان المدينة، ولم يُعاقبوا. وقتلوا قبلها أسقف مدينتهم جورج الكبادوكي، ومزقوه في الشارع الكبير، فخنع الإمبراطور جوليان وهو المرتد من المسيحية، عن عقابهم واكتفى بقوله

في مرسوم إمبراطوري فاضح، إنه سيعفو عنهم إكراماً لمعبود الإسكندرية سيرابيس!

... وهل اتخاذي الإسم الكنسي هيبا سوف يخفيني عن انظار الكنيسة المرقسية وعن "مخالب الأسد" (يقصد القديس كيرلس)

ص ٢٤٧ هيبا: مضطرون. حتى نتفادى أنياب ومخالب الأسد المرقسي! (يقصد القديس كيرلس)

ص ٦٨ فلاح خبيث النظرات (يقول بعد أن سمع كاهن يلقي عظة عن المحبة):... وهل يحب سيده كيرلس، إخوانه اليهود؟ ضحك المحيطون به بتكتم، وأضاف أحدهم: طبعاً، كيرلس يحبهم إلى درجة موتهم وطردهم خارج الأسوار..

من تفسير القديس كيرلس لإنجيل لوقا:

• الإنسان الرحيم ينبغي بالضرورة أن يكون مستعداً أن يغفر، لكي يُظهر أعمال المحبة حتى لأعدائه^{١٢٠}.

• عظيم هو مجد الرحمة، ولذلك فحق هو ما كتب أن "الإنسان له قيمة عظيمة، والإنسان الرحيم هو مكرم جداً" (أم ٢٠: ٦ سبعينية) لأن الفضيلة تردنا إلى صورة الله، وتطبع على نفوسنا صفات معينة كما لو كانت من الطبيعة السامية جداً^{١٢١}.

• بل من واجبنا بالحري أن يكون لنا رحمة على الضعفاء، مثل أولئك الذين انقلبوا من هجمات الشهوات واصطيدوا داخل

^{١٢٠} تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الأسكندري - المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، نصوص آبائية- الطبعة الثانية ٢٠٠٧م، ص ١٣٩، ١٤٠.

^{١٢١} المرجع السابق، ص ١٤٠.

شباك الخطية، وأن نصلي لأجلهم ونعظمهم، ونقيمهم إلى التعقل ونسعى نحن أنفسنا ألا نسقط في أخطاء مماثلة لأن "من يدين أخاه، يذم الناموس ويدين الناموس" (يع ٤: ١١) ^{١٢٢}.

• الذين اختاروا لأنفسهم الحياة الفاضلة، وساروا بلا تراخ في طريق مشيئة الله... هؤلاء يتحلّون بطول الأناة، ولا يلومون الذين أساءوا إليهم. وحتى إذا ما أساء إليهم أحد، فإنهم لا يفكرون في هذا الأمر. فبطء الغضب هو فضيلة ممتازة، وهو ثمرة تلك المحبة التي قال عنها الرسول الحكيم إنها: "تكميل الناموس" (رو ١٣: ١٠) ^{١٢٣}.

رسالة ٥٨ للقديس كيرلس إلى مكسيموس الشماس الأنطاكي:

٢- أرى بنظرة عامة أن التقى جداً الأسقف يوحنا نفسه، يحتاج إلى تدبير كثير لكيما يربح أولئك المتمردين. وإن المصادمات الجافة كثيراً ما تنفّر أولئك الذين لحقهم الخزي، والأفضل أن ننقذ باللفظ أولئك الذين كانوا مقاومين، بدلاً من أن نجرحهم بالتدقيق الهزيل. وكما أنه لو كانت أجسادهم مريضة لكان من الضروري بلا شك أن نمد يداً إليهم، هكذا أيضاً حيث إن نفوسهم متوجعة فهناك إحتياج إلى تدبير كثير كما لو كان علاجاً مجهزاً لهم. وقليلًا قليلًا سيتحولون هم أنفسهم إلى موقف يتسم بالإخلاص. وهذا هو ما سماه

^{١٢٢} المرجع السابق، ص ١٤١.

^{١٢٣} المرجع السابق، ص ٣٦٧.

المغبوط بولس "أعوأناً وتدابير" (١كو ٢: ٢٨) ... ٣ - لذلك فلا يضطرب تقواك ولا تحكم على المفاوضات الجارية الآن بدقة شديدة خاصة في الوقت الحاضر، فنحن لا نريد أن نقطع بل أن نربط، تابعين كلمات مخلصنا إذ يقول: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" وإن كان كذلك، فكما يقول أيضاً، "لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (لو ٥: ٣١، ٣٢) ١٢٤.

رسالة ٦١ من كيرلس إلى يوحنا الأنطاكي توضح محبته للسلام:

١ - الرغبة في السلام هي الخبر الفائق والأسمى جداً. وأقول إن أولئك الذين يريدون أن يعتنقوا أفكاراً مَرَضِيَّةً للمسيح ينبغي أن يثبتوا في هذه الغيرة بدون توقف بل وبشجاعة. ومع ذلك فليس من المناسب بسبب هذا (أى الرغبة في السلام) أن نزدري بفضيلة التقوى في المسيح. إنه أمر ضار جداً أن نرتعب، وأما أن نحب السلام بالحق والمنافع النابعة منه فهو أمر مختلف. وكذلك هو أمر ضار جداً أيضاً أن نتسبب في صنع، لا الأمور التي بها يتقوى السلام ويصير غير متزعزع، بل تلك الأمور التي تحطمه وتقلبه ولا تسمح باستمرار ما صنَّع السلام لأجله ١٢٥.

١٢٤ رسائل القديس كيرلس الإسكندري، ج ٤، الرسالة رقم ٥٨، ص ٥٢، ٥٣.

١٢٥ المرجع السابق، الرسالة رقم ٦١، ص ٥٩.

رسالة ٦٢ من كيرلس إلى يوحنا الأنطاكي:

١- استلمت الآن بسرور الرسالة المملوءة بهجة المرسل من كمالك، لأن "ما هو الحسن وما هو المُبهج إلا أن يسكن الإخوة في وحدة معاً" (مز ١٣٢: ١ سبعينية) بالوفاق ونفس الإرادة الصالحة في المسيح مرتبطين بالمحبة أحدهما بالآخر، مع رفع العثرات من وسطهما، تلك التي أُدخلت - لا أعلم كيف - والتي أزيلت بنعمة المخلص بواسطة قداستك مرة، وسوف تُطفأ في المرات الأخرى. وهذا ما أظن أن الله قاله بصوت النبي "اعبروا بأبوابي... وأزيلوا الحجارة من هذا السبيل" (إش ٦٢: ١٠ سبعينية)... ٢- لذلك، فليته يحدث أن يكرم الجميع الأمور الأفضل، أو على الأقل أن يكفوا الآن عن محاربة الحق^{١٢٦}.

عن اتضاع القديس كيرلس

رسالة ٦٤: من كيرلس إلى مكسيموس ويوحنا وثلاسيوس،
الكهنة والأرشمندريت^{١٢٧}

لا تهملوا في تقديم الصلوات لأجلي لأن ضغط الأعمال الشديد الذي يتدفق من كل النواحي هو مثل ضجيج الأمواج الذي لا يُحتمل. إلا إنني أثق أيضاً أنه بصلوات تقواكم سيكون هناك أيضاً الهدوء والسلام^{١٢٨}.

^{١٢٦} رسائل القديس كيرلس الإسكندري، ج ٤، الرسالة رقم ٦٢، ص ٦١.

^{١٢٧} الأرشمندريت كلمة يونانية يُلقَّب بها رئيس الرهبان أو رئيس الدير.

^{١٢٨} رسائل القديس كيرلس الإسكندري، ج ٤، الرسالة رقم ٦٤، ص ٦٤.

من تفسير القديس كيرلس لإنجيل لوقا:

... كان ضروريًا أن يشد (السيد المسيح) ذهن المعلمين القديسين بإحساس عالٍ من واجب الصبر، لكي يجعلهم يحتملون كل ما يمكن أن يحل بهم، حتى لو شتمهم الناس وتآمروا ضدهم بلا مخافة. وهكذا كان سلوك السيد المسيح نفسه قبل كل الآخرين، وذلك كمثال لنا، إنه بينما كان لا يزال معلقًا على الصليب الثمين، وبينما كان الشعب اليهودي يهزأون به، فإنه قدم لله الآب صلوات من أجلهم قائلاً: "اغفرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو ٢٣ : ٣٤). وأيضًا إستفانوس المبارك بينما كان يُرجم بالحجارة، جثا على ركبتيه قائلاً: "يَا رَبُّ لَا تُقِمَ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيئَةُ" (أع ٧ : ٦٠). وبولس المبارك أيضًا يقول "نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ... يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظُ" (١كو ٤: ١٢، ١٣). لذلك فإن تعليم الرب كان ضروريًا للرسل القديسين، ونافعًا جدًا لنا نحن أيضًا لكي يلزمنا أن نعيش بطريقة صائبة ومثيرة للإعجاب، لأنها مملوءة من كل حكمة^{١٢٩}.

يذكر د. زيدان على لسان نسطور، متهمًا القديس كيرلس إتهامًا جديدًا:

ص ٢٤٥ نسطور: كيرلس يريد أن يعلن وصايته على جميع الكنائس في العالم.

^{١٢٩} تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الأسكندري، ص ١٣٧، ١٣٨. ١٣٠

رسالة ٧٤: كيرلس يرسل تحياته في الرب إلى سيدي المقدس
وأخي وشريكي في الخدمة الأسقف رابولا:

١- إن بولس الحكيم جدًا يؤازر نفوسنا بقوة لا تُغلب وثقة لا تهتز حينما يكتب هكذا: "من سيفصلنا عن محبة المسيح، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف" (رو٨: ٣٥) لأنه ليس هناك شيء غير محتمل بالنسبة لأولئك الذين يقررون في أنفسهم أن يجاهدوا جهاد الإيمان الحسن، ليكملوا السعي ويحفظوا الإيمان لكي يصلوا إلى الإكليل غير الفاني (انظر ٢ تي ٤: ٨، ٧). لأنه كما أن أولئك يعرفون كيف يوجهون السفينة حسنًا، ليس حينما يبحرون في مناخ هادئ فقط، بل حينما ينقذون سفينتهم من الأمواج العاصفة، هؤلاء يُعرفون كبحارة مهرة جدًا، هكذا أيضًا فإن الذين يؤتمنون على قيادة الكنائس المقدسة، يظهرون ليس عندما تكون الأحوال هادئة مستقرة، بل حينما تظهر حكمتهم نفسها أكثر في التجارب، وفي الاحتمال والثبات، وفي مقاومتهم القوية للابتداعات المخزية التي يخرعها الهراطقة من داخل قلوبهم^{١٣٠}.

٢- ولذلك فإن قداستك كنت دائمًا لامعًا، ولكن بنوع خاص الآن، لأنك قد صرت عمود الحق وقاعدته (انظر ١ تي ٣: ١٥)

^{١٣٠} رسائل القديس كيرلس الإسكندري، ج ٤، الرسالة رقم ٧٤، ص ٨٩.

لكل الذين في الشرق وهم يطاردون -مثل مرض مميت-
تجاديف نسطوريوس الكريهة التي برزت حديثاً.
... فإنني بالضرورة أيضاً وبحسب مقدرتي قد وضعت هذا
البحث ضد تعليمه الزائف، كما هو واجب عليّ. وقد كتبتَه
في كتاب أدحض فيه تجاديفه بواسطة قوة الحق. وقد أرسلت
هذا أيضاً إلى قداستك. ويمكنك أن تريني لطفك وكياستك بأن
تحسّن فيه بما يزيد عن قدرتي الذهنية^{١٣١}.

من شرح وتفسير القديس كيرلس لإنجيل يوحنا^{١٣٢}:

• ... فإن التواضع الذي مارسه (السيد المسيح) كان عظيماً
جداً، لدرجة أنه إتزر بمنشفة وغسل أرجل تلاميذه. وإذ لنا في
عمل المسيح هذا مثال ممتاز جداً للعناية المملوءة حباً، وصورة
واضحة جداً لنتمثل به في محبة بعضنا البعض، فلنكن متضعين
في أفكارنا، أيها الأحباء، ولنعتبر أنه مهما كان مقدار صلاحنا،
فإن إخوتنا قد بلغوا إلى فضائل ممتازة أكثر من تلك الموجودة
فيها. فإن رغبة ذاك الذي هو نموذجنا العظيم، هي أن نفكر وأن
نرغب في التفكير بهذه الطريقة (ص ٦٢-٦٣).

^{١٣١} رسائل القديس كيرلس الإسكندري، ج ٤، الرسالة رقم ٧٤، ص ٩١.

^{١٣٢} شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندري - نصوص أبائية، الجزء السابع، مؤسسة
القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، عام
٢٠٠٧م. ترجمة عن كتاب

*Commentary on the Gospel According to St. John by St. Cyril Archbishop of
Alexandria, trans. from Greek by Rev. Thomas Randell (Oxford, 1885).*

وهذا النص موجود باليونانية في (Migne, Patrologia Greca, vol. 74: 74-177)

• ربنا يسوع المسيح... يضع ناموس المحبة كأساس وحجر زاوية لكل ما هو صالح، ويعني بالمحبة ليست تلك التي بحسب الناموس الموسوي، بل المحبة التي فاقته لذلك يقول: "وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (يو ١٣ : ٣٤) ... "تحب الرب إلهك من كل قلبك... وقريبك مثل نفسك"، فبينما قد وضع المحبة لله في وضعها المناسب قبل كل وفوق كل المشاعر الأخرى، فإنه قد وضع في المكان التالي لها محبتنا بعضنا لبعض، وقد ربط المحبة لله بمحبتنا بعضنا لبعض، مشيرًا بذلك أن المحبة لله لن تكون موجودة بشكل صحيح، إن لم تكن مصحوبة بالمحبة الواجبة لأخينا لأننا جميعًا أخوة بعضنا لبعض. وبالمثل فإن يوحنا الحكيم جدًّا، الممتاز جدًّا في المعرفة وفي التعليم، يقول: "من يحب الله يحب أخاه أيضًا" (١يو ٤: ٢١) ... ينبغي أن نبحث هذا السؤال: كيف أحبنا المسيح؟ لكي نفهم المعنى الكامل لهذه الكلمات... ربنا يسوع المسيح أحبنا أكثر جدًّا من محبته لنفسه. وإلا لما كان قد نزل إلى وضاعتنا من مجده الأصلي... هكذا هو يريد أن يكون لنا فكره نفسه، بأن نجعل محبتنا لأخوتنا فوق كل دوافعنا الأخرى، مثل الشهرة أو الغنى؛ ولا نتردد -عند الضرورة- حتى إلى الموت بالجسد، من أجل خلاص أخينا. وهذا هو ما فعله بالضبط تلاميذ مخلصنا المغبوطون، وكذلك أيضًا أولئك الذين جاءوا بعدهم؛

حاسبين خلاص الآخرين أهم من حياتهم الشخصية، متحملين التعب بكل أنواعه، وقد عانوا أفظع الآلام، لكيما يُخلّصوا نفوس الذين كانوا معرّضين للهلاك. فمثلاً، يقول بولس في موضع ما: "أموت كل يوم" (١كو ١٥ : ٣١) وفي موضع آخر "من يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب؟" (٢كو ١١ : ٢٩) وهكذا فإن المخلص يحتثنا أن نمارس دائماً المحبة التي تفوق الناموس، كأساس لكل عبادة حقيقية وكاملة لله؛ وبهذا نعرف جيداً، إننا بكل يقين، سنكون مرضيين جداً في نظر الله، وباتباعنا لمجال المحبة الإلهي الذي غرسه فينا، فإننا سنصل إلى التمتع ببركات عظيمة وكاملة. (ص ١١٠ - ١١٢).

انظر أيضاً تحت الباب الثاني، الفصل الرابع الخاص بالحرم الإثني عشر، حيث يكشف لنا القديس كيرلس عن مشاعره وما في قلبه من جهة نسطور.

لم يكن القديس كيرلس محبوباً فقط من شعبه في الإسكندرية بل أيضاً في خارج الإسكندرية. وكما أوضحنا في بحث سابق، تقدير الكنيسة الجامعة للقديس كيرلس، وإلى يومنا هذا يظل القديس كيرلس الأب المشترك للكنيسة الجامعة. ولم تتل الصورة القائمة المغرضة التي روّج لها أصداده عبر التاريخ، من شهرته الذائعة وتّفوّقه كأب ومعلّم للعقيدة المسيحية الأرثوذكسية، تُجلّه وتحترمه جميع الكنائس المسيحية عبر الدهور والأزمان وإلى يومنا هذا.

يقول د. زيدان على لسان رابولا عن المراسلات الودّية بين روما والإسكندرية:

ص ٢٤٣ **ربولا:** فقال ما معناه إن التقارب بين الإسكندرية وروما مؤقتٌ، ولا هدف له إلا إضعاف أسقفية القسطنطينية في شخص الأسقف نسطور!

ص ٢٤٨ **هيبا:** لفظ نسطور الوصف الشهير للإسكندرية، بسخرية لا تخفي غيظه من وصف المدينة بالعظمى، وحرص كنيسة على الاستعلاء فوق مدينة المقر البابوي روما، ومدينة المقر الإمبراطوري القسطنطينية.

وإليك شهادة موثقة من بطون التاريخ، من بابا روما المعاصر للقديس كيرلس يعبر فيها عن محبته العميقة وتقديره الشديد للقديس كيرلس. وهذه هي الخلفية التاريخية للرسالة: عقد البابا كليستين مجمعاً في روما (٤٣٠م) تقرر فيه تأكيد لقب العذراء "والدة الإله" وأعلن فيه أن نسطور هو هرطوقي^{١٣٣}.

وأرسل البابا كليستين إلى البابا كيرلس السكندري تفويضاً في إصدار حكم علني ضد نسطور إذا استمر على ما هو عليه.

¹³³ Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, p. 25.

ونص هذا الخطاب:

كليستينوس إلى الأخ المحبوب كيرلس

١- كانت الوثائق التي أرسلتها قداستكم بواسطة ابننا بوسيدونيوس الشماس، هي سبب فرح لنا في حزننا، فتبدل حزننا إلى سرور. فبينما نحن ننظر ونفكر في ما قاله ذاك الذي يحاول أن يزعج الكنيسة في القسطنطينية بعظاته المنحرفة، فقد غمر نفسنا ألم ليس بقليل. لقد تأذينا من أشواك أفكار مختلفة، وكنا نفكر ملياً في طريقة تساعد بها في المحافظة على الإيمان. ولكن حينما حولنا انتباهنا إلى كتابات أخوتكم، ظهر لنا في الحال علاج مُعدّ تماماً بواسطة يمكن أن يطرد المرض المهلك تماماً بعلاج صحي. أنا أعني فيض الينبوع النقي الذي يفيض من رسالة محبتكم التي بها تتنقى كل قذارة الينبوع الجاري الرديء، فيفتح لكل طريق للفهم الصحيح لإيماننا.

٢- ولذلك فكما أننا نختمه بسمه ونلومه، هكذا أيضاً في محبة الرب نعانق قداستكم كما لو كنت حاضراً في كتابتك، إذ نرى أن لنا نفس الفكر الواحد عن الرب. وليس عجيباً أن أسقف الرب الحكيم جداً يحارب من أجل محبة الإيمان بمثل هذه الشجاعة، حتى أنه يقاوم جسارة الأعداء فوق العادية، ويشدد أولئك الذين أوتن عليهم بمثل هذه التحذيرات. وكما أن أولئك هم مرارة لنا، هكذا فالأخيرين هم حلاوة لنا، وكما أن أولئك غير أنقياء، هكذا هؤلاء هم أنقياء. ونحن نفرح إذ نرى أن مثل

هذه اليقظة ممثلة في تقواكم حتى أنكم تفوقتم على أسلافكم، الذين كانوا دائماً مدافعين عن التعليم المستقيم. وحقاً تتطبق عليك جداً الشهادة الإنجيلية التي تقول إن "الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف". فكما أنك راعٍ صالح، هكذا هو ليس مستحقاً حتى أن يدان كأجير رديء، ويتهم لا لأنه ترك خرافه الخاصة فحسب بل لأنه أكتشف وهو يقطعها إرباً.

٣- أيها الأخ الحبيب، لقد كنا مزمعين أن نضيف بعض التفاصيل أيضاً، لو لم نكن قد رأينا أن أفكارك تتفق تماماً مع أفكارنا، ونحن نصدق على أنك أقوى مدافع لتثبيت الإيمان. فكل شئ كتبته قد استكم بخصوص هذا الأمر قد سلّم إلينا بالترتيب بواسطة ابننا بوسيدونيوس الشماس. لقد أفضحت كل فخاخ التعليم الغادر، وقويت الإيمان حتى أن قلب أولئك المؤمنين بالمسيح إلينا لا يمكن أن ينجذب إلى الجانب الآخر. وهذا يعتبر انتصار عظيم لإيماننا لنعلن عقيدتنا بقوة، وبذلك نهزم التعاليم المضادة، بواسطة شهادة الكتب الإلهية. ما الذي يمكنه (نسطور) تحقيقه بعد ذلك؟ وإلى أين سيتجه هو نفسه، هذا الذي بكونه صار محباً للابتداع الكفري، حيث إنه رغب أن يخدم نفسه بأفكاره الخاصة بدلاً من أن يخدم المسيح، كان يرغب في أن يؤذي الشعب الذي أوّتمن عليه، بسُم عظاته الخاصة؟ إنه من الضروري أن نفهم هذا بوضوح وأن نتذكر

إنه ينبغي للواحد أن يهرب بدلاً من أن يسعى وراء تساؤلات غبية لا تساعد على تقدم صحة النفوس بل تؤدي إلى هلاكها.

٤- ومع ذلك، إن كنا نستطيع، ينبغي أن نحمل ونستعيد ذاك الذي يسرع نحو الجرف أو هو بالحرى على الجرف ذاته ومنه سيسقط، لئلا نعجل بسقوطه بعدم إنقاذنا إياه. والمسيح إلينا الذي تثار أسئلة حول ولادته، علّما أن نجاهد من أجل خروف واحد، راجباً أن يضعه حتى على منكبيه لئلا يتعرض للذئب كفريسة، وأيضاً فالذي علّما أن نتحرك سريعاً لإنقاذ خروف واحد، كيف يريدنا أن نبذل جهداً لأجل راعي الخراف نفسه (قصد نسطور أسقف القسطنطينية)، الذي إذ قد نسي الاسم نفسه ورسالة الراعي، حوّل نفسه إلى ذئب مفترس، راجباً في أن يهلك القطيع الذي كان ينبغي عليه هو نفسه أن يحافظ عليه؟ يجب أن تبعد هذا الراعي من حظيرة الحملان إذا لم يمكننا إصلاحه كما نريد. إنها رغبتنا أن يكون هناك بعد رجاء للغفران لمن يتم إصلاحه؛ لكي يعود ويحيا، إن لم يكن سيحطم حياة أولئك الذين أوتمن عليهم.

٥- ولكن ينبغي أن تكون هناك محاكمة علنية ضده إذا استمر على ما هو عليه، لأن مثل هذا الجرح ينبغي أن يُبتر، وهو الذي بواسطته يؤدي ليس عضواً واحداً فقط ولكنه ينخر في جسم الكنيسة كله. لأنه ماذا يفعل وسط أولئك الذين يتفقون بعضهم مع بعض، ذلك الذي يختلف عن إيماننا ويبدو متفقاً مع

نفسه فقط؟ لذلك فالذين قطعهم من الشركة بسبب إنهم تكلموا ضده، دعهم يشتركون في شركتنا. ودعه يعرف أنه لا يستطيع أن يشترك في شركتنا إن ظل في هذا الطريق المنحرف بمعارضته للتعليم الرسولي.

٦- وبناءً على ذلك، حيث إن التعليم الأصيل لكرسينا هو في اتفاق معكم، فتمم هذا القرار بحسم دقيق مستخدماً خلافتنا الرسولية. وفي خلال عشرة أيام ابتداءً من يوم هذا التذكير، ينبغي عليه إما أن ينقض عظامه الرديئة باعتراف مكتوب ويؤكد بقوة إنه هو نفسه يعتنق الإيمان بخصوص ميلاد المسيح إلينا، الذي تعتقه كنيسة روما وكنيسة قداستكم كما يعتقه الأتقياء في كل العالم، وإذا لم يفعل هذا، فقد استكم، بسبب عنايتكم بتلك الكنيسة، تعلم في الحال إنه يجب أن يُبعد من جسمنا بكل طريقة، وهو الذي لا يرغب أن يقبل الشفاء من أولئك الذين يعالجونه وهو يُبعد كوباء رديء يؤدي إلى هلاكه وهلاك أولئك الذين أؤتمن عليهم.

٧- وكتبنا هذا نفسه إلى إخواننا القديسين وزملائنا الأساقفة، يوحنا (أنطاكية)، وروفس (تسالونيكي)، ويوفيناوس (أورشليم)، وفلافيانوس (فيلبي)، لكي يكون حكمنا بخصوصه - أو بالحري حكم المسيح الإلهي ظاهرًا^{١٣٤}.

¹³⁴ Migne, J. P., *Ελληνική Πατρολογία (Patrologia Graeca)*, vol. 77, Κεντρον Πατερικών Εκδόσεων, Αθيناί 1994, Letter XII, Pope St. Celestine Letter to St. Cyril, p. 93; St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, pp. 69-70.

كما رأينا من هذه الشهادة التاريخية، كيف أن بابا روما أيضاً كان متفقاً مع البابا السكندري القديس كيرلس في آرائه العقائدية. بل إن بابا روما وليس القديس كيرلس، هو الذي حدد المهلة المعطاة لنسطور ليراجع نفسه، وطالبه "أن ينقض عظاته الرديئة باعتراف مكتوب"!

الفصل السادس

التزييف في أحداث مجمع أفسس هل حضر الإمبراطور المجمع وترأسه، وهل حضر بابا روما أيضاً المجمع؟

- ص ٣٥٤ هيبيا: ما ذاك يا أبت، الذي جرى في إفسوس؟
رئيس الدير: هو صخبُ الدنيا، وأطماعها التي أمالت القلوب.
- وكيف سينتهي الأمر؟
- هم اليوم يعقدون المجمع رسمياً، برئاسة الإمبراطور وبابا روما.. مع أنه عيدُ القيامة.
- هل تظن أن هذه الغمة ستنتزاح؟
- لا أظن يا هيبيا.. الشيطان يصطخبُ في إفسوس.
ص ٣٥٨ الراهب الفريسي: المجمعُ المقدس، برئاسة الإمبراطور،
أعاد كيرلس إلى رتبته الأسقفية، وأقرَّ عزل نسطور.. ونفيه!

لم يحضر بابا روما المجمع ولكنه أوفد ثلاثة مندوبين عنه.
وكان بابا روما صديقاً حميماً للبابا كيرلس كما يتضح من
رسالته التي أوردنا نصّها من قبل. وعُقد المجمع في عيد
الخمسين وليس في عيد القيامة. ولم يحضر الإمبراطور المجمع
كما يتضح مما ذكره المؤرخ هيفيلي:

وفي خطاب ثانٍ موجه إلى الإمبراطور ثيودوسيوس في ١٥ مايو عام ٤٣١م، يقول البابا (يقصد بابا روما) إنه لن يتمكن من حضور المجمع شخصياً ولكن سيحضره بواسطة مندوبيه. ولا ينبغي أن يسمح للإمبراطور بأي ابتداعات أو تعكير لسلام الكنيسة، وبأنه ينبغي أن ينظر إلى مصالح الإيمان أكثر من مصالح الدولة، وإلى سلام الكنيسة بكونه أهم من سلام الأمم (الدول)^{١٣٥}. وفيما يختص بمندوبيه في المجمع، فقد عين البابا أسقفين هما أركاديوس وبروجيكتوس ومعهما القس فيليبس وأعطاهم تفويضاً أن يأخذوا جانب كيرلس بالكامل...

كما لم يستطع البابا، هكذا لم يستطع أي من الأباطرة الحضور شخصياً إلى أفسس:

لذلك عين ثيودوسيوس الثاني، باسمه الخاص وباسم زميله فالنتينيان الثالث، الكونت كانديديان قائد الحرس الشخصي للبلاط كحامي protector للمجمع. وفي المرسوم الذي وجهه إلى المجمع عن هذا الموضوع، يقول إن كانديديان لن يشارك بطريقة مباشرة في المناقشات على النقاط المتصارع عليها في الإيمان؛ فليس من اللائق أن شخصاً لا ينتمي إلى عداد الأساقفة أن يورط نفسه في فحص وتقرير خلافت لاهوتية. على العكس من ذلك، كان على كانديديان أن ينقل

¹³⁵ Mansi, t. iv. P. 1291; Hardouin, t.i. p.1473., quoted in Hefele, vol. 3, p. 42.

من المدينة الرهبان والعلمانيين الذين أتوا إلى أفسس أو ينبغي أن يأتوا فيما بعد من قبل حب الاستطلاع، حتى لا تعم الفوضى والبلبله بسبب هؤلاء الذين لم تكن هناك حاجة إليهم في فحص العقائد المقدسة. وكان عليه أيضاً أن يراقب حتى لا تؤدي المناقشات بين أعضاء المجمع إلى منازعات عنيفة تعوق الفحص الصحيح للحقيقة؛ وعلى النقيض أيضاً كان عليه أن يرى أن كل بيان ينبغي أن يُسمع بعناية، وأن كل واحد يقدم رأيه أو اعتراضاته بدون أي معوقات، حتى يمكن الوصول في النهاية إلى قرار يُتخذ بالإجماع بسلام بواسطة المجمع المقدس. وفوق كل هذا، كان على كاتيديان أن ينتبه ألا يحاول أحد أعضاء المجمع الرجوع إلى بلده أو إلى المحكمة أو إلى أي مكان آخر قبل ختام محضر الجلسة. بالإضافة إلى ذلك كان عليه ألا يسمح بعرض أي خلاف آخر أمام المجمع للحكم فيه قبل تسوية النقطة الأساسية للعقيدة. علاوة على ذلك فقد أعطى الإمبراطور تعليمات بالألا يُسمح بتوجيه أي اتهامات مدنية ضد أي عضو في المجمع، سواء أمام المجمع نفسه أو أمام محكمة العدل في أفسس؛ ولكن أثناء هذا الوقت فقط تكون المحكمة العليا في القسطنطينية هي المحكمة المسؤولة عن مثل هذه الحالات. وأخيراً فإن كونت إمبراطوري آخر هو إرينيئوس سوف يأتي إلى أفسس ولكن فقط لمرافقة صديقه ومحبوب الله

الأسقف نسطور، ولذلك لا ينبغي له أن يشارك في جلسات المجمع ولا في مهمة كانديدان^{١٣٦}.

* * *

هل صاغ المجمع قانون إيمان جديد ووضع إضافات على قانون نيقية؟

ص ٣٥٨ الراهب الفريسي: الأسقف تخلصوا عن نسطور، عدا يوحنا أسقف أنطاكية. ولم يشأ الإمبراطور وبابا روما أن يُغضبا الإسكندرية، للأسباب المعروفة. ولما رأى الأسقف ربولا والذين معه، أن كفة الميزان تميل لصالح كيرلس، انقلب على نسطور وأدانته. وقد صاغ المجمع قانوناً جديداً للإيمان، فيه إضافات على القانون الذي أقر قبل مائة عام في نيقية.

لم يحدث في مجمع أفسس أن أضيف أي شيء لقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني. يذكر المؤرخ هيفيلي أن مجمع أفسس في جلسته السادسة ذكر الآتي:

أعطى المجمع الآن أمراً، تحت طائلة القطع والعزل، بأنه لا يجب استخدام قانون إيمان آخر غير قانون الإيمان النيقاوي، وعلى الأخص لا يُستخدم ذاك الذي قدّمه كاريسيوس، وتمت قراءة الفقرات الشهيرة التي قرئت في الجلسة الأولى من كتابات نسطور مرة أخرى، وبعد ذلك

¹³⁶ Hardouin, t.i. p. 1346; Mansi, t.iv. p. 1118. German in Fuchs, l.c. S. 605., quoted in Hefele, vol. 3, p. 43.

وَقَّعَ جميع الموجودين وعلى رأسهم كيرلس على
القرارات^{١٣٧}.

وفي جلسته السابعة قد أصدر عدة قوانين نذكر منها القانون
السابع:

قانون ٧: بعد قراءة قانون الإيمان الذي سنَّه الآباء الثلثمائة
والثمانية عشر القديسون في نيقية والقانون المغاير الكفري
لثيودور الموبسوسيتي والذي قدمه كاريسيوس كاهن
فيلادفيا لمجمع أفسس، قرر المجمع إنه لا يُسمح لأحد
بإخراج أو نشر أو تأليف إيمان آخر غير ذاك الذي وضعه
بالروح القدس الآباء القديسون الذين اجتمعوا في نيقية*.

* * *

هل عُقد المجمع قبل وصول الإمبراطور؟

ص ٣٥٣ بعض الرهبان: بإدراك الأسقف كيرلس وعقد المجمع قبل
وصول الإمبراطور.... ولما وصل الإمبراطور من القسطنطينية ومعه
بابا روما، غضبا مما جرى، وقررا مع جمع الأساقفة والقسوس عزل
الأسقفين الكبيرين، وحرَّمهما!.. صار نسطور وكيرلس محرومين،
مطرودين من رتبة الأسقفية، معزولين عن الكنيسة.

¹³⁷ Hefele, vol. 3, p. 71.

* Hefele, vol. 3, pp. 74,75.

لم يصل الإمبراطور أصلاً ولم يحضر المجمع كما ذكرنا قبلاً. وطبقاً للأوامر الإمبراطورية، كان يجب أن يبدأ المجمع في عيد الخمسين الموافق ٧ يونيو من عام ٤٣١م^{١٣٨}، وكان نسطور مع أساقفته الستة عشر بين الأوائل الذين وصلوا أفسس. وكما لو كان ذاهباً إلى معركة، كان يرافقه عددٌ كبيرٌ من الرجال المسلحين^{١٣٩}. كان يُنتظر وصول أحد البطارقة وهو بالتحديد يوحنا الأنطاكي. وقد قال إن أساقفته لن يتمكنوا من ترك إيبارشياتهم قبل أحد التجديد ثم إنهم محتاجون إلى اثني عشر يوماً للسفر إلى أنطاكية وإلى تسعة وثلاثين يوماً منها إلى أفسس وبالتالي لن يتمكنوا من الوصول إلاّ بعد مضي بضعة أيام بعد عيد الخمسين^{١٤٠}. وأخيراً بحلول عيد الخمسين^{١٤١} وصل يوحنا في منطقة بالقرب من أفسس وأرسل إلى كيرلس خطاباً، ما زال موجوداً، مملوءاً وداءً، وبيّن له أن طول الطريق ونفوق عدد من الخيل قد عطل الرحلة، ولكن على الرغم من ذلك هو قريب من المكان وسيحضر إلى أفسس في خلال خمسة أو ستة أيام^{١٤٢}. وبالرغم من ذلك فقد انتظروا ستة عشر يوماً^{١٤٣} ثم جاء اثنان من مطارنة بطريركية أنطاكية: هما ألكسندر أسقف أباميا وألكسندر أسقف هيرابوليس وأوضحا مراراً بأن يوحنا قد

¹³⁸ Hardouin, t.i. p. 1435; Mansi t.iv. p. 1230., quoted in Hefele, vol. 3, p. 44.

¹³⁹ Soc, vii. 34., quoted in Hefele, vol. 3, p. 44.

¹⁴⁰ Evagrius, *Hist. Eccl.* i. c. 3., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.

¹⁴¹ Mansi, t.iv. p. 1230 with 1331, and Hardouin, t.i. p. 1435 with 1506., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.

¹⁴² Hardouin, t.i. p. 1347; Mansi, t.iv. p. 1121., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.

¹⁴³ Hardouin, t.i. p. 1435; Mansi, t. iv. p. 1230., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.

طلب منهما أن يقولوا إنهم لا ينبغي أن يؤجلوا افتتاح المجمع بسببه، ولكن في حالة ضرورة تأخره أكثر من ذلك، عليهم أن يفعلوا ما يجب عمله^{١٤٤}. وعندئذ استنتجوا من ذلك أن البطريرك يوحنا كان ينوي أن يتجنب حضوره شخصياً وقت إدانة كاهنه السابق وصديقه نسطور.

هنا قرر كيرلس وأصدقائه افتتاح المجمع فوراً واجتمعوا من أجل هذا الغرض يوم ٢٨ من الشهر القبطي بؤونه (٢٢ يونيو) عام ٤٣١م، في كاتدرائية أفسس، التي كانت مناسبة جداً لمثل هذا الاجتماع، وكانت مدشنة على اسم والدة الإله^{١٤٥}.

في اليوم السابق، كُلف عددٌ من الأساقفة بالذهاب إلى نسطور ودعوته لحضور الجلسة، ليعرض تصريحاته ومعتقداته. في أول الأمر أجاب قائلاً: "سأخذ ذلك في الاعتبار"، مع ذلك، عندما أرسل المجمع وفداً مفوضاً ثانياً يوم ٢٢ يونيو، يوم الافتتاح، إلى منزله بأمر من كانديدان، وجدوه محاطاً بجنود منعوا الأساقفة بتهديدات بالضرب من الدخول، وأرسل نسطور لهم قائلاً بأنه "سيحضر بمجرد أن يجتمع جميع الأساقفة". ولمرة ثالثة أرسل المجمع بعض الأساقفة إليه، ولكنهم لم يتلقوا ردّاً بل عُوْمِلوا بإهانة insolence من الجنود الحراس الموجودين داخل المنزل وخارجه^{١٤٦}.

¹⁴⁴ Mansi t.iv.p. 1330 sq.; Hardouin t.i.p. 1506., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.

¹⁴⁵ Cyril's Letters in Mansi, t.iv. pp. 1242 and 1230., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.

¹⁴⁶ Acta Synodi Ephes. Actio I, Hardouin, t.i. pp. 1358 sqq. Cf. pp. 1435 and 1506; Mansi, t.iv p. 1131 sqq. cf. p. 1230 sq. and p.1131. In German by Fuchs, Bibl. D. Kirchengv. Bd. iv. S, 50 ff., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45,46.

هيبا الرهاوي ٤٥٧م، وهيبا الراهب المصري المزعوم

وكما اتخذ المؤلف د. يوسف زيدان من القصص المنحولة والمزيفة مصدراً لشخصية عزازيل، والادعاء بأنها شخصية حقيقية (سوف ندرس هذا الأمر لاحقاً)، كذلك اتخذ من شخصية هيبا الرهاوي الهرطوقي مصدراً للشخصية الرئيسية في الرواية "هيبا الراهب المصري"، مع بعض التغييرات لتلائم هدفه من كتابة الرواية محاولاً أن يُخرجها في صورة روائية مُحبّكة، مستخدماً أسلوب التفريق والتوفيق.

فهيبا الرهاوي من بين الذين ساندوا نسطور، وكان رئيس مدرسة الرُّها اللاهوتية وقد رافق الأساقفة الشرقيين الموالين لنسطور إلى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م مسانداً نسطور، ولما عاد إلى الرُّها قاوم مطرانه القديس رابولاً^{١٤٧}، ولما استتب السلام في الكنيسة سنة ٤٣٣م كتب هيبا بالسريانية رسالته إلى زميله في مدرسة الرُّها "ماري" السرياني مطران فارس متجنياً على مجمع أفسس ومتطاولاً على القديس كيرلس^{١٤٨}، وعندما تتيح القديس رابولا مطران الرُّها، رسم البطريك الأنطاكي يوحنا الأول القس

^{١٤٧} راجع: سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، ج ٢، بيروت ١٩٥٧، ص ٦٣.
^{١٤٨} Mansi, t.vii. pp.242-247; Hadrouin, t.ii. p.527; Fuchs, I.c. S.480 ff. quoted in Hefele, vol. 3, pp. 366-368.

هيبا مطراناً للرُّها خلفاً للقديس رابولا، فبذل همّته في نشر سموم التعليم النسطوري بمعاونة المعلم نرساي -الذي خلفه في رئاسة المدرسة اللاهوتية- وغيره من أساتذة المدرسة، وكان ساحراً ومنجماً وفاسداً^{١٤٩} وقد وبّخه الراهب الرُّهاوي الجليل بيلاجيوس عند سماع تجاديفه، فاضطهده إلى فلسطين وناله منه أذى كبير^{١٥٠}. وعندما أصدر القيصران ثيئودوسيوس الثاني وقالنتينوس الثالث مرسوماً بعقد مجمع أفسس الثاني، جرت في الرُّها مظاهرة صاخبة قام بها القسوس والرهبان والشمامسة والشعب كله، وأغلّقوا الكنائس منادين بسقوط مطرانهم هيبا النسطوري، وفي ١٣ أيار (مايو) سنة ٤٤٩م توجه إلى الرُّها حاكم أسوروين فلاويوس توما يوليوس للاطلاع على القضية، فهرع أهل الرُّها للقاءه صارخين "الله واحد"، وهتفوا بسقوط هيبا النسطوري، وفي غداة اليوم الثاني تجمهر أهل الرُّها وطلبوا أن ينفى هيبا "مفسد الإيمان وعدوه، وسكرتير نسطور ورفيقه، والإسخريوطي محب اليهود"، "وأفسد إيمان رابولا وعقيدة المجمع الأفسسي وكيرلس، بل وُجدت في حوزته مصنّفات نسطور، كما خدع لمدة أربعة عشر عاماً الرُّها المدينة المسيحية التي باركها الله"^{١٥١}.

^{١٤٩} راجع: سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، مرجع سبق ذكره، ص ٦٨.

^{١٥٠} المرجع السابق ص ٦٨-٧٠.

^{١٥١} المرجع السابق ص ١١٠-١١١.

وفي مجمع أفسس الثاني ونظرًا لكثرة الشكاوي ضده، قام المجمع بحرمة وتجريده من رتبة الكهنوت والحكم عليه برد مال الكنيسة الذي أساء التصرف فيه، وقال الآباء في المجمع: "إن هذا الكلام (الذي لهيبا) لم يتفوه به حتى الشياطين والفريسيين، إنه كلام الوثنيين الذين لا إله لهم"^{١٥٢}.

وفي رسالته إلى ماري الفارسي، وصف القديس كيرلس بعبارات تكشف عن مدى حقه عليه منها: "ولئن الله قلب المصري"، "وكيرلس بسبب بغضه لنسطور قد عرف كيف يسبي عيون وآذان كل الذين كانوا حاضرين، كما لو بلعبة سحرية، وقاموا بحرمة نسطور قبل أن يأتي يوحنا الأنطاكي إلى المجمع، دون أي استجواب مسبق"^{١٥٣}.

وفي الرواية أيضًا نجد أن المؤلف د. يوسف زيدان قد تخيل من خلال الراهب هيبا، وصفًا سيئًا للقديس كيرلس استوحاه من هيبا الرهاوي، فقال من ضمن ما قال:

بدا لي كيرلس مقبلًا على الإمساك بأطراف السماوات والأرض

بل وقد اتهم هيبا في الرواية ص ١٥٢ القديس كيرلس بأنه كان يُحرّض المؤمنين على القتل وأعمال العنف مستخدمًا -على حد زعمه- قول السيد المسيح للآية "ما جئت لألقي سلامًا على الأرض بل سيفًا" كما ذكرنا سابقًا.

^{١٥٢} المرجع السابق ص ١١٩-١٢١.

^{١٥٣} Hefele, vol. 3, p. 336.

القديس مار رابولا الرهاوي ت ٤٣٥م

رُسم كاهناً سنة ٣٨٨م، فنادى بالإنجيل مع أخيه بين الوثنيين مدة من الزمن متحملين الاضطهادات، ثم صار مطراناً للرُّها سنة ٤١١م، وكان هذا الحبر القديس مهيباً في طلعه ناسكاً في معيشته، يقضي في كل سنة أياماً في دير مار إبراهيم في صوم وصلاة، وكان المؤمنون يهرعون إليه من كل حذب وصوب، ولشدة تمسكه بالإيمان القويم نعته القديس كيرلس السكندري في بعض رسائله بـ "عمود الحق وقاعدته"^{١٥٤} واهتم بتنقيف الكهنة والرهبان، ومن كتاباته ست وأربعون رسالة ضد نسطور، وغيرها من الأعمال، ثم تتيح سنة ٤٣٥م، وتعيد له الكنيسة السريانية في ٨ آب و ١٧ كانون الأول^{١٥٥}.

ونتيجة لدفاعه عن الحق، فقد ذكره هيبا أسقف الرُّها في رسالته إلى ماري الفارسي سنة ٤٣٣م بعبارات سيئة مثل: "والعديد منهم أَرْضُوا عداوتهم الشخصية بحجة الحماس الديني، وأحد هؤلاء هو طاغية مدينتنا، وهو معروف جيداً لديك (الأسقف رابولا الرهاوي، السابق لهيبا) والذي اضطهد -بحجة الدين- ليس فقط

^{١٥٤} أنثاسيوس أفرام برصوم، عبر في سير، الطبعة الثانية بيروت ١٩٩٧، ص ١٣٥-١٣٨.

ورسائل القديس كيرلس، ج ٤، الرسالة (٧٤)، ص ٨٩.
^{١٥٥} سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، ج ٢، ص ٦٥-٦٨.

الأحياء، بل الموتى أيضاً^{١٥٦}. (لأنه قاوم تعاليم ثيودور الموبسويستي بعد وفاته).

وبنفس الطريقة، رسم د. يوسف زيدان صورة سيئة للقديس رابولا الرهاوي، فذكر في روايته عدة عبارات تسيء إليه، ومنها:

• في ص ٢٣٦ هيبا: وقد طفحت ملامحه بالزهو. قال وهو يهز رأسه افتخاراً... كنت أود لو أخذت الترجمة، فنظرتُ فيها. غير أنني صرفتُ عني هذا خاطر، لما لمستَه من عجرفة الأسقف ربولا..

• في ص ٢٣٩ هيبا: أشار إليَّ الأسقف ربولا بأطراف أصابعه، بما معناه أن أكمل القراءة. كانت إشارته سخيفة، وفيها مسحة تحقير لم أدر لها سبباً.

• في ص ٣٥٨ الراهب الفريسي الأفتنوم: ولما رأى الأسقف ربولا والذين معه، أن كفة الميزان تميل لصالح كيرلس، انقلب على نسطور وأدانه.

¹⁵⁶ Mansi, t.vii. pp.242-247; Hardouin, t.ii. p.527; Fuchs, I.c. S.480 ff., quoted in Hefele, vol. 3, pp. 366-368.

الفصل السابع

هل خربَ المسيحيون الإسكندرية وقتلوا اليهود والوثنيين؟

في الحاشية ص ٣٣٠ يذكر د. زيدان على لسان المترجم
المزعوم:

(١) في طرف الرق، تعليقٌ طويلٌ من تلك التعليقات المكتوبة بالقلم
الدقيق، باللغة العربية، منه الفقرة التالية:

يظهر لي أن هذا الراهب المسمى الفريسي، كان مباركاً حقاً؛ فقد مرت
علينا الآن، ألف سنة من الحرب بين الكنائس.. وما خروجي من بلادي
الشرقية، إلا بسببها. ومعروفٌ، أن أنهار الدم تدفقت في الإسكندرية،
بعدما تنجح أسقفها كيرلس، وأمعن أهل الصليب في تخريب المدينة، وقتل
غير المسيحيين من اليهود والوثنيين. بل ثار الإسكندرانيون على أسقف
مدينتهم بروتيريوس، ومزقوه إرباً وأحرقوا جثته.. ثم انزوت اليوم
أخبارها، بعد وقوعها في قبضة المسلمين.

إنني أتعجب كيف يصل التزييف إلى هذه الدرجة! ومما يزيد
"الطين بلة" هو أن هذا التزييف صادر من شخص له معرفة
جيدة بالتاريخ وقرأ كثيراً في بطون الكتب، مما يؤكد أن له
أهدافاً خفية وقد أخطأ عن عمدٍ.

• كان الصراع أصلاً بين الخلقيدونيين (الملكانيين)، وغير
الخلقيدونيين وهم الأقباط والسريان الأرثوذكس والأرمن

الأرثوذكس، ولم يكن مع اليهود والوثنيين كما ذكر د. زيدان. أما أنهار الدم التي تدفقت في الإسكندرية فكانت دماء الأقباط!

- والفترة التي يتحدث عنها هنا هي من أحلك الفترات التي مرت على الكنيسة القبطية في مصر. ذلك لأن الإمبراطور أراد أن يفرض مذهبه، الذي سمي بعد مجمع خلقيدونية (٤٥١م) بالمذهب الخلقيدوني، على كل البلاد التي تحت سيطرته ومن ضمنها مصر. وقد عانى البابا الذي خلف القديس كيرلس، وهو البابا ديسقوروس (البابا الـ ٢٥)، الضرب والإهانة في مجمع خلقيدونية من الإمبراطورة ورجالها، حتى أنهم نتقوا شعر لحيته وكسروا له أسنانه، ثم نفوه إلى جزيرة غنغرا إلى أن مات في المنفى. وظل الأقباط يعانون من القتل والتعذيب والإبادة الجماعية أحياناً، لفترة طويلة إلى أن دخل العرب مصر فوجدوا ترحيباً من الأقباط الذين ترجّوا أن يجدوا في العرب خلاصاً من الخلقيدونيين. وإليك عزيزي القارئ القصة من البداية:

يذكر التاريخ أنه: في غياب حاكم الإسكندرية وعندما سمع الأقباط أن بطريركهم البابا ديسقوروس (٢٥) قد انتقل إلى الرب وهو في المنفى، تقابل الشعب مع الإكليروس وأقاموا تيموثاوس تلميذه بطريركاً خلفاً له. وكان راهباً من دير القلمون وقد سيم قساً في الإسكندرية بيد البابا كيرلس الكبير. كان تيموثاوس رجلاً ناسكاً وذا غيرة معروفاً بعلمه اللاهوتي. عندما عاد الحاكم إلى الإسكندرية اعتبر تصرف الأقباط ثورة على بيزنطة (أي القسطنطينية)، لذلك،

ساند بروتيريوس البطريك الدخيل، واضطهد الأقباط بشدة. وعلى الرغم من عنفه الشديد لم يفز سوى بأربعة من الأساقفة الذين تبعوا البطريك الدخيل. عندما غادر البابا تيموثاوس الإسكندرية في رحلة رعوية، وصل إلى الإسكندرية الكونت ديونيسيوس لكي يرتكب فظائع ضد الكنيسة القبطية مسبباً لها الجراح بأيدٍ مسيحية. عند عودة البطريك، أغلق الكونت أبواب المدينة لكي يمنعه من الدخول. مما أثار حفيظة بعض الرعايا من عامة الشعب.

وسأورد هنا ما ذكره مار سويريوس يعقوب توما (مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريك أنطاكية للسريان الأرثوذكس فيما بعد)، في كتابه المعروف "تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية"^{١٥٧} تحت عنوان "الاضطهاد البيزنطي الأول":

كان لمجمع خلقيدون أسوأ الأثر في نفوس المؤمنين، الذين نبذوه نبذ النواة، وحرموه وتعلّمه وطومس لاون الروماني، مبتعدين عن شركة الأساقفة الهرطقة، حتى انشقت الكنائس وقامت فتن في كل مكان واختل حبل الأمن في كثير من البلاد، لاسيما مصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين وأرمينية وفارس.

وفي سنة ٤٥٣ بادت بلخاريا. وفيها أثار مرقيان اضطهاداً عنيفاً على الأرثوذكسيين فيه استشهد ألوف من الأساقفة والكهنة والرهبان والمؤمنين بدلاً من أن يزيّف الحق في أفواههم. أما الأساقفة الذين زاغوا عن الحق خوفاً على

^{١٥٧} تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، ١٩٥٧م. جزء ثان، ص ١٩٥، ١٩٧، ٢١١.
١٥٥

رتبهم وانسياقاً وراء وعود الملك فكانوا يستولون على رعية المسيح بقوة الملك وسيفه حتى هدرُوا دماءً زكية، لا سيما في فلسطين ومصر^{١٥٨}.

أما في مصر فقد تأزمت الحالة أكثر، إذ ساء معظم أهلها ورهبانها تبديل المذهب الكيرلسي الصائب ونفي القديس ديسقوروس وتعيين قسيسه بروتيريوس الدخيل مكانه بقوة الحكومة. فلما توجه هذا إلى الإسكندرية ليحتل البطريركية وبّخه مقاريوس أسقف إدكو الشيخ على إشغاله مركز أبيه ديسقوروس، فتميز غيظاً ورفضه في بطنه وطرحه الأرض ميتاً^{١٥٩}. ولما قاومه المؤمنون وتعليم خلقيدون، قتل منهم بواسطة الجنود، في الكنائس والمذابح^{١٦٠}، نحو أربعة وعشرين ألفاً جلهم أساقفة وكهنة ورهبان^{١٦١}، ثم دخل البطريركية ووضع يده المخضبة بالدم على آنية الكنائس وأموالها، ونفى الكثيرين من المؤمنين كما صادر أموال الكثيرين^{١٦٢}.

هلاك بروتيريوس الإسكندري الدخيل

كان بروتيريوس يختال بزهو الطاووس ويمتعض من تعلّق الإسكندريين بالقديس تيموثاوس، ويقرّع الجنود على عدم

^{١٥٨} تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٣٩، والتاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة مكسيموس.

^{١٥٩} الخريدة النفيسة ج ١، ص ٥٣٥، ٥٨٠.

^{١٦٠} تاريخ زكريا الفصيح مج ١، ص ١٥٤-١٥٥، وتاريخ مار ميخائيل الكبير، ص ٢١٦، والخريدة النفيسة ج ١، ص ٥٣٥، ٥٨١.

^{١٦١} تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٤٠، والتاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة مكسيموس.

^{١٦٢} تاريخ زكريا الفصيح مج ١، ص ١٥٤-١٥٥، وتاريخ مار ميخائيل الكبير، ص ٢١٦، والخريدة النفيسة ج ١، ص ٥٣٥، ٥٨١.

فتكهم بالمؤمنين مع كونه يمدهم بمال وفير. الأمر الذي دفع
أحدهم على اقتياده إلى حيث أشلاء القتلى منهم، قطعنه في
جنبه وقتله بمعاونه رفاقه. فلما أنبىء الشعب بذلك تجمهر
وظفق يسحب جثته في الشوارع إلى حيث أحرقها^{١٦٣}.
على أثر ذلك نفى البطريك تيموثاوس وأخوه معه، أولاً إلى غنغرا
ثم إلى كريميا. وقد أحبه شعب جزيرة غنغرا ودعوه "صانع
المعجزات" و"المُحسن"^{١٦٤}.

* * *

تشويه صورة المسيحية والمسيحيين والتعاطف مع الوثنيين

تعاطفه مع الوثنيين، في قصة مقتل والد الراهب المزعوم هيبا
بأيدي عوام المسيحيين، وتلقيه إياهم بالسفّاحين. وكلها قصة
خيالية تكشف عن كراهيته الشديدة للمسيحيين في مصر، ورغبته
في إثارة مشاعر العالم كله ضدهم بما في ذلك العالم العربي
والإسلامي.

ص ٤١، ٤٢ هيبا: ... غير أنني رحتُ ليلتها، أحكي لنسطور عن معبد
الإله خنوم... حكيتُ له عن المهابة المُعَتَّفة والقدسية المَبْثُوثَة في أرجاء
المعبد وأسواره منذ قرون، وحكيت عن أبي الذي كان يحمل السمك كل
يومين، للكهنة الحزانى المتحصنين في المعبد منذ سنين، الكهنة

^{١٦٣} تاريخ زكريا الفصيح مج ١، ص ١٧١.

^{١٦٤} القمص تادرس يعقوب، نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى، الطبعة الأولى
٢٠٠٨، ص ١٠٧، ١٠٨.

المحصورين، المتحسرين على اندثار ديانتهم، مع انتشار عقيدة المسيح. كان أبي يصحبني في قاربه، كلما زار المعبد ليقدم للكهنة نصف ما علق في شبابه من سمك، خلال اليومين. كنا نذهب للمعبد خفيةً، وقت الفجر.... يوم كنت في التاسعة من عمري؛ فقد تربص بنا عوام المسيحيين عند المرسى الجنوبي، القريب من بوابة المعبد. كانوا قد وصلوا إلينا من مكنهم القريب.. سحبوا أبي من قاربه، وجروه على الصخور ليقتلوه طعنًا بالسكاكين الصدئة التي كانوا يخبئونها تحت ملابسهم الرثة كنت أزوم متحصنًا بانكماش في زاوية القارب، وكان أبي غير متحصن بشيء، يصرخ تحت طعناتهم مستغيثًا بالإله الذي كان يؤمن به.... ولن يجير أبي من أولئك السفاحين أحد.... نظروا نحوي بعيون ذئاب قد ارتوت.... حملوا جثة أبي المهترئة، فألقوا بها فوقها. اختلط دمه ولحمه وأسماكه بتراب الأرض التي ما عادت مقدسة، ثم تملكهم نشوة الظفر والارتواء، فتصايحوا وقد رفعوا أذرعهم الملطخة بدم أبي، وراحوا وبأيديهم السكاكين الصدئة المضرجة بالدم، يلوحون في وجه الكهنة المذعورين فوق السور.. مضوا من بعد ذلك متهللين مهللين بالترنيمة الشهيرة: المجد ليسوع المسيح، والموت لأعداء الرب.. المجد ليسوع المسيح، والموت لأعداء الرب.. المجد ليسوع.

ص ٦٧ هيبيا: ... نظرة أُمي الفرعة، حين أخبرتها بعلمي بأنها وشت بأبي لدى أقاربها من جُهال أهل الصليب.. جريتُ من أمامها، ولم تستطع اللحاق بي، ولم أرها بعد ذاك اليوم قط.. بكائي الحارُّ، يوم علمت بزواجها من أحد أقاربها الذين قتلوا أبي....

وهنا نجد د. زيدان وقد قلب الأدوار فكل ما يحكي أن
المسيحيين قد فعلوه بالوثنيين، هو بالضبط ما كان الوثنيون
يفعلوه بالمسيحيين.

وصف المسيحيين وصفاً رديئاً.

ص ٦١ هيبا: كانوا قومًا طيبين، لولا أنهم لا يكفون عن احتساء الخمر
القوي، ولا يهدأون عند سُكرهم عن الغناء الهزلي الصاخب.... قال
أحدهم، وكان بالطبع مسيحيًا...

يهاجم المسيحيين في تخريبهم لمعابد الوثنيين

ص ٢٣٠ هيبا: ... وإن كانت ضخامتها ورسوخها لم يمنعا عنها أهل
ديانتنا! رأيتُ عوام المسيحيين في بلدة إسنا وهم يخربون الصور
المرسومة على المعبد الكبير، بخربشة الجدران، ويجتهدون في طمس
الرسومات التي بأعلى الأعمدة، وببطن السقف العالي، بقذف الطين
نحوها.

* * *

يصور رجال الدين الأقباط على طول الرواية بصورة مُنفرة

ص ١٧٩ ثيودور الأسقف: للإسكندرية سخافاتٌ كثيرة، ولأسقفها
السابق والحالي، أفعالٌ وأحوالٌ عنيفة. وأنا لا أحب الكلام عنهما وعن
أفعالهما، التي هي أبعدُ ما يكون عن تعاليم المسيح والرسل، وأقرب ما

يكون لأفعال طلاب الدنيا. فليشمل الرب الجميع برحمته، وليعفُ عن الجميع.

ص ٦٤ المقولة على لسان كاهن أخميم الذي تتلمذ عليه هيبا قبل مجيئه إلى الإسكندرية:

سيأتي اليوم الذي لن نسمح فيه للوثنيين، ولا لليهود، بالمبيت. لا في الإسكندرية، ولا في المدن الكبيرة كلها.. غداً سوف يسكنون جميعاً خارج كل الأسوار، وتكون المدن كلها لشعب الرب!

يصف القس المسيحي بطريقة منفرة، سخرية من كيرلس، جندي يتبع القس (يحرسه)!

• ص ٦٧، ٦٨ هيبا: قَسّ ضخم، أجش الصوت... بدأ خطبته الزاعقة فور دخوله علينا... بعدما أفرغ فينا كل ما كان في فمه من كلام، خرج مزهواً وكأنه ألقى علينا عظة الجبل. تبعه الجندي السمين الصامت الذي دخل وراءه..

• ص ١٣٢ هيبا: على باب الكنيسة، استوقفني رجلٌ يلبس ثوباً كنسياً ضيقاً، يكاد ينفزر معه بدنه الضخم. كانت هيئته غريبة: بدنٌ مصارع مكسوّ بثياب قس! في عينيه حدة، وفي عبوس وجهه قسوة سيافٍ لا وداعة قسوس. ولأن ملابسي كانت تدعوه لاحتقاري، فقد نظر إليّ باستهانة وهو عاقد ذراعيه على صدره.. بلسان مضطرب سألته إن كانت هذه هي كنيسة قيصرون، فأومأ برأسه ومطّ شفته، وبدا كأنه سوف يعضّني من كتفي.

• انظر أيضاً ص ١١٨ إلى ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، وأيضاً ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، في كتابنا هذا لتكتمل الصورة.

• ص ١٧٩ الراهب الكبادوكي الصموت: ليغفر الرب للإسكندرانيين
ما فعلوه، وما يفعلونه الآن، وما سوف يفعلونه غدًا! فكنيسة
الإسكندرية لن تكف أبدًا حتى تنهار، أو تنهار هذه الديانة كلها.
هذا الجزء السابق بالذات مكتوب في الرواية بالخط الثقيل
(Bold).

• ص ١٧٩ هيبا مُعلّقًا على الراهب الكبادوكي الصموت:
أدركت لحظتها أن للرب في هذا العالم رجالًا متوغّلين في أسرار
المحبة، لا يعرف أقدارهم إلا الكاملون. كان هذا الراهب فيما بدا لي،
من هؤلاء المتوغّلين في المحبة.

وصف د. زيدان على لسان نسطور، الراهب الصموت الذي
أساء لكنيسة الإسكندرية، بالقداسة وصنع العجايب:

ص ١٨٠ هيبا: ... فأجابني (نسطور) بأنه واحدٌ من أشهر الرهبان
المتنسكين في أقدم أديرة بلدة كبادوكيا المباركة،... التي قدمت للديانة
آباء الكنيسة الثلاثة الكبار المشهورين، المعروفين بالآباء الكبادوكيين.
أضاف أن هذا الراهب الصموت، مشهورٌ هناك بحياة الزهد والتقشف.
وأن الناس تروي عنه عجائب ومعجزات، يصرُّ هو على إنكارها. وهو
معروفٌ بطول صمته وندرة كلامه، ورجال الكنائس يجلبونه جدًّا،
والأسقف تيودور يعذه من أساتذته الروحيين؛ فهو أكبر منه سنًا بأعوام
كثيرة، فقد تعدّى الثمانين من عمره.

• ص ١٨٥ نسطور: الذي رأيته هناك ليس براهبٍ، (يقصد الراهب
الذي على حد قوله قتل الأسقف جورجيو الكبادوكي)
فالرهبان لا يقتلون، وإنما يمشون على الأرض هونًا متبعين خطى
الرسل والقديسين والشهداء!.

المديح المبالغ في نسطور

بينما يصف د. زيدان القديس كيرلس والقسوس الأقباط بأفطع الأوصاف، نجده هنا يذكر عبارات كثيرة على لسان هيبا الراهب تُعبّر عن إعجابه الشديد ووقوعه في غرام نسطور. ووصف هيئته بأحلى الأوصاف. وهذه مفارقة تدعو للالتفات.

ص ٣٨، ٣٩ وصف نسطور على لسان هيبا:

كنتُ ألتفتُ دومًا إلى ملامحه البهية المشرقة، بينما أعدُّ لكلينا مشروبَ النعنع الجبلي الفوّاح الدافئ، وطبقًا من البلح والتين المجفّف.. في هيئته وقارٌ وطبيّةٌ أصيلة، عيناها الواسعتان لونهما مشوبٌ بخضرةٍ وعسلية، وفيهما شغف وذكاء. في وجهه الأبيض حمرة خفيفة، وفي لحيته الأنينة اصفرار لطيف، وقليل من الشعر الأبيض الذي يزيده بهاءً. في سمته صفاءً ربانيّ يفتقر إليه كثيرٌ من الرهبان، الكبار منهم والصغار... أتأمل ابتسامته البهية. رأيته أنموذجًا سماويًا لما يجب أن يكون عليه رجل الدين... وقد ازدادت ابتسامته إشراقًا وزينة ربانية....

ص ٥٦ هيبا: قسّ مبارك حقًا، راهبٌ يستحق التبجيل.. بل ورأيتُ فيه أبي المخطوف مني، أبي المفتقد.

ص ١٧٢، ١٧٤ هيبا: أطلّ وجهه الصبوح... كان نسطور رقيق المشاعر.

ص ١٨٦، ١٨٧ هيبا: فأقبل بوجهه المشرق.... فازداد وجهه الصبوح إشراقًا.... ضحك نسطور فبدت أسنانه المصفوفة البيضاء، كأنها قطعٌ من نور.

الفصل الثامن

هل كان يوحنا المعمدان ابن خالة السيد المسيح؟

ص ٤٧ هيبا يقول: ورأيت فيه إجابة مقبولة لمشكلة طالما شغلتنني.
أعني سرَّ ارتباط يسوع المسيح بابن خالته يوحنا المعمدان.

من البديهي أن نعرف خطأ هذه المعلومة، إذ أن الإنجيل يقول على لسان الملاك المبشر للسيدة العذراء: "وَهُؤذَا أَلْيَصَابَاتُ نَسِيبَتُكَ" (لو ١ : ٣٦)، إذن ليست أليصابات أختاً للسيدة العذراء.
نسب السيد المسيح^{١٦٥}

أتى السيد المسيح من سبط يهوذا الذي كانت العذراء مريم تتحدر منه بعائلتها، فتنبأ عنه يعقوب أول الآباء في بضع كلمات تحوي كل غنى هذا السرِّ قائلاً: "يَهُؤذَا جَرُّوْ أَسَدٍ. مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدَتْ يَا ابْنِي. جَنَّا وَرَبَّضَ كَأَسَدٍ وَكَلْبَوَةٍ. مَنْ يُنْهَضُهُ؟" (تك ٤٩ : ٩) إنه يدعو المسيح شبلاً لأنه يملك الرتبة الملكية، وفي الجسد يأخذ الجنس من سبط يهوذا. وهكذا جاء في الكتاب المقدس "كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ" (مت ١ : ١) وأيضاً "يَا يَوْسُفُ ابْنِ دَاوُدَ لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لِأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (مت ١ : ٢٠) "فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ

^{١٦٥} مقالات الأنبا ساويرس البطريرك الأنطاكي، مقال عن الميلاد، ترجمة مليكة حبيب يوسف ويوسف حبيب ١٩٦٩م، مترجم من الجزء الثامن من مجموعة:

Patrologie Orientales R. Graffin – F. Nau *Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche* Homélie LX III., Publiée et traduite par Maurice Brière, Paris.

سِبْطُ يَهُوذَا، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ" (عب ٧ : ١٤).

فالسيد المسيح ربنا من نسل داود الملك الذي هو من نسل سبط يهوذا، وليس من نسل سبط الكهنوت أي سبط اللاويين. فتكون إذا السيدة العذراء والدة الإله هي بعائلتها من نسل داود وسبط يهوذا. أما أليصابات فكانت زوجة زكريا الكاهن الذي ينتمي لسبط اللاويين، وفي الواقع لم يكن يوافق الناموس أن يتخذ من ينتمي إلى سبط معين زوجة له من سبط آخر؛ لأن الرب يقول على لسان موسى في سفر العدد "فَلَا يَتَحَوَّلُ نَصِيبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سِبْطٍ إِلَى سِبْطٍ بَلْ يُلَازِمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَ سِبْطِ آبَائِهِ. وَكُلُّ بِنْتٍ وَرَثَتْ نَصِيبًا مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَكُونُ امْرَأَةً لِوَاحِدٍ مِنْ عَشِيرَةِ سِبْطِ أَبِيهَا لِيَرِثَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَ آبَائِهِ. فَلَا يَتَحَوَّلُ نَصِيبٌ مِنْ سِبْطٍ إِلَى سِبْطٍ آخَرَ بَلْ يُلَازِمُ أَسْبَاطُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَهُ" (عد ٣٦ : ٧-٩).

ولهذا السبب حينما كتبت سلسلة نسب يوسف، أدرجت الأنساب حسب الرجال وليس حسب النساء، ولابد أن نسب القديسة مريم العذراء قد تبين في نفس الوقت، فهي تنتمي بحسب الناموس لنفس السبط الذي ينتمي إليه خطيبها.

أما أليصابات فيقول الكتاب المقدس عنها: "كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ" (لو ١ : ٥) فكيف إذا تكون القديسة

العذراء التي هي من سبط يهوذا. أخت بالجسد لأليصابات التي هي من بنات هارون، أي سبط اللاويين؟ ولذلك فالسيد المسيح لا يمكن أن يكون ابن خالته هو يوحنا المعمدان كما يقول د. زيدان في روايته على ص ٤٧.

* * *

الرد على الادعاء بأن أسفار موسى الخمسة لم تدون إلا بعد عودة اليهود من السبي البابلي

ص ٣٤٩ هيبا: في أصل عزازيل، آراء وأفانيل.... ثم كان ذكره الأشهر، في التوراة التي كتبها الأحرار بعد عودة اليهود من السبي البابلي.

من غير المعقول أن تظل التوراة غير مكتوبة لمدة ثمانية قرون لأن ذلك معناه أن موسى النبي كان مقصرًا هو وتلميذه يشوع بن نون في تدوين التوراة الموحى بها من الله، بحيث يُترك المجال مفتوحًا لإجراء تغييرات فيها دون رقيب. وكأن الله لم يأمر موسى بكتابة التوراة!! وهذا لا يتناقض فقط مع ما ورد في كتابنا المقدس بعهديه، بل ويتعارض مع ما ورد في القرآن. مثلما ورد في سورة البقرة (٥٣) "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ".

وما ورد في سورة البقرة أيضا "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" (٨٧).

وما ورد عن المسيح في سورة آل عمران "وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ" (٤٨).

وهذه الاقتباسات كغيرها تدل على أن أسفار العهد القديم لم تكن محفوظة فقط بالتناقل الشفوي بل كانت مكتوبة في الكتاب المقدس. وإلا فلماذا يقول "وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابَ.. وَالتَّوْرَةَ".

أما ما ورد في التوراة عن شأن كتابتها على يد موسى النبي فهو كما يلي:

"وَكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ التَّوْرَةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لاوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِجَمِيعِ شَيْوُخِ إِسْرَائِيلَ" (سفر التثنية ٣١: ٩).

"فَعِنْدَمَا كَمَلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا. أَمَرَ مُوسَى اللاوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ: خَذُوا كِتَابَ التَّوْرَةِ هَذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ" (سفر التثنية ٣١: ٢٤-٢٦).

ولم يقتصر الأمر على كتابة التوراة في لفائف (scrolls) من الجلد بيد موسى النبي، بل تخطى ذلك إلى كتابتها على حوائط كبيرة مثلما كان يفعل المصريون القدماء، مع ملاحظة أن الكتابة على الكلس (أي البياض) لا تعيش نفس المدة كالكتابة على

الحجر غير المكلس الذي مارسه المصريون القدماء ويستغرق
جهدًا ووقتًا كبيرًا.

وعن ذلك ورد في سفر التثنية لموسى النبي ما يلي:
"وَأَوْصَى مُوسَى وَشَيْوْخُ إِسْرَائِيلَ الشَّعْبَ: احْفَظُوا جَمِيعَ
الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. فَيَوْمَ تَعْبُرُونَ الْأَرْضَ إِلَى
الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ تُقِيمُ لِنَفْسِكَ حِجَارَةً كَبِيرَةً
وَتَشِيدُهَا بِالشَّيْءِ. وَتَكْتُبُ عَلَيْهَا جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ حِينَ
تَعْبُرُ لَتَدْخُلَ الْأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا
وَعَسَلًا كَمَا قَالَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكَ. حِينَ تَعْبُرُونَ الْأَرْضَ
تُقِيمُونَ هَذِهِ الْحِجَارَةَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ فِي جَبَلٍ عِيَالٍ
وَتُكَلِّسُهَا بِالْكَلَسِ. وَتَبْنِي هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ إِلَهُكَ مَذْبَحًا مِنْ
حِجَارَةٍ لَا تَرْفَعُ عَلَيْهَا حَدِيدًا. مِنْ حِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ تَبْنِي مَذْبَحَ
الرَّبِّ إِلَهُكَ وَتُصْعِدُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ إِلَهُكَ. وَتَذْبَحُ ذَبَائِحَ
سَلَامَةٍ وَتَأْكُلُ هُنَاكَ وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهُكَ. وَتَكْتُبُ عَلَى
الْحِجَارَةِ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ نَقْشًا جَيِّدًا" (سفر التثنية ٢٧:
٨-١).

وقد أكمل يشوع بن نون تلميذ وخادم موسى النبي كتابه سفر
التثنية، ليحكي قصة وفاة موسى النبي وإخفاء جسده وذلك في
الأصحاح الأخير من سفر التثنية (٣٤). وكتب يشوع بن نون
سفر يشوع التالي لأسفار موسى الخمسة.

كما أن يشوع بن نون قد قام بتنفيذ ما أمره به الرب عن يد موسى النبي بشأن بناء الحائط الذي قام بكتابة كل الناموس الموسوي عليه "حِينَئِذٍ بَنَى يَشُوعُ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ فِي جَبَلٍ عِيَالٍ، كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ تَوْرَةِ مُوسَى. مَذْبَحَ حِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ عَلَيْهَا حَدِيدًا، وَأَصْعَدُوا عَلَيْهِ مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَكَتَبَ هُنَاكَ عَلَى الْحِجَارَةِ نُسْخَةَ تَوْرَةِ مُوسَى الَّتِي كَتَبَهَا أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (سفر يشوع ٨ : ٣٠-٣٢).

يضاف إلى ذلك أن الرب قد أمر موسى والشعب في سفر التثنية إنهم إذا جعلوا عليهم ملكًا، الذي يختاره الرب: "عِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ نُسْخَةً مِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ الْكَهَنَةِ اللَّاوِيِّينَ. فَتَكُونُ مَعَهُ وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ لِكَيْ يَتَعَلَّمَ أَنْ يَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلَهَهُ وَيَحْفَظَ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَهَذِهِ الْفَرَائِضَ لِيَعْمَلَ بِهَا. لِئَلَّا يَرْتَفِعَ قَلْبُهُ عَلَى إِخْوَتِهِ وَلِئَلَّا يَحِيدَ عَنِ الْوَصِيَّةِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا. لِكَيْ يُطِيلَ الْأَيَّامَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ هُوَ وَبَنُوهُ فِي وَسْطِ إِسْرَائِيلَ." (تثنية ١٧ : ١٨-٢٠).

وبذلك نرى أن الرب كان يهتم جدًا بأن يظل الكتاب المقدس العهد القديم وخاصة أسفار موسى الخمسة أي التوراة محفوظة في خيمة الاجتماع أو الهيكل وفي حوزة الملك وعلى مرأى من الشعب إلى جوار قراءتها على الشعب كله كل سبع سنوات كما يلي: "وَكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ التَّوْرَةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لَآوِي حَامِلِي

تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. وَأَمَرَهُمْ مُوسَى: "فِي
نَهَايَةِ السَّبْعِ السَّنِينَ فِي مِيعَادِ سَنَةِ الْإِبْرَاءِ فِي عِيدِ الْمَطَالِ.
حِينَمَا يَجِيءُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ لِكَيْ يَظْهَرُوا أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكَ فِي
الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ تَقْرَأُ هَذِهِ التَّوْرَةَ أَمَامَ كُلِّ إِسْرَائِيلَ فِي
مَسَامِعِهِمْ. اجْمَعِ الشَّعْبَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ وَالْغَرِيبَ
الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيَتَعَلَّمُوا أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلَهَكُمْ
وَيَحْرِصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ. وَأَوْلَادُهُمُ
الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا يَسْمَعُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلَهَكُمْ كُلَّ
الْأَيَّامِ الَّتِي تَحْيُونَ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الْأُرْدُنَّ
إِلَيْهَا لَتَمْتَلِكُوهَا". (تث ٣١: ٩-١٣).

وكانت الحكمة من كتابة التوراة على حائط مبني من حجارة
ومكلس هو أن يقرأ الشعب التوراة ويقارنون ما يسمعون في
قراءة الأسفار المدونة الإلهية في اللفائف بواسطة قيادتهم الدينية
بما هو مكتوب على الحائط الكبير...!!

ولقد ورد في سفري عزرا ونحميا النصوص التالية:
"مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ مُرْسَلٌ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ وَمُشِيرِيهِ السَّبْعَةِ لِأَجْلِ
السُّؤَالِ عَنْ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ حَسَبَ شَرِيعَةِ إِلَهِكَ الَّتِي بِيَدِكَ"
(عزرا ٧: ١٤). أي أن التوراه كانت بيد عزرا عند عودته من
السبي.

"وَقَالُوا لِعِزْرَا الْكَاتِبِ أَنْ يَأْتِيَ بِسِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى الَّتِي أَمَرَ
بِهَا الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ. فَاتَى عِزْرَا الْكَاتِبُ بِالشَّرِيعَةِ أَمَامَ الْجَمَاعَةِ

مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَكُلِّ فَاهِمٍ مَا يُسْمَعُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ السَّابِعِ. وَقَرَأَ فِيهَا أَمَامَ السَّاحَةِ الَّتِي أَمَامَ بَابِ الْمَاءِ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ أَمَامَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْفَاهِمِينَ. وَكَانَتْ آذَانُ كُلِّ الشَّعْبِ نَحْوَ سِفْرِ الشَّرِيعَةِ.... وَقَرَأُوا فِي السَّفْرِ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ بَيَّانٍ وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى وَأَفْهَمُوهُمْ الْقِرَاءَةَ. وَنَحْمِيَا (أَيَ التَّرْشَاتَا) وَعَزَّرَا الْكَاهِنَ الْكَاتِبَ وَاللَّاوِيُونَ الْمُفْهَمُونَ الشَّعْبَ قَالُوا لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: هَذَا الْيَوْمُ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ لَا تَنُوحُوا وَلَا تَبْكُوا. لِأَنَّ جَمِيعَ الشَّعْبِ بَكُوا حِينَ سَمِعُوا كَلَامَ الشَّرِيعَةِ" (نحميا ٨ : ١-٩).

* * *

التشكيك في مجيء العائلة المقدسة إلى مصر

وقبله تمهيد لذلك بادعائه عدم الإحساس بالروحانية في قسقام

• ص ٦٠ هيبيا: لم أجد هناك الكثير.... ذاك الموضع القفر الذي لم أشعر فيه بروحانية، حسبما كنت قبلها أودُّ وأتوقع..

• ص ٦١ هيبيا:.... اقترب مني رجلٌ متأنقٌ في ملبسه... استغربتُ

هيئته ونظرته الماكرة، كان لا يعلّق في عنقه الطويل صليبا... وكان

وجهه مليئا ببقع البهاق البيضاء التي زادت سمرته وضوحا... قال

لي من غير تمهيد، ما معناه: كيف جاءت العذراء إلى هنا هاربة

بوليدها، بعد سنوات من وفاة الحاكم الذي تزعمون أنه كان يقتل

أطفال اليهود؟ ولماذا عادت به إلى البلاد القاحلة الصفراء، بعدما جاءت إلى وادي مصر الأخضر؟.. قال ذلك بهدوء مكرر.

هذه المعلومة أصلاً غير دقيقة، إذ أن العائلة المقدسة قد هربت إلى مصر من وجه هيرودس الملك في حياته؛ وإلا لماذا هربوا إن كان قد مات؟! وحسب ما جاء في الإنجيل، هم أخذوا هذه الخطوة بناء على توجيه من الرب عن طريق الملاك الذي ظهر ليوسف في حلم. وبنفس الطريقة ظهر الملاك ليوسف مرة أخرى ليخبره بموت هيرودس وأن يعودوا مرة أخرى إلى بلادهم:

"إِذَا مَلَائِكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلُمٍ قَائِلًا: "قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لِأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِیُهْلِكَهُ" فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».... فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ إِذَا مَلَائِكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلُمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ. قَائِلًا: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْبِ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ" (مت ٢: ١٣ - ٢١).

لم يفت على د. زيدان أن يشكك حتى في هذا الأمر الذي لا يقبل الشك، ولا داعي أصلاً للشك فيه. وهناك نبوة جميلة في سفر إشعياء تقول: "وَحَيٌّ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ فَتَرْتَجِفُ أَوْتَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ

وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا" (أش ١٩ : ١) .. ولذلك تُلقب السيدة
العدراء بالسحابة السريعة أو الخفيفة.
ونحن نعتز جداً بزيارة العائلة المقدسة لمصر ونشعر أن مصر
هي البلد الوحيد الذي فاز بهذا الامتياز؛ أن يزوره الرب مع والدته
والقديس يوسف. بارك أرضها ونيلها وشعبها. ولذلك قال الرب في
سفر إشعياء أيضاً "بِهَا يُبَارِكُ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: مُبَارَكٌ شَعْبِي
مِصْرُ" (أش ١٩ : ٢٥).

الفصل التاسع

تشويه صورة الرهينة

يعطي د. زيدان فكرة مشوّهة جدًّا عن الرهينة القبطية، فيذكر عن راهب أصله من دمياط، وهو من دير على أطراف سيناء، قابله هيبا في طريق رحلته إلى أورشليم:

ص ١٦٨ هيبا: أثارت استهانتته بكل شئ استغرابي، وأثار عندي مزيدًا من الاستغراب، تلك السهولة التي قال بها إنه لو عادت إليه محبوبته اليوم، فسوف يرجع عن حياة الرهينة!

ص ٢١٩: مرة ثانية يحكي د. زيدان عن راهب فاسد على لسان هيبا فيقول عنه إنه عصى الرب مع النساء مراتٍ في شبابه المبكر. ثم يكون رد الفعل لهذه الاختلاقات والافتراءات، أن نسمع من يقول إن د. زيدان كشف ما بداخل الأديرة، وكأن ما قاله هو الحقيقة!

هل الرهينة بدعة؟

ص ١٨٧ نسطور: فأنتم المصريين ابتدعتم الرهينة والديرية، إحياءً لتقاليد كانت عندكم من القدم.

ص ٢١٧ هيبا: فنحن -المصريين- ابتدعنا الرهينة، وأهديناها لأنحاء العالم المسكونة بالمؤمنين.

ترتبط الحركة الرهبانية بتاريخ النسك الإنجيلي الذي ورثناه عن التقليد المسيحي منذ عهد مبكر. ففي البداية كان النسك يُمارس بطريقة فردية دون أن يعتزل المؤمن بيته أو أسرته أو يترك الجماعة الكنسية وحياته في المدينة. غير أن البعض اعتزل العالم طالباً السكون والوحدة بعيداً عن المناطق الآهلة بالسكان.

الحياة الرهبانية في جوهرها هي حياة إنجيلية؛ إذ يحثنا الإنجيل: "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟!" (مت ١٦: ٢٦). بمعنى آخر أن شيئاً واحداً له كل التقدير لدى المؤمن وهو النفس، بجوارها يُحسب العالم كله كلاً شيئاً. فإن كلاً من البتولية والرهبنة والتوحد يحمل نفس الفكر وهو تكريس القلب والجسد وكل الكيان للعبادة والاتحاد بالله.

إذن الرهبنة ليست بدعة كما يدّعي د. زيدان، لكن أساسها إنجيلي كتابي، حيث نجد في الكتاب المقدس بعهديه أمثلة لنسّاك وبتولين من الرجال والنساء الذين كرّسوا حياتهم لله، ويعرض لنا الكتاب المقدس طريقة حياتهم الرفيعة والمنزّهة عن العالم.

فالسيد المسيح نفسه عاش بتولاً وطوبّ البتولية، وأيضاً بولس الرسول في حياته عاش بتولاً، وفي رسائله شجّع على حياة البتولية. وفي العصر الرسولي، مارس كثير من المؤمنين النسك بغية التمتع بكمال الإنجيل. لقد حرّموا أنفسهم من كل لذة أرضية دون الانسحاب من وسط عائلاتهم أو مجتمعهم.

أشعل الاتجاه الإسخاتولوجي (الأخروي) في الكنيسة شوق المؤمنين نحو مجيء عريسهم، فاستحسن بعض المؤمنين أن يعيشوا في بتولية مكرسين كل أوقاتهم للعبادة كتهيئة روحية لوليمة العرس السماوي. لقد قدّم الإنجيل وأيضاً رسائل القديس بولس التقدير المسيحي الإيجابي للزواج، إلا أن البتولية وجدت لها مركزاً أعظم، لكونها جهاداً يحقق في الحال بطريقة كاملة ما يحققه الزواج بطريقة جزئية وكصورة للحقيقة، التي هي اتحاد المسيح بالكنيسة، اتحاد الله الكلمة مع الجنس البشري المتمتع بالخلاص من الخطية بصليب ربنا يسوع.

وكانت فكرة هذه الجماعات التي تنظمت وتأسست على الأمثلة الموجودة بالكتاب المقدس، هي البادرة لفكرة الرهبنة الحالية، وتنظيم أديرة انتشرت في العالم أجمع بعد ذلك. حيث حياة الشركة في الصلاة والبتولية والطاعة والأعمال الصالحة، هذه الحياة تجد أصلها في حياة السيد المسيح التي عاشها على الأرض. فوصية السيد المسيح للشباب الغني أن يبيع كل ما يملك ويوزعه للفقراء، ويتبعه (مر ١٠ : ٢١؛ مت ١٩ : ٢١؛ لو ١٨ : ٢٢) صارت العلامة المميزة للرهبنة المسيحية. حياة ربنا يسوع نفسه كانت نموذجاً للطهارة، وأيضاً فقره وطاعته للآب هذه كلها هي أسس الرهبنة.

وقد تعلمنا فكرة الوحدة والشركة مع الله في البرية من السيد المسيح نفسه في حياته على الأرض؛ حيث كان كثيراً ما يختلي في البرية منفرداً. ففي بداية خدمته بعد أن تعمّد في الأردن من يوحنا المعمدان، ذهب للبرية منفرداً لكي يصلي "وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ

إِلَى الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا" (مرقس ١ : ١٢ ،
١٣) "أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الْأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانَ
يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ. أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ
شَيْئًا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ" (لوقا ٤ : ١ ، ٢) وأثناء حياته وخدمته يذكر
الكتاب عنه أنه كثيرًا ما كان يختلي في البرية منفردًا للصلاة كما
ورد في (لو ٥ : ١٦) "وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيُصَلِّي"
وأيضًا في (لو ٦ : ١٢) "وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ.
وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ".

وهكذا تأسست الرهبنة في البرية على مثال السيد المسيح نفسه،

ونحن نقتفي أثره.

كان إيليا النبي من أول النسّاك الذين ذكرهم الكتاب المقدس في
العهد القديم. وقد عرفنا حياته ونسكه ووحدته من سفر الملوك
الأول والثاني، حيث كان يعيش في البرية ويلبس رداءً من الشعر
ويمنطق حقويه بمنطقة من الجلد (انظر مل ١ : ٨).

ثم نأتي إلى يوحنا المعمدان نبي العهد القديم والجديد، والذي
قال عنه السيد المسيح نفسه إنه "لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ
أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (مت ١١ : ١١) فحسب تقليد كنيسة
الأرثوذكسية المقدسة نعلم أن يوحنا المعمدان كان يسكن البرية
بجوار الأردن منذ صغره. "وَيُوْحَنَّا هَذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الْإِبْلِ
وَعَلَى حَقْوِيهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلًا بَرِّيًّا" (مت
٣ : ٤) كما هو مذكور أيضًا في (مرقس ١ : ٦).

"أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ
ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ" (لو ١ : ٨٠).

من كل هذا نخلص إلى أن النسك وفكرة الوحدة في البرية
ليست هي فكرة ابتدعتها بلا جذور، إنما هو فكر إنجيلي عاش به
أعظم الأنبياء منذ العهد القديم.

أما بخصوص الرهينة في العهد الجديد نجد في الكتاب المقدس
الآيات التالية، على لسان السيد المسيح: "فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ الْجَمِيعُ
يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ. لِأَنَّهُ يُوجَدُ خَصِيَانٌ وَلِدُوا
هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَيُوجَدُ خَصِيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ وَيُوجَدُ
خَصِيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ
يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ" (متى ١٩ : ١١، ١٢).

وكذلك في رسائل بولس الرسول نجده يقول: "وَأَمَّا مَنْ أَقَامَ
رَاسِخًا فِي قَلْبِهِ وَلَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌّ بَلْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى إِرَادَتِهِ وَقَدْ
عَزَمَ عَلَى هَذَا فِي قَلْبِهِ أَنْ يَحْفَظَ عِزَّاءَهُ فَحَسَنًا يَفْعَلُ. إِذَا مَنْ زَوَّجَ
فَحَسَنًا يَفْعَلُ وَمَنْ لَا يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ" (١كو ٧ : ٣٧، ٣٨).
وأيضًا يقول: "وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلْأَرَامِلِ إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ
إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا" (١كو ٧ : ٨).

وهذا يثبت أن الرهينة والبتولية ليست اختراعًا أو بدعة، أو
إحياءًا لتقليد كان يعيشه الناس منذ القدم؛ ولكنها حياة تتسمتها
الكنيسة من أنفاس الكتاب المقدس. ولقد أوحى للقديس أنبا

أنطونيوس، أب آباء (بطيريك) الحياة الرهبانية، عن هذا الطريق وهو في داخل الكنيسة، عند سماعه كلمات الإنجيل: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتَّبَعْنِي" (مت ١٩ : ٢١) فكرّس كل حياته لا لخلق وسيلة جديدة للحياة، ولا ليدرب الآخرين على الحياة النسكية، وإنما ليتم الوصية الإنجيلية. عاش حياته الروحية لا يملك سوى الإنجيل، مكتوبًا لا على ورق بل في داخل نفسه.

فلسفة الرهبنة القبطية

يليق بنا أن ندرك أن الممارسات النسكية التي جاهد فيها الرهبان المصريون لم تكن غاية في حد ذاتها. إنما كانت رغبتهم العميقة هي أن يموتوا عن ذواتهم، عن إنسانهم العتيق، لكي يتحرر فيهم الإنسان الجديد ليتربع السيد المسيح على عرش القلب النقي الزاهد في الأمور الدنيوية والاهتمامات العالمية حتى المُحلل منها. النسك هو خبرة لا لضبط الجسد فحسب وإنما ليقظة الروح لتقبل بطريقة كاملة الكلمة (اللوغوس) الإلهي، فتتهيأ لتتبع المسيح عند أول دعوة، وتختبر حياة الشركة معه.

هذه هي الحرية الحقيقية، التي يبحث عنها د. زيدان في الطريق المعاكس، ولن يجدها أبدًا، لأنه يبحث عنها حيث لا توجد. يبحث عنها في عبودية الشهوة وليس في التحرر من الخطأ.

كثيراً ما وُصفت حياة آباء البرية بأنها فردوس. فبالحقيقة حاول المتوحدون أن يصيروا في براءة آدم، بالتخلص من كل الرذائل والشهوات، فتَقَبَّلَ بعضهم طعامهم من أيدي ملائكة أو من الطيور، وصارت الحيوانات المفترسة خاضعة لهم. هكذا لم تعد البرية مجرد عودة إلى الفردوس القديم بل صارت عربوناً للفردوس العتيد، بمعنى أن الرهبان عاشوا فوق التاريخ، عبروا به إلى الماضي كما إلى المستقبل، تاركين عالم الخطية، ليعيشوا في حضرة السيد المسيح الذي رأوه روحياً ودخلوا معه في حوار، لا ينتهي حتى ولا بانتهاء الحياة الأرضية.

* * *

هل رهبنة النساء بدعة؟

ص ٢٢١ هيبا: ماذا عن أديرة النساء؟ يرد الفريسي: آه، بدعة ابتدعوها على غير أساس.

حياة الرهبنة النسائية نجد لها جذراً عميقاً في حياة السيدة العذراء. فهي وإن كانت النموذج الرائع والكمال لكل من يحب البتولية، لكنها كذلك بالأكثر بالنسبة للعداري. فهي أول إنسان مسيحي حُسِبَ مثلاً حياً للحياة الرهبانية، أو حياة التأمل والصلاة والبتولية، حيث عاشت في الهيكل منذ طفولتها. وأيضاً عُرِفَت القديسة مريم التيئوطوكوس (والدة الإله) عند العداري الملتحقات ببيوت العداري بالإسكندرية

كَمَثَلٍ عَظِيمٍ لهن. فقد اعتبرتھا العذارى "عذراء العذارى" والشفیعة عنهن. وهذا تحقیقاً لنبوۃ المزمور (مز ٤٥ : ١٤ سبعینیة) "تدخل إلى الملك عذارى فی إثرھا، جمیع قریباتھا إلیه یُقَدِّمْنَ".

وتوضح الإنجیل أن نساءً کثیرات تبعن ربنا یسوع المسیح حتی صلیبه وقبره، وكن فی غیرتهن مشتاقات إلی تكریس حیاتهن للتعبد لله. وفی إنجیل لوقا مدح ربنا یسوع المسیح مریم أخت مرثا هذه التی فضّلت الجلوس عند قدمی الرب لتسمع کلماته الإلهیة عن أن تخدمه مع أختها. قال السید المسیح لمرثا: "مَرَّتَا مَرَّتَا أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِّبِينَ لِأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ. وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إلی وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرِیْمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ یُنْزَعَ مِنْهَا" (لو ١٠: ٤١-٤٢).

ویقول بولس الرسول مشجعاً النساء علی حیاة البتولیة: "إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقًا: غَیْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِی مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِی مَا لِلْعَالَمِ كَیْفَ تُرْضِی رَجُلَهَا" (١كو ٧: ٣٤).

منذ القرن الأول فضّلت نساء کثیرات حیاة البتولیة، لیس استخفافاً بالحیاة الزوجیة، وإنما رغبة فی تكریس كل حیاتهن لعریسهن الروحي الرب یسوع المسیح. وقد لعبت هؤلاء العذارى القدیسات دوراً حیاً فی الكنیسة المسیحیة الأولى، فكنّ بالإضافة إلی عبادتهن یقمن بخدمة الأرامل والأیتام والشيوخ والمرضى.

الفصل العاشر

هل ظلم القديس ديمتريوس أوريغانوس؟

ص ٢٥٢ هيبا: فالذي يخرج من الإسكندرية مغاضبًا أو مغضوبًا عليه، لا ينبغي له العودة إليها.... فقد عاد إليها أوريجين بعد ما ذهبَ عنها مغاضبًا، فأذاقه أسقفُ زمانه ديمتريوس الكرام كؤوس المرار.

لم يُذِقْهُ القديس ديمتريوس بابا الإسكندرية الثاني عشر، كؤوس المرار ولكنه أدان آراءه الفاسدة، مثل عودة التجسد والعوالم المتعددة وأن الابن أقل من الأب والخلص الشامل وغير ذلك... فعقد البابا ديمتريوس مَجْمَعَيْنِ حرم فيهما أوريغانوس للسببين التاليين:

١- أخطأه اللاهوتية. ٢- قبوله رتبة الكهنوت في فلسطين على الرغم من عدم أهليته لذلك لأنه خصى نفسه عمدًا. وحتى اليوم لا يجوز رسامة من يخصي نفسه. ولذلك اعتبر سيامته باطلة بالإضافة إلى قبوله السيامة من أسقف آخر غير أسقفه دون أخذ تصريح من الأسقف التابع له.

آباء آخرون كانوا ضد أوريغانوس وقاوموه:

- البابا ثيوفيلس (بابا الإسكندرية الثالث والعشرون) خلال قضية الرهبان الأوريجانيين المعروفين بالأخوة الطوال.
- البابا بطرس خاتم الشهداء (الـ ١٧) كتب ضد أوريغانوس.

- ميثوديوس الأولمبي (تتيج ٣١١م) أسقف أولمبيا-كيليكية، في بداية القرن الرابع، وكتب كتابًا ضد أوريجانوس: رفض معظم تعاليم أوريجانوس خاصة مفهومه عن الوجود السابق للإنسان والصفة المؤقتة للجسد.
- القديس إبيفانيوس أسقف سلاميس (حوالي ٣١٠م - ٤٠٣م): أدرج الأوريجانية ضمن العديد من الهرطقات شملها كتابه "الهرطقات".
- القديس جيروم: هاجم عقائد أوريجانوس بخصوص قيامة الجسد، حالة النفوس، توبة الشيطان، والثالوث^{١٦٦}. وكتب أيضًا القديس جيروم: "أدين أوريجانوس بواسطة بطريركه البابا ديمتريوس، وأكدت روما إدانته"^{١٦٧}.
- القديس أغسطينوس في القرن الخامس.

المجامع الأخرى التي أدانته:

١. بعد نياحة البابا ديمتريوس في ٢٣٢م، عاد أوريجانوس إلى الإسكندرية ولكن البابا ياروكلاس - الذي خلف البابا ديمتريوس وكان سابقًا مؤيدًا لأوريجانوس وأحد تلامذته - أكد الحرم الذي أصدره سلفه البابا ديمتريوس.

¹⁶⁶ Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, p. 734.

¹⁶⁷ Jerome, *Ep. XXXII 4.*, quoted in J Stevenson, *Creeds, Councils & Controversies: Documents Illustrative of the History of the Church A.D. 337-461* (SPCK: London, 1966), p. 172.

٢. مجمع آخر في الإسكندرية في ٤٠٠م أدان الأوريجانية، وقد طرد البابا ثيوفيلس البطريرك الـ٢٣ الرهبان الأوريجانيين المعروفين بالأخوة الطوال. وحُرمت أخطاء أوريجانوس التي تشمل الوجود السابق للنفوس قبل تجسدها، وتناسخ الأرواح، وطبيعة الجسد المقام، والخلاص الشامل حتى للشيطان أيضًا^{١٦٨}.
٣. في ٤٠٠م أدان أنسطاسيوس أسقف روما أوريجانوس فقال: "إننا نوصي إن كل ما كُتب في الأيام السالفة بواسطة أوريجانوس وكان فيه ما يخالف إيماننا هو مرفوض ومُدان منا"^{١٦٩}.
٤. عقد القديس إبيفانيوس مجمعًا في ٤٠٢م في قبرص حرم فيه أوريجانوس وتعاليمه.
٥. في ٤٥٠م أدان أفرام الأنطاكي الأوريجانية في مجمع محلي.
٦. في ٥٤٣م أصدر الإمبراطور يوستينيان منشورًا لاهوتيًا يحوي مقتطفات من كتاب لأوريجانوس "المبديء" مع عشر حرومات.
٧. أُعيدت هذه الحروم مرة أخرى في ٥٥٣م في مجمع القسطنطينية الثاني حيث أُدرج أوريجانوس ضمن قائمة الهرطقة القدامى. وهكذا صار واضحًا أن بعض العقائد التي حرمتها الكنيسة (والتي تخص الأخريات، الكونيات، البشريات) هي حقيقةً تُنسب لأوريجانوس مما جاء في كتاب "المبديء"^{١٧٠}.

* * *

¹⁶⁸ Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, p. 734.

¹⁶⁹ *ap. Jerome, Ep. XCV. 1-2.*, quoted in Stevenson, *Creeds, Councils & Controversies*, p. 176.

¹⁷⁰ Davis, *The First Seven Ecumenical Councils*, p. 233.

هل كان طاطيان وثنيًا؟

ص ٢٣٦ في الحاشية يذكر المترجم: "أن طاطيان كان وثنيًا" ولكنه كان من أبوين وثنيين ثم صار مسيحيًا بعد لقائه بالقدّيس يوستين الشهيد في روما. وبعد استشهاد يوستين صار طاطيان من مؤيدي وربما هو المؤسس لبدعة Enkratites أي "المغالون في العفة" Abstinent وهي بدعة غنوسية خرجت على المسيحيين. وهم لا يشجعون الزواج باعتباره زنا - ويحرمون شرب الخمر لدرجة استبداله في التناول بالماء، وأمور أخرى غريبة على المسيحيين.

* * *

وهكذا في نهاية هذا الباب، يتضح أن الكثير جدًا مما جاء بالرواية هو من خيال المؤلف، الذي كرر مرارًا كثيرة في وسائل الإعلام والمواقع الإلكترونية إنه لا توجد معلومة واحدة خطأ في روايته!

الباب الثاني

الأخطاء العقائدية

الفصل الأول

- دفاع نسطور عن آريوس وإيمانه بالآريوسية
- التشكيك في ألوهية السيد المسيح
- التشكيك في صلب السيد المسيح وقيامته
- (وشرح مبسط لعقيدة الفداء والكفارة)

الفصل الثاني

- كنيسة الإسكندرية تعتقد بثالوث هو ثالوث قدماء المصريين الوثنيين
- كنيسة أنطاكية لا تعتقد أصلاً بالثالوث
- (وشرح مبسط لعقيدة الثالوث في المسيحية)
- وحدة الله والمسيح، الآب والابن في أقنوم واحد أو طبيعة واحدة

الفصل الثالث

- دفاع د. يوسف زيدان عن نسطور الذي ينادي بالشرك
- (وشرح مبسط لعقيدة طبيعة السيد المسيح)

الفصل الرابع

- ما هي حرومات القديس كيرلس أو "لغات كيرلس" كما يسميها د. زيدان
- عنوان رسائل القديس كيرلس

الفصل الخامس

- التجسد خرافة • (وشرح مبسط لعقيدة التجسد)
- بطرس الرسول هو الصخرة التي قامت عليها الكنيسة
- الإنسان مُسَيَّر وليس مُخَيَّرًا

الفصل الأول

هل دافع نسطور عن آريوس وهل آمن بالآريوسية؟

دفاع نسطور عن آريوس:

ص ٥٣ نسطور: ثم انتصر الإمبراطور للأسقف إسكندر ليضمن قمع مصر ومحصول العنب السنوي، وحرّم الراهب آريوس، وحرّم تعاليمه، وحكم بهراطقته كي يرضي الأغلبية من الرعية، ويصير بذلك نصير المسيحية..

ص ٥٣ و ٥٤ نسطور: ... وكل ما أعلموك به من أمر آريوس وأرائه التي يعدونها هرطقة. ولكنني أرى الأمر من زاوية أخرى، زاوية أنطاكية إن شئت وصفها بذلك. فأجد أن آريوس كان رجلاً مفعماً بالمحبة والصدق والبركة. إن وقائع حياته وتبثله وزهده، كلها تؤكد ذلك. أما أقواله، فلست أرى فيها إلا محاولة لتخليص ديانتنا من اعتقادات المصريين القدماء في آلهتهم، فقد كان أجدادك يعتقدون في ثلاث إلهي زوايا ايزيس وابنها حورس وزوجها أوزير الذي أنجبت منه من دون مضاجعة. فهل نعيد بعث الديانة القديمة؟ لا، ولا يصح أن يقال عن الله إنه ثالث ثلاثة. الله يا هيبا واحد لا شريك له في ألوهيته. ولقد أراد آريوس أن تكون الديانة لله وحده لكنه ترنم في زمانه بلحن غير معهود من مثله. معترفاً بسر الظهور الإلهي في المسيح وغير معترف بألوهية يسوع. معترفاً بأن يسوع ابن مريم الموهوب للانسان، وغير معترف بشريك لله الواحد.

يتضح من سياق الكلام السابق واللاحق لهذه المقولة كم كان
نسطور متعاطفاً مع أريوس في الرواية. وأيضاً في:

ص ٢٥٣ **نسطور:** استدرج الإسكندرانيون الراهب أريوس إلى
القسطنطينية من منفاه ببلاد القوط (إسبانيا) بعدما كان قد استقر هادئاً هائئاً
بأقصى العالم. استدرجوه، بعدما حرموه وعزلوه ومثلوا بسمعته. لم يرضوا
له أن يموت في سلام... لقي أريوس مصيره المفجع ومات مسموماً.

يتضح من كلام نسطور في الرواية إنه ينحاز إلى أريوس ويمدحه
مدافعاً عنه وعن إيمانه، ويهاجم عقيدة الثالوث وألوهية الابن الوحيد
الذي هو الله الكلمة. ولكن نسطور كان يدافع عن عقيدة الثالوث
وعن ألوهية الابن الكلمة بكل شدة لدرجة أنه لم يقبل فكرة تجسد
الكلمة بل ادّعى أن الله الكلمة سكن في الإنسان يسوع المسيح
ومنحه ألقابه وكرامته، وأن الطبيعة الإلهية للإله الكلمة لا يمكن أن
تتحد بالطبيعة البشرية ليسوع المسيح، وبهذا يكون الكلمة هو ابن
الله ويسوع هو ابن مريم، ومن أجل كرامة الإله الحال في الإنسان
يُعبَد الإنسان مع الإله بعبادة واحدة. ولهذا رفضت الكنيسة عقيدة
نسطور في التجسد. ولكن نسطور لم يرفض، كما قلنا، عقيدة الإله
الواحد المثلث الأقانيم، أما الدكتور يوسف زيدان فيدّعي أن نسطور
حينما كان قسيساً في أنطاكية قد انحاز إلى عقيدة أريوس الذي
رفض عقيدة الثالوث المسيحي. ولكن هذا غير صحيح بالمرّة، بل
على العكس من ذلك، فحسب ما هو مذكور في جميع المراجع
العالمية المشهورة أن نسطور أظهر حماساً غير عاديّاً في مقاومة

الآريوسية التي تنادي بأن ابن الله الكلمة غير مساوٍ للآب في الجوهر والأزلية:

يذكر المؤرخ المعروف شاف^{١٧١} Phillip Schaff :

في خطاب تنصيه بطريكاً خاطب (نسطور) الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني بهذه الكلمات: "أعطني أيها الإمبراطور الأرض نقية من الهرطقة وأنا سأعطيك السماء في المقابل، ساعدني في الحرب ضد الهرطقة وأنا سأساعدك في الحرب ضد الفرس"^{١٧٢}. وبعد تنصيه مباشرة بدأ في اتخاذ إجراءات عنيفة ضد الآريوسيين.

يذكر المؤرخ الشهير هيفيلي^{١٧٣} Hefele نفس ما ذكره شاف عن ما جاء في خطاب تنصيه وأضاف:

بعد ذلك بأيام قلائل صمم أن يحرم الآريوسيين من كنيستهم الصغيرة التي كانوا لا يزالوا يمتلكونها في القسطنطينية، حتى أنهم اقتيدوا إلى إشعال النار فيها بأنفسهم، الأمر الذي جعل الهرطقة وكثير من الأرثوذكس يلقبون نسطور بـ "المُحرق".

يذكر^{١٧٤} Henry Wace & William C. Piercy :

في اليوم الخامس لتنصيه، قرر (نسطور) أن يهدم الكنيسة

¹⁷¹ Schaff, vol. 3, p. 716.

¹⁷² Soc. vii. 29., in vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 169.

¹⁷³ Hefele, vol. 3, p. 10.

¹⁷⁴ Wace and Piercy, p. 753.

الصغيرة التي اعتاد الآريوسيون الاحتفال بعبادتهم فيها.

ولتأكيد عقيدة نسطور المضادة للآريوسية مع رفض فكرة تجسد الابن الوحيد أي الله الكلمة، نورد نص خطابه الرابع ضد بروكلس والذي تظهر فيه جلياً عقيدته في ألوهية الابن الكلمة (وهي التي رفضها آريوس) ورفضه لعقيدة التجسد التي دافع عنها القديس كيرلس الكبير:

إنهم يدعون اللاهوت معطى الحياة قابلاً للموت، ويتجاسرون على إنزال اللوغوس إلى مستوى خرافات المسرح، كما لو كان (كطفل) ملفوفاً بخرق ثم بعد ذلك يموت.. لم يقتل بيلاطس اللاهوت، إنما حُلّة اللاهوت. ولم يكن اللوغوس هو الذى لُف بثوب كتّاني بواسطة يوسف الرامي... لم يَمُت واهب الحياة لأنه مَنْ الذى سوف يقيمه إذن إذا مات.. ولكي يصنع مرضاة البشر اتخذ المسيح شخص الطبيعة الخاطئة (البشرية) .. أنا أعبد هذا الإنسان (الرجل) مع اللاهوت ومثل آلات صلاح الرب.. والثوب الأرجوانى الحي الذى للملك... ذاك الذى تشكّل في رحم مريم ليس الله نفسه.. لكن لأن الله سكن في ذاك الذى اتخذه، إذن فإن هذا الذى اتُخِذَ أيضاً يدعى الله بسبب ذاك الذى اتخذه. ليس الله هو الذى تألم لكن الله اتصل بالجسد المصلوب... لذلك سوف ندعو العذراء القديسة ثيؤوذوخوس

θεοδόχος (وعاء الله) وليس ثيئوتوكوس θεοτόκος (والدة الإله)، لأن الله الآب وحده هو الثيئوتوكوس، ولكننا سوف نوقّر هذه الطبيعة التي هي حُلة الله مع ذلك الذي استخدم هذه الحُلة، سوف نفرّق الطبائع ونوحّد الكرامة، سوف نعترف بشخص مزدوج ونعبده كواحد^{١٧٥}.

بالرغم من إيمان نسطور بأن الابن الوحيد الذي هو الله الكلمة هو مساوٍ للآب في الجوهر، وبالرغم من إيمانه بعقيدة الثالوث القدوس وبالأقانيم الثلاثة؛ الآب والابن والروح القدس، لكنه لم يقبل فكرة تجسد الكلمة واتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية. ولم يقبل أن الله الكلمة يتألم بحسب الجسد؛ فاعتبر أن يسوع المسيح هو إنسان حامل لله الكلمة، والإنسان هو الذي تألم على الصليب، والله الكلمة كان يقويه، وكان بهذا يحارب الذين يرفضون ألوهية الابن الوحيد بقولهم إنه لو كان إلهًا لما مات على الصليب، وقد حاربهم بشدة لأنه كان متمسكًا بأن الابن الوحيد الجنس هو مساوٍ للآب في الجوهر. ولكنه لم يفهم أنه تألم بالجسد ولكن ليس بحسب ألوهيته.

يعود الدكتور زيدان في ص ٢٢٩ يذكر على لسان هيبا:

اليوم أسأل الأسقف نسطور حين تسنح الفرصة، عن صحة الأخبار التي يتناقلها الرهبان حول بطشه بمن يرى أنهم مهرطقون "...." ولسوف أسأله (يقصد الأسقف نسطور) عما قاله في خطبة رسامته أسقفًا موجّهًا كلامه

¹⁷⁵ Marius Merc. l.c. pp. 789-801, quoted in Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, pp. 15, 16.

للإمبراطور: ساعدني في حربي ضد الكفر، أساعدك في حربيك ضد الفرس. أعطني الأرض خالية من الهراطقة، أعطك مفاتيح السماء ونعيمها المقيم! إن صحَّ عنه مثل هذا القول العجيب، صحَّ عندي أنه تغيَّر عن الحال الذي عرفته عليه، وصار يطلب الأرض لا السماء.. وذلك مما لا أحبه له".

الحقيقة إنه كما يتضح فيما بعد، لم تسنح الفرصة -على حد تعبيره- ولم يستفسر من نسطور إلى آخر الرواية عن ذلك ولا عن أخبار مقاومته للآريوسيين. ويترك الأمر بلا تفسير منه! ويترك القارئ في عدم اليقين إن كان نسطور قد غيَّر فكره وانقلب على الآريوسيين فعلاً أم لا.

ولكن من المعروف والثابت تاريخياً أن نسطور منذ أن كان قساً في أنطاكية اشتهر بمقاومته للآريوسيين. وإنه لهذا السبب رُشح لأسقفية القسطنطينية. تماماً مثلما نصَّب الآباء فيما مضى، القديس غريغوريوس أسقف نيزيانزا أسقفاً على القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية أيضاً لنفس الغرض؛ لكي يدحض الهرطقة الآريوسية بواسطة خطبه اللاهوتية الرائعة والبليغة والتي نُعت بسببها بـ "اللاهوتي". ونفس الأمر حدث مع القديس يوحنا ذهبي الفم الذي كان قساً وواعظاً قديراً في أنطاكية، وارتقى إلى كرسي القسطنطينية لبراعته في الوعظ، وصار من ألقابه أيضاً "خطيب مدينتين" أي أنطاكية والقسطنطينية مثلما حدث مع نسطور. ولذلك لا نعجب إن كان أول ما فعله نسطور بعد رسامته هو مقاومته للآريوسية.

ويُعد هذا الإجراء إجراءً طبيعيًا؛ إذ أن نسطور كان تلميذًا لثيودور الموبسويستي -وقد ذكر د. زيدان ذلك في روايته- وثيودور أسقف موبسويستيا هذا اشتهر بدفاعه عن ألوهية الكلمة ضد الآريوسيين وضد إفنوميوس (الذي نادى أيضًا بأن الابن أقل من الآب). وسنددل على ذلك من أقوال هذا الأسقف ومن عدة مراجع: الكلمة كان في البدء... فكل الخلائق ما كانت وبدأت توجد. أما هو فكان الله منذ الأزل... هو إله حق من إله حق. هو من الله بالطبيعة لا بمجرد التسمية. هو في حضن الآب كما يقول يوحنا الحبيب وهو لا ينفصل عنه... اعتقد الهرطقة (أي الإفنوميون) إنه إله حق وإله بالطبيعة ولكنهم لا يقولون إنه الله مثل أبيه. لهذا أعلن آباء نيقية إنه مساوٍ لأبيه في الطبيعة. وكما أعلنوا أن الآب هو باري الكل، كذلك أوضحوا أن الابن المولود من الآب والمساوي له في الجوهر هو خالق الكل مثل أبيه^{١٧٦}.

ويذكر مؤلف كتاب تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، أن نسطور التحق بدير يُدعى "دير أوبريببوس":

"ووجد نسطور في هذا الدير ضالته المنشودة. فقد كان ثيودورس... يلقي فيه يومذاك محاضراته القيمة. فتتلمذ له مع يوحنا بطريرك أنطاكية وثيودوريتس أسقف قورش

^{١٧٦} د. بولس الفغالي، ثيودورس أسقف المصيصة ومفسر الكتب الإلهية، التراث السرياني ٣، دار المشرق، بيروت ١٩٩٣م، ص ١١٤، ١١٥.

وروفينس الآكلي وبرصوم أسقف نصيبين... فخاص في
بحره الذاخر وجمع من حماته^{١٧٧}.

"كان نسطور من تلامذة مدرسة أنطاكية، ومشبعًا بتعاليم
ثيودورس المصيبي^{١٧٨}".

"في نفس السنة ٤٢٨م، التي مات فيها ثيودور... ارتقى
تلميذه نسطور كرسي أسقفية القسطنطينية"^{١٧٩}.

كان ثيودور مساندًا قويًا للأرثوذكسية النيقية الجديدة التي
لمجمع القسطنطينية ٣٨١م. وكان عدوًا لكل من الآريوسيين
والأبوليناريين^{١٨٠}.

وفي كتاباته هاجم الآريوسية بوضوح:

"في التجسد"، وهو من ١٥ كتابًا:

هو أكثر أعماله التي أُقتبس منها، ويُعد ليس فقط أهم أعماله
بل أهم كل مقالات مدرسة أنطاكية... ألفه ثيودور قبل أن
يصبح أسقفًا على موبسويستيا. وهو موجه ضد آريوس
وإفنوميوس وأبوليناريوس أسقف اللاذقية^{١٨١}.

"ضد إفنوميوس"، في ٢٥ كتابًا ضد إفنوميوس دفاعًا عن باسيليوس:

^{١٧٧} سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية
للسريان الأرثوذكس)، ج ٢، ص ٣٤.

^{١٧٨} الأب ألبير أبونا، *أدب اللغة الآرامية*، دار المشرق، المكتبة الشرقية، بيروت - لبنان، الطبعة
الثانية ١٩٩٦م، ص ٩٨.

^{١٧٩} Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 414.

^{١٨٠} *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Theodore of Mopsuestia" (ca.
350-428). p. 1116.

^{١٨١} Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 410.

يحيي غنى في الشواهد المأخوذة من الكتاب المقدس. وهو يدحض مناقشات إفنوميوس تقريباً كلمة بكلمة^{١٨٢}. في كتاباته، "كان أول إهتماماته هو الجدل الآريوسي "ضد إفنوميوس" وفيه فند إجابة إفنوميوس لباسيلوس"... أهم عمل عقائدي له كان "في التجسد" في ١٥ كتاب وموجه ضد الإفنوميين والأبوليناريين"^{١٨٣}.

كما يذكر أيضاً مؤلف كتاب "ثيودورُس أسقف المصيصة ومفسر الكتب الإلهية"^{١٨٤} "أن نسطور كان تلميذاً لثيودور، وأن ثيودور في أهم كتاباته مثل "في التجسد"، هاجم الآريوسية والإفنومية، كما ذكر جيناديوس أسقف مرسيلية الذي عثر على هذا الكتاب في القرن الخامس. وذكر أيضاً مؤلف الكتاب المذكور أن ثيودور كتب كتاباً "ضد الإفنوميين".

ومن المعروف أيضاً أن ثيودور الموبسويستي هذا هو أبو الهرطقة النسطورية^{١٨٥} بالرغم من دفاعاته ضد الآريوسيين. إذ أن النساطرة قد أنكروا ألوهية يسوع، لأنهم استبعدوا أن يكون الابن الوحيد الذي هو الله الكلمة، قد مات على الصليب. فقالوا إنه سكن في الإنسان يسوع. ولكنهم سقطوا في الهرطقة وهم يقاومون الهرطقة الآريوسية.

¹⁸² Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 412.

¹⁸³ *Encyclopedia of the Early Church*. vol. 2, s.v. pp. 824, 5.

^{١٨٤} د. بولس الفغالي، ص ١٦، ١٧، ٥٦، ١٠٨.

¹⁸⁵ Hefele, vol. 3, p. 9.

التشكيك في ألوهية السيد المسيح

قد أثبتنا تاريخياً أن نسطور قاوم الأريوسية بشدة، على عكس ما ذكره د. يوسف زيدان في روايته على لسان نسطور، مدافعاً عن إيمان آريوس الذي يتلخص في عدم الإيمان بألوهية الرب يسوع.

ص ٤٧ نسطور: المسيح يا هيبا مولود من بشر، والبشر لا يلد الآلهة..
كيف نقول إن السيدة العذراء ولدت رباً، ونسجد لطفل عمره شهر، لأن المجوس سجدوا له!.. المسيح معجزة ربانية، إنسانٌ ظهر لنا الله من خلاله، وحلَّ فيه، ليجعله بشارة الخلاص وعلامة العهد الجديد للإنسانية. مثلاً أوضح لنا الأسقف تيودر أمس.

ص ٢٤٦ نسطور: التجلي المؤقت للإله المتعالي في المسيح يسوع، هو رحمة أهداها الله لنا، ولا يجب علينا إهدار الهدية الإلهية بهذا التوسُّع والاسترسال مع خرافاتنا الخاصة بألوهية المسيح، منذ كان في بطن أمه أو منذ زمن طفولته، ولا يصح الاعتقاد بأن مريم العذراء ولدت الله! فالله باقٍ على كماله الأزلي الأبدي، فهو الواحد الفرد، لا يولد ولا يموت، وهو يتجلَّى حيناً، ويحتجب أحياناً بحسب مشيئته.

ص ٥٤ نسطور: ولا يصح أن يقال عن الله إنه ثالث ثلاثة. الله ياهيبا واحد لا شريك له في ألوهيته. ولقد أراد آريوس أن تكون الديانة لله وحده لكنه ترنم في زمانه بلحن غير معهودٍ من مثله. معترفاً بسر الظهور الإلهي في المسيح وغير معترف بألوهية يسوع.

يحاول د. زيدان أن يقنع القارئ بفكرة أن الرب يسوع المسيح ليس إلهاً. وهذه النقطة بالذات هي أساس بقلب ومشاعر كل

مسيحي حقيقي. فهي لب المسيحية وقلبها النابض بدونها لا توجد مسيحية على الإطلاق. ونلاحظ أن الراهب لم يعارض نسطور فيما قاله، وكأنه الحقيقة التي كانت مختفية وأزاح نسطور الستار عنها! تقوم المسيحية على عقيدة أن المسيح هو ابن الله الذي له نفس جوهره. فإن لم يكن السيد المسيح هو الله لفقد الفداء قيمته؛ لأنه هل يستطيع إنسان مهما بلغت قداسته أن يكفر عن خطايا العالم كله؟ وهكذا لو لم يفد الله الإنسان لما نال غفران خطاياهم وتجديد طبيعته، وبالتالي الحياة الأبدية السعيدة. فنحن نؤمن أن الذي صُلب ومات على الصليب هو الله المتجسد. فاللاهوت لا يمكن أن يموت لذلك اتحد بجسد قابل للموت "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوَّلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ" (عب ٢: ١٤). ونجد ذلك واضحاً في مقولة مشهورة للقديس **أثناسيوس الرسولي** في الفصل التاسع من كتابه **"تجسد الكلمة"**:

وإذ رأى الكلمة أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلا بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب، لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى باتحاده بالكلمة، الذي هو فوق الكل، يكون جديراً أن يموت نيابة عن الكل، وحتى يبقى في عدم فساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من الأموات. وإذ قدم للموت

ذلك الجسد، الذي أخذه لنفسه، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة فقد رفع حكم الموت فوراً عن جميع من ناب عنهم، إذ قدم عوضاً عنهم جسداً مماثلاً لأجسادهم.

ثم قام من الأموات في اليوم الثالث وأقامنا فيه؛ أي أنه كما أعطى لجسده إمكانية أن يقوم قيامة الحياة صار لكل المؤمنين به نفس الامتياز.

سوف نشرح بطريقة مبسطة عقيدتنا في الفداء والكفارة. بعد أن نورد هنا بعض ما جاء في الرواية من الأضاليل!



التشكيك في صلب السيد المسيح وقيامته

ص ٢٣ هيبا: هل قام يسوع حقاً من بين الأموات! وكيف له وهو الإله، أن يموت بأيدي البشر.. هل الإنسان قادر على قتل الإله وتعذيبه، وتعليقه بالمسامير فوق الصليب!

ص ٧٢ هيبا: ويمقتهم المسيحيون لوشايتهم بالمخلص وتسليمه للرومان ليصلبوه.. ليصلبوه.. "أتراه صُلب حقاً؟"

ص ٣٦٤ إلى نهاية ٣٦٦ على لسان هيبا وعزازيل

- غير أنني فوجئت بصوت عزازيل يتصعد من أقصى مواطن فراغي، وأحلكها، فيسيل قلبي بين الضلوع، ويشعرني بأن السماء انطبقت على الأرض وأنا محشورٌ بينهما. كان يقول: متي يا هيبا ستكتب الكتابة الحقّة،

وتكف عن المراوغة وتتغنّى بالألم الذي فيك؟ لا تكن مثل ميت ينطق عن ميتين، ليرضي الميتين! قل الحق الذي بقلبك مثلاً، يا مرتا، أشرقي بلحظةٍ من وصالك، لتنبيري قلبي المظلم، وتبددي وحشتي..

- اسكت يا ملعون، لن أتغنّى إلا بالمسيح الحي.. فالشعرُ دُرٌّ منظوم، وقد قال المسيح يسوع: لا تلق بالدر للخنازير.

- هل صارت مرتا عندك كالخنازير. أفقُ يا هيبا وانتبه، فإن شوقك إليها يعتصرك ويهضر قلبك.. اذهب إليها، خذها وارتحل عن هذه البلاد، اسعد بها ودعها تمرح، ثم صبّ عليّ اللعنات لأنني أغويتك؛ فنكون نحن الثلاثة قد تحقّقنا، وحقّقنا ذواتنا.

قلتُ في نفسي، لن أصغي لتشكيكات عزازيل فهو بطبعه متشككٌ ومثيرٌ للقلق. سوف أغسل قلبي بماء اليقين، وأستعصم بإيماني من غواياته وهرطقته وميله للمتعة الزائلة. مهما كان تعلّقي بمرتا، فإنه مؤقت، مثل كل ما في الدنيا. ولن أبيع الباقي من أجل الفاني، والغالي من أجل الرخيص. سوف أعيش حياتي في المسيح الحي.

- أهو حيّ، كيف وقد قتله الرومان؟

- مات أياماً، ثم قام قيامته المجيدة من الموت!

- وكيف مات أصلاً.. كيف لك أن تصدّق يا هيبا، أن الحاكم الروماني بيلاطس وهو الإنسان، قادرٌ على قتل المسيح الذي هو الإله.

- كان ذلك السبيل الوحيد لخلاص الإنسان.

- بل كان السبيل الوحيد لتخليص المسيحية من اليهودية!

لم أشأ أن أسمع من عزازيل المزيد لكنه ظل يهمس في أذني، أثناء نومي، رأيّ عجيب. كان يقول أشياء كثيرة، منها أن اليهود أهانوا فكرة الألوهية التي اجتهدت الإنسانية طويلاً كي تصوغها. حضارات الإنسان القديمة علت بالإله، واليهود جعلوه في توراتهم منهمكاً مع البشر، فكان

لا بد من إعادته إلى السماء ثانية.. وهكذا جاءت المسيحية لتؤكد وجود الله مع الإنسان في الأرض، في شخص المسيح، ثم ترفعه مستعينة بالأساطير المصرية القديمة، إلى موضعه السماوي الأول. بعدما ضحى (الإله) بنفسه، على ما يزعمون، من أجل خلاص البشر من خطية أبيهم آدم!.. فهل انمحت الخطايا بعد المسيح، وهل صعب على الله أن يعفو عن البشر بأمر منه. من غير معاناة موهومة، وصلب مهين وموت غير مجيد، وقيامة مجيدة..

غاب عزازيل بداخلي وسكت، فغمرتني راحة مفاجئة، شعرت بعدها بالفراغ يلفني.. بعد حين توسدت فراغي، ونمت في نومي.

ولم ينتهر هيبا عزازيل ولم يعلق على كلامه، وهذا دليل على أنه يوافقه فيما قاله. ومما يؤكد ذلك أن د. زيدان يذكر في نهاية الرواية في ص ٣٦٧ على لسان هيبا، نفس ذلك الكلام تعليقاً على مقدمة قانون الإيمان التي ذكر نصّها:

هيبا: تلك هي مقدمة قانون الإيمان... أعني الإيمان بالإله. الإله الذي أعادته ديانتنا ثانية إلى السماء.

سأحاول في الصفحات التالية أن أشرح شرحاً مبسطاً يجيب على هذا التشكيك الذي يؤدي إلى الضياع. وسوف تجد في الشرح الإجابة التي أتمنى أن تكون وافية للرد على هذه الشكوك.

* * *

شرح مبسط لعقيدة الكفارة والفداء

وإعلان محبة الله وعدله على الصليب

يقول المزمور "الرحمة والحق تلاقيا. البر والسلام تلاثما. الحق من الأرض أشرق والبر من السماء اطلع" (مز ٨٥: ١٠-١١). فكما أن الصليب هو إعلان عن محبة الله حسب قول السيد المسيح "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦)، فإن الصليب أيضًا إعلان عن قداسة الله الكاملة وعن عدالته المطلقة. كما هو مكتوب "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب ٩: ٢٢).

فالفجران الإلهي هو فجران مدفوع الثمن. لأن الخطية والبر لا يتساويان عند الله. ولكي يعلن الله بره الكامل وقداسته المطلقة فلا بد أن يعلن غضبه على الخطية. كقول معلمنا بولس الرسول "لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم" (رو ١: ١٨). ويقول أيضًا معلمنا بولس الرسول "مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي" (عب ١٠: ٣١)، ويقول "لأن إلهنا نار آكلة" (عب ١٢: ٢٩). وقيل عن عمل السيد المسيح الفدائي المذكور في سفر الرؤيا "وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء" (رؤ ١٩: ١٥).

إذن، الله يغضب بسبب الخطية وهذا واضح تماماً في كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد المقدسة.

غضب الله:

لا أحد يستطيع أن ينكر غضب الله بسبب الخطية، بل لابد أن تُعلن قداسة الله الكاملة كرفض للخطية والشر في حياة الإنسان أي كرفض لخطية الإنسان. عدل الله في محاسبته على الخطية معناه أن تظهر قداسة الله الكاملة بأن تنال الخطية قصاصاً عادلاً. حتى لو دفع الثمن من يحمل خطية الإنسان عوضاً عنه، مانحاً الخاطئ فرصة للتوبة والحياة، بعد أن يكتشف بشاعة الخطية ويكرهها قابلاً محبة الله الشافية والغافرة التي يمنحها الروح القدس في الأسرار. كان الإنسان الضائع الذي سقط في فخ إبليس، وسقط تحت الغضب الإلهي يحتاج إلى من يخلصه. كقول الرب "من يد الهاوية أفيدهم. من الموت أخلصهم" (هو ١٣ : ١٤). وكان الأمر يحتاج إلى من يسحق سلطان الموت ويهزم طغيانه، ويحتاج إلى من يستطيع أن يحرر المسبيين ويخلصهم من أسر إبليس وينقذهم من الغضب الإلهي.

تحرير البشر من سلطان الشيطان:

يتضح ذلك من كلام السيد المسيح لبولس الرسول حينما ظهر له وهو في طريقه إلى دمشق وقال له "قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به

منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيياً مع المقدسين" (أع ٢٦: ١٦-١٨).

إنقاذ البشر من غضب الله:

إن السيد المسيح احتمل الغضب. الألم الذي احتمله هو نتيجة الغضب المعلن ضد الخطية. الغفران في المسيحية، ليس غفراناً بلا ثمن بل هو غفران مدفوع الثمن. والذي دفع الثمن هو السيد المسيح بدافع محبته لكي يخجل الخطاة بهذا الحب العجيب...

فالإنسان يخجل من خطاياه التي تسببت في آلام المخلص واحتماله التعيير وموته كما قال بفم النبي "تعبيرات معيّريك وقعت عليّ" (مز ٦٩: ٩).

إن الإنسان حينما ينظر إلى صليب الرب يسوع المسيح يقف مبهوراً من محبته، ومخزياً من كل خطية تسببت في صلبه. إنه يرى في الصليب الحب بأجل معانيه. ويرى أيضاً العدل يأخذ مجراه. ويسمع كلمات الرسول منذراً إياه هو وغيره من المؤمنين: "قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو ٦: ٢٠). وأيضاً قوله "إنكم لستم لأنفسكم" بل للمسيح (١كو ٦: ١٩). أليست هذه هي الأنشودة الرسولية "كي يعيش

الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام" (٢كو ٥: ١٥).

إن الله لكي ينقذنا من نتائج خطايانا، "أرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١يو ٤: ١٠) وأدان الخطية كقول معلمنا بولس الرسول "الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد" (رو ٨: ٣). إدانة الخطية في الجسد، تعني أن الخطية قد أُدينَت على الصليب. فالله "لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين" (رو ٨: ٣٢). الله لم يشفق على ابنه حينما حمل خطايانا في جسده بل أعلن غضبه على الخطية لكي تتال الخطية دينونة عادلة. وهنا يتبرر الله كقدوس وكرافض للشر.

إن الله يريد أن يعلن نقمته وغضبه ضد خطية الإنسان. فمن يقبل أن يحمل المسيح خطاياه عنه، فإنه يرى بعينه الخطية قد سُمِرت على الصليب. ويعلم بهذا أن خطاياه قد غُفرت. يرى بعينه الخطية وقد أُدينَت دينونة عادلة. وهكذا قال معلمنا بولس الرسول "إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدًا لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كو ٢: ١٤).

ويشرح القمص تادرس يعقوب هذه الآية ويقول [ماذا يعني تمزيق صك الدين الذي علينا الذي أعلنته فرائض الناموس؟ إلا إيفاء الدين تماماً بالصليب].

وهنا نتذكر قول معلمنا بولس الرسول "من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رافة. فكم عقاباً

أشر تظنون إنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدّس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب ١٠ : ٢٨ ، ٢٩). وأيضاً "فإننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازى يقول الرب. وأيضاً الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع في يدى الله الحي" (عب ١٠ : ٣٠ ، ٣١). وقوله أيضاً "لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى. لأن إلهنا نار آكلة". (عب ١٢ : ٢٨ ، ٢٩).

وقد أشار القديس يوحنا ذهبي الفم إلى أهمية رفع الغضب الإلهي لإتمام المصالحة فقال:

ولكي تعلموا أننا أخذنا الروح القدس كعطية تصالح الله معنا.. وإن الله لا يرسل نعمة الروح القدس إذا كان غاضباً منا. لكيما إذا اقتنعت بأن غياب الروح القدس هو دليل غضب الله، تتأكد أن إرساله مرة أخرى هو دليل المصالحة. لأنه لو لم تكن المصالحة قد تمت لما أرسل الله الروح القدس (العظة الأولى عن عيد حلول الروح القدس).

نحن اليوم حينما نقول "سامحنا يارب" عندما نخطئ. يقول لنا الرب: نعم أسامحكم، لكن لا بد أن تفهموا أن خطيئتكُم ثمنها مدفوع. ثمناً غالياً..

لماذا لا يغفر الله لنا بدون الصليب؟

البعض يقولون لماذا لا يغفر الله الخطية بناءً على طلب الإنسان بدون آلام الصليب ومعاناته. ونحن نجيبهم: إن الله إذا غفر بدون قصاص كامل للخطية يكون كمن يتساوى عنده الخير والشر. وإذا كان الغفران هو علامة لرحمته فأين قداسته الكاملة كرافض للشر إن لم تأخذ الخطية قصاصاً عادلاً؟

نحن نفهم أن الله يقول أنا أغفر لكم. لكني أغفر لمن يدرك قيمة الغفران أن ثمنه غالٍ جداً؛ ولمن يقبل نعمة الشفاء من الخطية بفعل التجديد والتطهير الذي يعمل به الروح القدس.

ما الفائدة أن مريضاً يطلب من الطبيب أن يسامحه على مرضه دون أن يطلب منه الشفاء؟! الأجدد بالمريض أن يطلب من الطبيب أن يشفيه بكل الأدوية الضرورية. وهكذا لا يكفي طلب المغفرة من الله بدون وجود سبب للمغفرة، بل يلزم طلب المغفرة على حساب دم المسيح وطلب الشفاء وقبول تعاطي الدواء الذي يمنحه الطبيب السماوي وهو تجديد الطبيعة بالمعمودية وممارسة الأسرار المقدسة. والكتاب يقول عن شفاء مرض لذة الخطية التي دفع ثمنها السيد المسيح "الذي بجلدته شفيتم" (١بط ٢: ٢٤).

وقيل أيضاً إنه "مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفيينا. كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش ٥٣: ٥، ٦).

الإنسان يشعر أن ثمن خلاصه مدفوع، وأن السيد المسيح اشتراه بدمه. فلم يعد ملكاً لنفسه. وأنه قد دُفن مع المسيح وصُلب معه في المعمودية. فحينما تأتي الخطية وتقول له خذ نصيبك من المتعة، يقول لها ما هو نصيبي من لذة الخطية؟! هل الميت له نصيب في ذلك؟! لهذا يقول القديس بولس الرسول "احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ١١). فالإنسان يرى أن خطيته قد دُفع ثمنها لكي ينال الغفران. يأتيه الشيطان ويقول له ارتكب الخطية مرة أخرى. فيجيبه: كيف ذلك؟! هذه الخطية ثمنها غالٍ.. الغفران مدفوع الثمن بالكامل. لأن "أجرة الخطية هي موت" (رو ٦: ٢٣).

فالموت الذي أستحقه أنا، دفع ثمنه بالكامل المسيح مخلصي. يخجل الإنسان من نفسه كلما ينظر إلى الصليب ويشعر بالخزي، يحتقر نفسه.. يكره نفسه.. يكره النفس التي تطالب بالخطية وبلذتها.. يبكت نفسه ويقول في مقابل هذه اللذة الرخيصة العابرة قد جُلد المسيح الذي أحبني بالسياط وسُمر بالمسامير.

إذن فكل لذة محرمة يقبلها الإنسان قد دفع ثمنها السيد المسيح بالجلدات الحارقة في جسده المبارك تلك التي احتملها في صبر عجيب وهو برئ.

فإذا تجاهلنا العدل الإلهي.. فما الداعي للصليب أصلاً؟.. ما لزومه؟ هل الصليب مجرد تمثيلية لكي يُظهر لنا السيد المسيح

محَبته فقط؟؟!! ثم ما معنى كلمة "الفداء"؟ حينما يقول "ليبذل (المسيح) نفسه فدية عن كثيرين" (مت ٢٠: ٢٨) أو "الذي بذل نفسه فدية" (١ تي ٢: ٦). هل أصبحت كلمة الفداء كلمة ليس لها معنى؟

والعجيب أن البعض يرفضون أن يقدم الفادي نفسه في موضع الخاطئ. أي يضع نفسه في مكان الخاطئ بينما الكتاب واضح إذ يقول إشعياء النبي "والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش ٥٣: ٦) وقال يوحنا المعمدان "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩). ويقول أيضًا إشعياء النبي "جعل نفسه ذبيحة إثم" (أش ٥٣: ١٠). وفي رسالته الأولى يقول معلمنا بطرس الرسول "عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب" (١ بط ١: ١٨-١٩) ويقول معلمنا بولس إن "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" (غل ٣: ١٣). ويقول "قد أشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١ كو ٦: ٢٠). ويقول "إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدًا لنا وقد رفعه من الوسط مسمرًا إياه بالصليب" (كو ٢: ١٤).

قصة:

حكى عن أخين بحارين على مركب واحد. أكبرهما كان إنسانًا قديسًا وبارًا والأصغر كان شريرًا وخاطئًا. وفي أحد الأيام هاج البحر وكانت المركب على وشك الغرق، وعدد الركاب كان كبيرًا جدًّا في السفينة وقوارب النجاة قليلة. فقال القبطان سوف نعمل

قرعة ومن وقعت عليه القرعة هو الذي سوف يركب في قوارب النجاة ومن لم يكن له نصيب في القرعة سوف يُترك في المركب.

وعندما تم عمل القرعة وقعت على الأخ القديس لكي يركب قارب النجاة، أما الأخ الخاطيء فلم تُصِبه القرعة. فحزن جداً وقال سوف أموت الآن. فقال له أخوه الأكبر لا تبكي ولكن اركب أنت مكاني وأنا سوف آخذ مكانك. فقال له ما ذنبك؟ أجابه الأخ الأكبر: أنت الآن إذا مُتَّ وأنت في خطيئتك وغير مستعد سوف تهلك وتذهب إلى الجحيم، ولكن أنا أحب السيد المسيح وأتمنى أن أكون في أحضانه، وبنعمة الله سوف أذهب إلى الفردوس بعد موتي لأن "لي اشتاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً" (في ١: ٢٣). فمن الأفضل أن أموت أنا الآن لأن موتي لن يؤدي إلى هلاكي. ولكن موتك أنت سوف يؤدي إلى هلاكك. لكن لي عليك شرطاً؛ أن تحيا حياتي التي كنت أحيها أنا. لأنني سوف أموت لأجلك، فلا بد أن تعيش لأجلي. وقد وافقه الأخ الأصغر على هذا الشرط وعاهده عليه. وعندما نزلت قوارب النجاة إلى البحر بدأ الأخ الصغير يندم على خطيئته ويتوب، وهو يرى الأخ الأكبر وهو على سطح المركب الغارق يناديه ويلوح له من بعيد قائلاً: لا تنسَ العهد الذي بيننا أنك تعيش حياتي كما אני أموت بدلاً منك.

إن هذه القصة توضح لنا ما فعله السيد المسيح لأجلنا. فنحن إذا حملنا خطايانا فسوف نهلك إلى الأبد، لكن إن حمل هو خطايانا لن يهلك لأنه هو الحياة "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦).

فقد كانت قوة الحياة التي في المسيح يسوع ربنا، أقوى من قوة الموت الذي لنا. فالله يريد أن يبين لنا مدى كراهيته للخطية وأنه يغضب بسببها. وقد أعلن الله غضبه ضد الخطية عندما دفع السيد المسيح ثمن خطايانا على الصليب "البار من أجل الأثمة" (١بط ٣: ١٨).

السيد المسيح لا يمكن أن يمسه الموت، وأما نحن فالموت حينما يبتلعنا لا نستطيع أن نخرج منه مرة ثانية، إلا إذا أخرجنا السيد المسيح بنفسه من جوف الموت. ماذا يعنى تمزيق صك الدين الذي كان علينا؟ إلا إيفاء الدين تمامًا بالصليب. فلماذا نحسب إيفاء الدين إهانة للمخلص المحبوب؟ بولس الرسول يقول في جسارة "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه".

يقول القديس مار أفرام السرياني:

السُّبْح للغني الذي دفع عنا ما لم يقترضه وكتب على نفسه صكاً وصار مديناً (الترنيمة الثانية عن الميلاد).

يقول القديس أمبروسيوس:

بالجسد عُلّق على الصليب ولأجل هذا صار لعنة. ذاك الذي حمل لعنتنا (شرح الإيمان المسيحي، الكتاب الثاني، الفصل ١١).

يقول القديس أنثاسيوس:

ولأن كلمة الله هو فوق الكل فقد لاق به بطبيعة الحال أن يوفي الدين بموته وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشرية لأجل حياة الجميع (تجسد الكلمة فصل ٩ الفقرة ٢).

مسألة إهانة كرامة الله

الذين يرفضون عقيدة الكفارة يقولون: "إن شر الإنسان لا يمكن أن يجرح كرامة الله، ولا يهينه. إذ كيف للإنسان أن يمس كرامة الله، حتى لو فعل الإنسان كل ما في وسعه من شر؟!؟" ونحن نجيب عليهم بأن خطية الإنسان لن تمس كرامة الله طالما يعلن الله غضبه ضد الخطية. أما إذا لم يعلن غضبه كقدوس ففي هذه الحالة -وهذا مستحيل- تكون كرامته قد أهينت إذ لم تُعلن قداسته المطلقة كرافض للشر. ولهذا فنحن نرى العدل والرحمة يتلاقيان بالصليب وبهذا أُعلنت قداسة الله العادل ومحفته في آنٍ واحد.

وقد أوضح القديس أنثاسيوس أن العدل الإلهي قد أُستوفي بآلام وموت الصليب فقال:

لهذا كان أمام كلمة الله مرة أخرى أن يأتي بالفساد إلى عدم فساد، وفي نفس الوقت أن يوفي مطلب الآب العادل المطالب به الجميع وحيث إنه هو كلمة الآب ويفوق الكل،

فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شئ
وأن يتحمل الآلام عوضاً عن الجميع وأن يكون نائباً عن
الجميع لدى الآب (تجسد الكلمة فصل ٧ فقرة ٥).

نحن صُلبنا مع السيد المسيح ودُفنا معه يوم قبولنا لسر العماد
المقدس، كقول معلمنا بولس: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد
ليسوع المسيح اعتمدنا لموته. فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى
كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في
جدة الحياة" (رو ٦: ٣، ٤).

إن الروح القدس بعمل فائق للطبيعة وفوق الزمان والمكان
يعمل في سر العماد ويأخذ من استحقاقات موت المسيح ويعطينا..
يمنحنا الغفران باستحقاقات دم صليبه ويمنحنا الطبيعة الجديدة التي
تليق بحياة البنوة لله ويجعلنا أعضاء في "جسده الذي هو الكنيسة"
(كو ١: ٢٤). النعمة الإلهية لا حدود لها أما نحن فمحدودون.

نحن كنا في صُلب آدم حينما أخطأ في الفردوس لأننا من نسله
بحسب طبيعتنا البشرية. ولكننا لسنا من نسل السيد المسيح بحسب
طبيعتنا البشرية، لأن السيد المسيح لم ينجب نسلًا جسديًا مثل آدم،
بل الروح القدس يجدد هذه الطبيعة في المعمودية ويمنحنا التبني
بالولادة الجديدة من الماء والروح لأن "المولود من الجسد جسد هو
والمولود من الروح هو روح" (يو ٣: ٦). نحن نصير أولادًا لله في

المعمودية ومنتقل من الانتساب إلى آدم إلى الانتساب إلى السيد المسيح وبهذا نصير أعضاء في جسده أي الكنيسة التي هو رأسها. إن السيد المسيح قد اشترك في طبيعتنا بلا خطية لكي يصير قادراً أن يموت نيابة عن جميع الذين افتداهم حينما حمل خطاياهم مُسمرًا إياها بالصليب.

عن هذا قال القديس أثاناسيوس الرسولي في كتاب "تجسد الكلمة" الفصل الثامن:

وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتنا، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك: أولاً لكي يبطل الناموس الذي كان يقضي بهلاك البشر، إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أُكمل في جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره في البشر الذين ناب عنهم. ثانياً: لكي يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن رجعوا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار.

وأيضاً في الفصل التاسع:

وإذ قدم للموت ذلك الجسد، الذي أخذه لنفسه، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة فقد رفع حكم الموت فوراً عن

جميع من ناب عنهم، إذ قدم عوضاً عنهم جسداً مماثلاً لأجسادهم.

إن السيد المسيح قد ناب عن البشر الخطاة وصُلب بدلاً عنهم وأوفى الدين الذي علينا. لم يكن معه أحد على الصليب يوم صُلب لأنه هو المخلص الوحيد الذي ليس بأحد غيره الخلاص وهو الوحيد الذي بلا خطية والوحيد الذي يستطيع أن يحمل خطايا العالم كله ويكون فدية مقبولة أمام الآب السماوي لسبب بره الكامل وذبيحته الفائقة في قيمتها في نظر الله الآب لأنها ذبيحة الابن الوحيد "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦).

دار الحوار التالي بين إشعياء النبي والسيد المسيح بروح النبوة: "من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته؟ أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص. ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة؟ قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد. فدستهم بغضبي ووطنتهم بغیظي فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي" (أش ٦٣: ١-٣).

أليس هذا هو المخلص المسيح الذي رآه يوحنا في رؤياه راكباً فرساً أبيض "وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة

الله... وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله... رب
الأرباب" (رؤ ١٩ : ١٣-١٦)؟

قال "أنا أضع نفسي عن الخراف" (يو ١٠ : ١٥). وتتبأ قيافا وقال
"أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان
واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها. ولم يقل هذا من نفسه"
(يو ١١ : ٤٩-٥١). يقول إشعياء النبي "كلنا كغنم ضللنا ملنا كل
واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش ٥٣ : ٦).

اللص اليمين الذي صُلب إلى جوار السيد المسيح ومات على
الصليب كان موته عقوبة أرضية على جرائمه التي ارتكبها في
حياته على الأرض. ولم يكن هذا ليغفيه من القصاص الأبدي على
الإطلاق.. لولا أن المسيح مات بدلاً عنه على الصليب لما أمكن أن
ينجو من الموت والهلاك الأبدي. وبواسطة ذبيحة الصليب الكفارية
استحق أن يُفتح له باب الفردوس بناءً على توبته وبناءً على طلبته.
أما اللص اليسار فهو أيضاً مات ولكنه هلك لأنه لم ينتفع من موت
المسيح عوضاً عنه على الصليب.

على صليب المسيح كانت الذبيحة الوحيدة المقبولة أمام الله الآب،
والتي تقي بكل ديون الخطاة، وتوفي العدل الإلهي تمام الإيفاء.
لذلك وردت النصوص التالية عن ذبيحة المسيح على فم أشعياء
النبي:

"أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم"
(أش ٥٣ : ١٠).

"عبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها"
(أش ٥٣ : ١١).

"هو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين" (أش ٥٣ : ١٢).

والسؤال الخطير الآن هو ما يلي:

هل يجوز أن يتكرر الصليب بالنسبة للسيد المسيح، أو بالنسبة لنا؟
وما فائدة أسرار الكنيسة والمعمودية؟ وما فائدة عمل الروح القدس
في الكنيسة؟

ننال شركة الموت مع المسيح في المعمودية، ولهذا قال القديس
بولس الرسول في حديثه عن المعمودية: "إن كنا قد صرنا متحدين
معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته" (رو ٦ : ٥).

ففي قوله "صرنا متحدين معه" يدل على أن هذا قد حدث في
وقت العماد.

إننا نحذر من هذه الرواية الغريبة والخطيرة التي تهدم عقيدة
الفداء فينبغي أن نثبت على تعليم الآباء القديسين القدامى،
وتعليم قداسة البابا شنودة الثالث أطل الرب حياته الذي أكد
مراراً ضرورة التمسك بالتعليم الأبائي الصحيح "كي لا نكون فيما
بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس
بمكر إلى مكيدة الضلال" (أف ٤ : ١٤).

الفصل الثاني

هل تعتقد كنيسة الإسكندرية بثالوث هو ثالوث قدماء
المصريين الوثنيين؟ وهل لا تعتقد كنيسة أنطاكية
أصلاً بالثالوث؟!

نعود إلى الرواية، لنرى ما قاله د. يوسف زيدان عن آريوس:
ص ٥٣، ٥٤ نستطوع: أما أقواله، فلست أرى فيها إلا محاولة لتخليص
ديانتنا من اعتقادات المصريين القدماء في آلهتهم، فقد كان أجدادك يعتقدون
في ثالوث إلهي زواياة إيزيس وابنها حورس وزوجها أوزير الذي أنجبت منه
من دون مضاجعة. فهل نعيد بعث الديانة القديمة؟ لا، ولا يصح أن يقال عن
الله إنه ثالث ثلاثة. الله يا هيبا واحد لا شريك له في ألوهيته. ولقد أراد
آريوس أن تكون الديانة لله وحده لكنه ترنم في زمانه بلحن غير معهود من
مثله.

الثالوث المسيحي ليس هو ثالوث المصريين القدماء الوثنيين ولا
يليق أن يقال هذا، فهما مختلفان عن بعضهما تمام الاختلاف كما
سنشرح، ولكن عقيدة الثالوث في المسيحية هي عقيدة راسخة في
الكنيسة من البداية منذ عصر الرسل. وليست هي من اختراع
كنيسة الإسكندرية. بل إنه من المتعارف عليه في علم الآباء
"الباترولوجي" Patrology أن لفظة "ثالوث" Τριάδος كانت

معروفة لدى الآباء منذ زمن القديس ثيوفيلس الأنطاكي أسقف أنطاكية الشهيد (١٦٩ - ١٨١م): "وكذلك الأيام الثلاث قبل الكواكب النيرة، هي رمز للثالوث، لله وكلمته وحكمته".

The three days which were before the luminaries, are types of The Trinity, of God and His Word and His Wisdom.
Τριάδος τοῦ Θεοῦ καὶ τοῦ Λογοῦ αὐτοῦ καὶ τῆς σοφίας αὐτοῦ¹⁸⁶

وكما يتضح مما سبق إن لفظة "الثالوث" قد عُرِفَتْ أولاً في أنطاكية وليس في الإسكندرية. فكيف يقول د. يوسف زيدان على لسان **نسطور**: ولكنني أرى الأمر من زاوية أخرى، زاوية أنطاكية إن شئت وصفها بذلك.

ثم يسترسل في شرحه الخاطئ ومحاولة إقناع هيبا بخطأ عقيدة الثالوث وإنها شرك بالله الواحد وعن إنه لا يوجد ما يسمى ثالوث. ولغته هنا تشبه إلى حد كبير لغة القرآن وليست لغة إنسان مسيحي. وهذا أمر مُتَوَقَّع من مسلم يقحم نفسه في اللاهوت المسيحي! يقبل المؤلف فكر الهرطقات، ويعتبرها أقرب إلى العقل ويسمي الهرطقة "المفكرين". كما ذكرنا سابقاً في ما قاله في المحاضرة التي ألقاها في مؤتمر القبطيات بالقاهرة في سبتمبر الماضي عام ٢٠٠٨م.

ص ٣٤ كلام الأسقف ثيودور عن أن الديانة "كثير منها أتى من أفلوطين" لكن الراهب هيبا اعترض على ثالوث أفلوطين.

- ثيودور: الثالوث أصله من أفلوطين.
- نسطور: الثالوث أصله من الفراعنة.

¹⁸⁶ St. Theophilus, *Ad Autolycum*, ii. 15., vol. 2 of ANF, p. 101.

شرح مبسّط لعقيدة الثالوث في المسيحية

تمهيد

بادئ ذي بدء لابد أن نعرف أنه من غير المقبول أن نخضع الحقائق الإلهية للعقل. فلا يصح أن نقبل فقط ما تقبله عقولنا ونرفض ما لا تدركه عقولنا، لأننا إن استطعنا أن نفهم بعقولنا كل الحقائق الإلهية، فهذا يعني أحد أمرين لا ثالث لهما: إما أن الله له حدود أي محدود (حاشا) وبذلك استطاعت عقولنا المحدودة استيعاب حقيقته، أو أن عقولنا لها صفة عدم المحدودية حتى تستطيع الإحاطة بما هو غير محدود! ولكن إن كنا نقبل بمنتهى السهولة أن نستخدم التليفزيون، بينما قليلون منا فقط هم الذين يفهمون كيف تأتينا الصورة والصوت للأحداث في نفس لحظة حدوثها، عبر الأثير من أماكن بعيدة جدًا تفصلنا عنها قارات ومحيطات. ويستخدم الإنسان الطائرة فتنقله من قارة لأخرى وهو معلق في الجو مطمئنًا أنه سيصل إلى الدولة التي يقصدها، على الرغم أيضًا من أن الكثيرين منا لا يعرفون كيف تطير الطائرة في طبقات الجو العليا. فإن كنا نقبل هذه الأمور ونصدقها بدون أن نفهمها، لماذا يتناول الإنسان ويطلب أن يُخضع الحقائق الإلهية لعقله المحدود؟! وهل من المعقول أن تحتوي حفرة على شاطئ البحر، مهما كان اتساعها، البحر كله.

بمعنى هل نستطيع أن ننقل البحر ونضعه في حفرة؟! نفس الشيء بالنسبة للحقائق اللاهوتية الغير محدودة وعقلنا المحدود. ولي شاهد على ذلك المفهوم من أقوال الآباء من تعليم القديس غريغوريوس النزيانزي عن الثالوث القدوس^{١٨٧}، فقد قال "إن الله غير مُدرك بعقولنا البشرية". وقد كان القديس غريغوريوس لاهوتياً متضعاً. فأقر بأنه:

لا يوجد الإنسان الذي اكتشف أو يستطيع أن يكتشف من هو الله في الطبيعة أو الكنه^{١٨٨}. كان يمكن أن يحاط الله بالكلية لو كان في الإمكان حتى أن يدرك بالفكر لأن الإدراك هو صورة من صور الإحاطة^{١٨٩}.

وشرح قائلاً إن معرفتنا لله هي فيض قليل فقال:

كل ما يصل إلينا ما هو إلا فيض ضئيل من نور عظيم. حتى إن كان أحدٌ قد عرف الله أو نال شهادة الكتاب المقدس عن معرفته لله، فلنفهم: إن مثل هذا الشخص قد نال درجة من المعرفة تجعله يبدو أكثر استنارة من الآخر الذي لم يحظَ بنفس القدر من التنوير^{١٩٠}.

^{١٨٧} مقتطفات من ترجمة عربية لمحاضرة للمؤلف أُلقيت في المؤتمر الثاني للدراسات الأبائية بالاشتراك مع جامعات أثينا وتسالونيكي المنعقد تحت رعاية البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث في دير القديس الأنبا بيشوى بواى النطرون في الفترة من ١٩٩٦/١٢/٢٦ إلى ١٩٩٦/١٢/٢٩م

^{١٨٨} St. Gregory Nazianzen, *Second Theological Oration*, XVII., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 294.

^{١٨٩} St. Gregory, *Second Theological Oration*, X., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 292.

^{١٩٠} St. Gregory, *Second Theological Oration*, XVII., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 294.

ولكن القديس غريغوريوس كان يتحدث عن معرفة أكثر وضوحًا
عن الله في الحياة الأخرى.

الثالوث المسيحي

نقول أولاً إننا نؤمن بالله واحد مثلث الأقانيم، فلا يوجد تشابه بين
الثالوث في عقيدتنا الأرثوذكسية وبين ثالوث قدماء المصريين:

- ففي ثالوث قدماء المصريين هم ثلاثة منفصلون عن بعضهم
تماماً، فايزيس وأوزوريس وحورس هم -عندهم- ثلاثة آلهة
ولكنهم ليسوا إلهًا واحدًا، أما في المسيحية فالآب والابن والروح
القدس إله واحد مثلث الأقانيم، والأقانيم الثلاثة هي متميزة
وليست منفصلة، فالابن يولد من الآب أزليًا دون أن ينفصل
منه، وكذلك الروح القدس ينبثق من الآب أزليًا بدون انفصال،
فلا يوجد انفصال بينهم.

- في الثالوث الفرعوني يوجد تفاوت زمني؛ أي مر وقت لم يكن
فيه حورس موجودًا ثم وُجد، فهناك فارق زمني بينه وبين أبيه،
أما في المسيحية فالولادة والانبثاق أزليان، بمعنى: في
استمرارية بلا بداية أو نهاية فالأزلية خارج الزمن لأن الزمن
له بداية وله نهاية، ولم يمر وقت (حسب تعبيرنا) كان فيه أحد
الأقانيم موجودًا دون وجود الآخر.

- في الثالوث الفرعوني تزوج أوزوريس بإيزيس وأنجبا حورس،
أما في الثالوث المسيحي فلا يوجد زواج ولا ميلاد جسدي ولا

ما يشبه ذلك، فولادة الابن من الآب هي ولادة طبيعية مثل ولادة الشعاع من النور وولادة التيار من الينبوع.

كيف أن الآب والابن والروح القدس إله واحد؟

للتبسيط نعطي هذا المثال: النار يوجد بها لهب؛ واللهب يخرج منه نور وحرارة. فاللهب يسمى نار، والنور يسمى نار، والحرارة تسمى نار، والدليل على ذلك إنه من الممكن أن نقول إننا نوقد النار، أو إننا نوقد اللهب، أحياناً نقول نحن نستثير بالنار أو نحن نستدفئ على الحرارة أو نحن نستدفئ على النار. فاللهب والنور والحرارة الخارجية منه شئ واحد أي نار واحدة وليست ثلاثة نيران ولكن اللهب غير النور غير الحرارة. ومع أن اللهب غير النور غير الحرارة؛ ولكن اللهب إن لم يلد نوراً ويشع حرارة لا يكون ناراً على الإطلاق. فاللهب بنوره وحرارته هو النار الحقيقية. هكذا إذا تأملنا في الثالوث القدوس نفهم أن الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله. تماماً مثلما أن اللهب هو نار، والنور هو نار، والحرارة أيضاً نار، فالآب هو الله الآب، والابن هو الله الابن، والروح القدس هو الله الروح القدس، ويمكن أن يُقال الله فقط بدون الآب، كما نقول إن اللهب هو نار فالتسمية ليست مشكلة، ولكن من المهم أن نفهم أنه إذا لم يوجد الابن لا يوجد الله، لأنه لا يوجد أب بغير ابن، كما لا توجد نار بغير حرارة؛ حتى لو كان هناك لهب لأن اللهب بدون حرارة ليس له قيمة، وكذلك أيضاً العقل

بدون فكر ليس له قيمة، فالموَلَّد يلد كهرباء، والنور يلد شعاعاً، والعقل يلد فكراً، والزهور تلد رائحة، والمغناطيس يلد مجالاً مغناطيسياً، والنبات يلد براعم، ولا يوجد شئ في الوجود كله لا يلد غير الحجر والجماد الأصم. فالله أعلن لنا أنه كإله واحد هو آب وابن وروح قدس.

نحن نؤمن أن الله واحد. لأنه لا يوجد أكثر من إله في الوجود. فالكتاب المقدس يقول: "أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل" (يع ٢: ١٩)، "لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرة بالإيمان" (رو ٣ : ٣٠)، "ولكن الله واحد" (غل ٣ : ٢٠) وأيضاً "وأن ليس إله آخر إلا واحداً.... لكن لنا إله واحد" (١كو ٨ : ٤ - ٦) لكن الله الآب ليس من الممكن أن يكون هو الله، إلا إذا كان هو أبو الكلمة فلا يوجد آب بدون ابن.

إن ولادة الابن من الآب السماوي شئ، والولادة من العذراء شئ آخر. فهو مولود من الآب أزلياً قبل كل الدهور وقبل خلق العالم كله، ولادة إلهية روحية بدون أم. لذلك نقول عنه في قانون الإيمان {المولود من الآب قبل كل الدهور}.

عندما أراد الله أن يخلصنا أرسل ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس من لعنة الخطية كما قال الكتاب "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس. ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غل ٤ : ٤، ٥) وأيضاً يقول الكتاب "الكلمة صار جسداً وحل

بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً" (يو: ١٤). إنه كلمة الله الأزلي الذي هو كائن في حضن الآب كل حين وكما يقول "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر" (يو: ١٨). فعندما تجسد الكلمة رأينا الله. لذلك يقول "الذي رأي فقد رأى الآب" (يو: ١٤: ٩).

* * *

هل الله والمسيح، الآب والابن في وحدة في أقنوم واحد أو طبيعة واحدة؟

ص ٢٢٢ يقول هيبا عن الفريسي: وقد سألني أول ما لقيني عن معنى كلمة أقنوم عند المصريين والإسكندرانيين، فقلت إنها تعني الشخص أو الكيان الذاتي... ويشرح بتفصيل التفصيل، كل الأقوال والمذاهب والبدع منتصراً إلى القول بوحدة الله والمسيح، الآب والابن، في أقنوم واحد أو طبيعة واحدة.

لم يفهم د. زيدان معنى الأقنوم، وبالتالي لم يفهمه أيضاً راهبه الذي سمّاه الفريسي. فخلط بين الجوهر والأقنوم. الأقنوم هو الشخص المتمايز، مع الجوهر أو الطبيعة التي يحملها. بمعنى أن الأقنوم هو جوهر أو طبيعة مشخصة. الآب والابن والروح القدس يشتركون في الجوهر الإلهي الواحد. وما نسميه بـ "الصفات الجوهرية" التي يشترك فيها الأقانيم الثلاثة

نعني بها كمثال: القدرة الإلهية على كل شيء، الوجود في كل مكان، اللامحدودية، الحكمة، الحق، المحبة، الحياة، الصلاح، العدل، الرحمة.. إلخ هذا بحسب الجوهر، ولكن بحسب الأَقنوم هناك ثلاثة أقانيم لها ثلاث صفات نسميها "الصفات الأَقنومية" وهذه ينفرد بها كل أَقنوم على حدة، وهي الأبوة للآب والبنوة للابن، والانبثاق للروح القدس. فالآب لا يمكن أن يكون آباً وابناً في نفس الوقت والعكس صحيح، ونفس الأمر بالنسبة للروح القدس. وإذا أردنا أن نُعرِّف الأَقنوم فهو كيان حقيقي غير منفصل في الجوهر الإلهي.

الآب: هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأَقنوم.

الابن: هو الله من حيث الجوهر، وهو المولود من حيث الأَقنوم.

الروح القدس: هو الله من حيث الجوهر وهو المنبثق من حيث الأَقنوم.

والأَقنوم عموماً هو الشخص مع الطبيعة التي يحملها، أو هو جوهر مشخص أو طبيعة مشخصة. لأن الطبيعة تبقى كمعنى مجرد إلى أن تتشخص. فالطبيعة البشرية لا وجود حقيقي لها إلا في آدم. والطبيعة الإلهية كائنة في ثلاثة أقانيم. وبذلك أيضاً الجوهر الإلهي كائن في ثلاثة أقانيم بغير انفصال في الجوهر.

قال القديس أثناسيوس:

يجب علينا ألا نتصور وجود ثلاثة جواهر منفصلة عن بعضها البعض في الله - كما ينتج عن الطبيعة البشرية بالنسبة للبشر - لئلا نصير كالوثنيين الذين يملكون عديداً

من الآلهة. ولكن كما أن النهر الخارج من ينبوع لا
ينفصل عنه، وبالرغم من ذلك فإن هناك بالفعل شيئين
مرئيين واسمين. لأن الآب ليس هو الابن، كما أن الابن
ليس هو الآب، فالآب هو أب الابن، والابن هو ابن الآب.
وكما أن ينبوع ليس هو النهر، والنهر ليس هو ينبوع،
ولكن لكليهما نفس الماء الواحد الذي يسري في مجرى من
الينبوع إلى النهر، وهكذا فإن لاهوت الآب ينتقل في الابن
بلا تدفق أو انقسام. لأن السيد المسيح يقول "خرجت من
الآب" وأُتيْتُ من عند الآب. ولكنه دائماً أبداً مع الآب، وهو
في حضن الآب. وحضن الآب لا يخلو أبداً من الابن
بحسب ألوهيته^{١٩١}. كيف إذاً لا يكون كافرًا من يقول كان
وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجودًا لأن هذا مثل الذي
يقول تمامًا كان هناك وقت كان فيه ينبوع جافًا خاليًا...
ولكن مثل هذا ينبوع لا يكون ينبوعًا، لأن الذي لا يلد من
ذاته (أى من نبعه الخاص) لا يكون ينبوعًا. (المقالة الأولى
ضد الأريوسية ف ٦ : ١٩)*

فلا يوجد تيار بدون ينبوع، ولا يوجد ينبوع بغير تيار، إذ أنه إن لم
يلد الينبوع تيارًا يكون بذلك جافًا ولا يصح تسميته ينبوعًا. لذلك لا

^{١٩١} St. Athanasius, *Expositio Fidei*, vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 84, 85.

* St. Athanasius, *Four Discourses against the Arians*- Discourse I, point 19. , vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser.

توجد ولا لحظة واحدة يكون فيها الينبوع بغير تيار. فلا الينبوع سابق للتيار ولا التيار لاحق للينبوع.

وينبغي أن نلاحظ أنه طبقاً لتعاليم الآباء فإن الكينونة أو الجوهر ليس قاصراً على الآب وحده (غريغوريوس النزيانزي)؛ لأن الآب له كينونة حقيقية وهو الأصل في الكينونة بالنسبة للابن والروح القدس، ولكنه غير سابق في الوجود، كما شرح ذلك القديس أثناسيوس في مثل الينبوع والتيار، والابن له كينونة حقيقية بالولادة الأزلية، والروح القدس له كينونة حقيقية بالانبثاق الأزلي. ولكن ليس الواحد منهم منفصلاً في كينونته أو جوهره عن الآخرين. والولادة والانبثاق ليسا حدثين لهما علاقة بالزمن، ولكنهما حقيقتين خارج الزمن وفوق الزمن، مستمرين بلا بداية ولا نهاية.

وكذلك العقل ليس قاصراً على الابن وحده، لأن الآب له صفة العقل والابن له صفة العقل والروح القدس له صفة العقل، لأن هذه الصفة هي من صفات الجوهر الإلهي. وكما قال القديس أثناسيوس {لماذا تكون صفات الآب هي بعينها صفات الابن؟ إلا لكون الابن هو من الآب وحاملاً لذات جوهر الآب}. ولكننا نقول إن الابن هو "الكلمة" أو "العقل المولود" أو "العقل منطوق به" أما مصدر العقل المولود فهو الآب.

وبالنسبة لخاصية الحياة فهي أيضاً ليست قاصرة على الروح القدس وحده، لأن الآب له صفة الحياة، والابن له صفة الحياة، والروح

القدس له صفة الحياة، لأن الحياة هي من صفات الجوهر الإلهي. والسيد المسيح قال "كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته" (يو ٥ : ٢٦). وقيل عن السيد المسيح باعتباره كلمة الله "فيه كانت الحياة" (يو ١ : ٤). ولكن الروح القدس نظراً لأنه هو الذي يمنح الحياة للخلقة لذلك قيل عنه أنه هو [الرب المحيي] (قانون الإيمان والقداس الكيرلسي) وكذلك أنه هو [رازق الحياة] أو [معطي الحياة] (صلاة الساعة الثالثة).

من الخطورة أن ننسب الكينونة إلى الآب وحده، والعقل إلى الابن وحده، والحياة إلى الروح القدس وحده، لأننا في هذه الحالة نقسم الجوهر الإلهي الواحد إلى ثلاثة جواهر مختلفة. أو ربما يؤدي الأمر إلى أن ننسب الجوهر إلى الآب وحده (طالما أن له وحده الكينونة) وبهذا ننفي الجوهر عن الابن والروح القدس أو نلغي كينونتهما، ويتحولان بذلك إلى صفات لأقنوم إلهي وحيد هو أقنوم الآب (وهذه هي هرطقة سابيلوس). وقد أشار القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات إلى هذه المفاهيم فقال:

وفكرت كذلك في الشمس، والشعاع، والنور. وهذا لا يخلو أيضاً من خطر: يُخشى أولاً تصوّر تركيب ما في الطبيعة غير المركبة -كما يكون ذلك في الشمس وخصائصها- ويُخشى ثانياً أن يُخص الآب وحده بالجواهر فتزول أقنومية الآخرين، ويكونان قوتين لازمتين لله لا أقنومين. فليس الشعاع شمساً وليس النور شمساً، بل فيض شمسي

ومزّية (خاصية أو صفة) جوهرية. وأنه ليُخشى عند التمسك بهذا التشبيه أن يُنعت الله بالوجود وباللاوجود معاً، وهذا منتهى السخف^{١٩٢}.

وهو هنا لا يرفض التشبيه المذكور ولكن يحذّر من الفرق بين التشبيه والأصل في فهم عقيدة الثالوث. وإلى جانب استعماله مثال الشمس والنور استعمل أيضاً مثال العقل والكلمة لشرح العلاقة بين الآب والابن:

لقد دُعي "الكلمة" لأنه يُنسب إلى الآب كما تُنسب الكلمة إلى العقل^{١٩٣}.

ومن البين في هذا المثال أيضاً أن العقل ليس سابقاً للكلمة كما أن الشمس ليست سابقة للنور والينبوع ليس سابقاً للتيار كما ذكرنا.

استعمال النماذج والأمثلة لشرح الثالوث القدوس:

على الرغم من استعماله مثال الشمس والضوء والعقل والكلمة في شرح العلاقة بين الآب والابن، إلا أنه حذّر من أن هذه النماذج ليست متطابقة مع الحق كله الذي لله المثلث الأقانيم. واستمر القديس غريغوريوس في نفس العظة يقول: "والصورة هي من نفس جوهره"^{١٩٤}.

ويشرح د. زيدان عقيدة نسطور الهرطوقية فيقول:

^{١٩٢} St. Gregory, *Fifth Oration on the Holy Spirit*, vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 328.

^{١٩٣} St. Gregory, *Fourth Theological Oration*, XX., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 316.

^{١٩٤} St. Gregory, *Fourth Theological Oration*, XX., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 317.

ص ٢٤٥ **نسطور:** لا يجوز تسمية العذراء مريم ثيوتوكوس... وصار ابنها... صار كمثل كُوة ظهرت لنا أنوارُ الله من خلالها، أو هو مثل خاتمٍ ظهر عليه النقشُ الإلهي. وظهورُ الشمس من كُوةٍ، لا يجعل الكوة شمسًا. كما أن ظهور النقش على خاتم، لا يجعل من الخاتم نقشًا.. يا هيبا، لقد جُنَّ هؤلاء تمامًا، وجعلوا الله واحدًا من ثلاثة!

سؤال نسمعه كثيرًا، هل المسيح هو الله أم ابن الله؟ إن أي ملك هو ابن ملك فعندما نقول عنه إن هذا هو الملك يكون الكلام صحيحًا، وعندما نقول إنه ابن الملك يكون الكلام صحيحًا أيضًا لأنه من الجنس الملوكي، فهو ملك ابن ملك.

فالسيد المسيح هو الله بسبب جوهره الإلهي، أنه واحد مع الآب في الجوهر، وهو ابن الله بسبب أنه كلمة الله المولود من الآب قبل كل الدهور. وهناك من يسأل، هل المسيح إنسان ثم أصبح إلهًا؟ فنجيب لا. لأننا نرفض تمامًا أن أي إنسان يصير إلهًا. نرفض تأليه الإنسان، ولذلك نرفض عقيدة نسطور التي تؤله إنسانًا وتعبد به بعبادة واحدة مع الله. نحن لا نعبد الله وإنسانًا؛ بل الله الذي ظهر في الجسد. لأن السيد المسيح هو إله متجسد، وليس إنسانًا متألهًا. لذلك نقول في قانون الإيمان {نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور} أي قبل خلق الزمن، أو بمعنى أصح خارج الزمن. فكلمة الله مولود من الآب. {نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر}.

مولود غير مخلوق

إن الآب لم يخلق الابن، لأننا نعرف أن الابن هو كلمة الله، ويمكن أن نأخذ تشبيهًا سهلاً: مثل العقل والفكر، فالعقل يلد الفكر، ولا يوجد عقل بدون فكر. والعقل بدون فكر لا يكون عقلاً. والنور يلد الشعاع، فهل النور يتزوج لكي يلد الشعاع! بالطبع لا، إذن فولادة الفكر من العقل هي ولادة طبيعية، وكذلك ولادة النور من النار هي ولادة طبيعية.

ولكن هل لأن العقل هو الذي يلد الفكر فمعناه أن العقل كان سابقاً للفكر من حيث الزمن؟! كلا، لأن العقل بدون فكر لا يكون عقلاً. فالعقل والفكر شيء واحد لا يمكن فصلهما، لأنه كيف يمكن فصل العقل عن الفكر الموجود داخله! لأنه لو تم فصل العقل من الفكر: فالعقل لا يكون عقلاً. وكذلك لو تم فصل كلمة الله عن الله، فالله يفقد ألوهيته. وإذا كان هذا العقل لا بداية له، فالفكر أيضاً يكون لا بداية له.

إذا كان الآب أزلياً فالابن أيضاً أزلي، والآب وكلمته واحد لا يمكن فصلهما، لذلك قال "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). هل يستطيع أي إنسان أن يقول لله "ليس لك كلمة"؟ لذلك نقول إن الآب وكلمته لاهوت واحد وإله واحد وليس إلهين. الكلمة تجسد ولم ينفصل عن الآب، كما لا ينفصل الفكر عن العقل. عندما تكتب

مقالاً يصير المقال تجسيداً لفكرك، وفي نفس الوقت لم ينفصل
فكرك عن عقلك.

وليس فقط الآب والكلمة واحداً؛ ولكن الآب والكلمة والروح القدس
لذلك نقول {باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد
آمين}. أما الروح القدس فهو روح الحكمة، الآب هو الحكيم
والحكيم يلد الحكمة ويبثق روح الحكمة. بمعنى أن تقول مثلاً هذا
المقال كله حكمة؛ لأنه الكلام الذي يعبر عن الكاتب. هو الحكمة
الصادرة عن الحكيم. وإن تعاملت مع الحكيم تقول من خلال
تعاملك: إني أستشعر روح الحكمة. مثلاً في قضية تشعر أن روح
الحق يعمل في هذه القضية ويلهم القاضي إلى الحق. الحق المعلن
هو المسيح والحق الملهم هو الروح القدس ، هو الذي تستشعره
بدون أن يكون مرئياً. فالروح القدس يعمل فينا دون أن نراه. الابن
رأينا فيه الحق، وحسب ما قال السيد المسيح "من رآني فقد رأى
الآب". عندما ترى الشعاع فكأنك رأيت مصدر النور، من رأى
الكلمة فقد رأى الآب. وكما يقولون "كلمني فأراك"؛ اللهب يُصدر
نوراً ويشع حرارة، وأنت ترى اللهب من نوره ولكنك تحس به من
حرارته. ترى الله في الابن وتحس به في الروح القدس الذي
يرشدك ويعمل فيك دون أن تراه. والله لما أراد لنا أن نراه، ظهر
لنا بالابن "في آخر الأيام ظهرت لنا" [من القديس الباسيلي]، لأن
عقلك يرى بكلمتك، خصوصاً لو كلمتك تجسدت كما ذكرنا. وعندما
يريدنا الرب أن نحس به ، يعمل فينا بروحه القدوس. تماماً مثلما

تشعر بالبرد وترى ناراً من على بُعد؛ نورها يرشدك فتتجذب إليها فتدفئك بحرارتها. هكذا يجتذب الابن البشرية لكي تتسكب فيها محبة الله بالروح القدس.

لماذا ثلاثة فقط؟

الحب في نقطة تكون قيمته صفر؛ إذ أن النقطة ليست لها مساحة. إن كان الحب بين اثنين فقط لا ثالث لهما، فالخط المستقيم الواصل بين نقطتين أيضاً مساحته صفر. لكن كما نعلم أن المثلث له مساحة، فإن كانت مساحته لا نهائية فأى مخلوق في هذا الكون سيكون داخل الثالوث. ومحبة الذات هي محبة أنانية متمركزة حول الـ "أنا"، والحب المتخصص يحب الآخر الذي ليس سواءه، أما الحب الكامل فيحب الآخر وكل آخر. وهنا نخلص إلى نتيجة هامة هي أن القصة كلها في أصلها تتلخص في عبارة قصيرة جداً: "الله محبة" ولأن الحب الإلهي غير محدود؛ فإذا نقص أقنوم ينتفي أن يكون الله محبة. وإن زاد على ثلاثة فليس له ضرورة، لذلك فمفتاح المسيحية هو "الله محبة". لو لم يكن الابن، من الذي كان الآب يحبه قبل خلقه البشر والملائكة؟ من الذي كان الآب يكلمه؟ من الذي كان الآب يراه، (حافظين في أفكارنا دائماً أننا نتكلم عن كيان متمايز ولكن غير منفصل، له نفس الجوهر الإلهي الواحد ولكن له صفة أقنومية خاصة به على حدة لا يشترك فيها معه أي من الأقنومين الآخرين).

مَن الذي كان الآب يسمعه، مَن الذي كان الآب يحس به. إذن بدون الابن والروح القدس سيكون إلهًا لا يحب ولا يسمع ولا يتكلم، ومن هو الذي تجتمع فيه هذه الصفات إلا التمثال أو الصنم؟! إذن ففلسفة المسيحية هي فكرة أننا نرى في إلهنا الوجدانية لأنه لا يوجد أكثر من جوهر، لا يوجد إله للحرب وإله للحب، لا يوجد إله للخير وإله للشر، إذا كان الآب قدوسًا فالابن قدوس والروح القدس قدوس، إذا كان الآب صالحًا، فالابن صالح، والروح القدس صالح، الآب عادل، الابن عادل، الروح القدس عادل، إذن لا يوجد تشرذم، ولا يوجد تشتت، فما معنى أننا نؤمن بوجدانية الله؟ تعني أننا نؤمن بطبيعة إلهية واحدة غير منقسمة ولكن في نفس الوقت في إطار هذه الوجدانية توجد علاقة الحب التي تربط الثلاثة أقانيم ببعض، هذا الحب المتبادل بين الأقانيم يؤكد لنا أن "الله محبة"، ويعطينا المثل الأعلى الذي منه نستقي الحياة المسيحية الحقة.. كيف نكون نحن الكثيرين واحدًا. مع الفارق في التشبيه من حيث عدم انفصال الأقانيم كما ذكرنا.

الفصل الثالث

دفاع د. يوسف زيدان عن نسطور الذي ينادي بالشرك

يبدأ د. يوسف زيدان روايته على صفحة ١٥ وهي الصفحة الثالثة في الرق الأول، بأن "سنة ٤٣١م لميلاد السيد المسيح. وهي السنة المشئومة التي حُرم فيها وعُزل الأسقف المبجل نسطور، واهتزت أركان الديانة".

فمن بداية الرواية يتضح ميل د. يوسف زيدان الشديد وحبّه لنسطور. رغم أنني كما ذكرت سابقاً، كنت قد شرحت له من قبل رفضنا لنسطور بسبب الشرك الذي ينادي به. وهو يقول إن أركان الديانة قد اهتزت، وهذا يدعو إلى العجب، إذ أنه على العكس؛ فإن حرم نسطور كان تثبيتاً للعقيدة السليمة، وبه تحصنت أركان الديانة وازدادت رسوخاً.

ص ٢٤٢ نسطور: العذراء امرأة من النساء مجرد امرأة من النساء، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة.

ص ٢٤٥ نسطور: لا يجوز تسمية العذراء مريم ثيوتوكوس؛ فهي امرأة قديسة، وليست أمّاً للاله. ولا يجوز لنا الاعتقاد بأن الله كان طفلاً يخرج من بطن أمه بالمخاض، ويبول في فرشه فيحتاج للقماط، ويجوع فيصرخ

طالبًا ثدي والدته.. قال: هل يُعقل الاعتقادُ بأن الله كان يرضع من ثدي العذراء، ويكبر يومًا بعد يوم، فيكون عمره شهرين ثم ثلاثة أشهر ثم أربعة! الربُّ كاملٌ، كما هو مكتوبٌ، فكيف له أن يتخذُ ولدًا، سبحانه، ومريم العذراء إنسانةٌ أنجبت من رحمها الطاهر بمعجزة إلهية، وصار ابنها من بعد ذلك مجلى للإله ومخلصًا للإنسان..

ص ٣٢٨، ٣٢٩ الفريسي: ولن يرجع الأسقفُ نسطور أيضًا، عما يعتقدُه من أن الله اتخذ يسوع مجلى له، ومن أجل الله غير المنظور نسجد نحنُ للمسيح المنظور، مدركين أنه شخصان. هما بحسب قول نسطور: المسيح الآخذ الذي هو كلمة الله، والمسيح الإنسانُ المأخوذ الذي يُدعى باسم الذي اتخذه.

سوف أشرح كيف نادى نسطور بالشرك وأدلل على ما أقول بمقولات مؤتقة لنسطور نفسه. من خطابه الرابع ضد بروكلوس الذي له أهمية كبيرة نقتطف الكلمات التالية:

•... ولكي يصنع الترضية من أجل البشر اتخذ المسيح شخص الطبيعة الخاطئة (البشرية)... أنا أعبد هذا الإنسان {يقصد شخص الطبيعة الخاطئة} مع الله كأداة لصالح الرب... وكالثوب الأرجواني الحي الذي للملك... ذاك الذي تشكّل في رحم مريم ليس الله نفسه... لكن لأن الله سكن في ذاك الذي اتخذه، إذن فإن هذا الذي اتخذه أيضًا يُدعى الله بسبب ذاك الذي اتخذه. ليس الله هو الذي تآلم لكن الله

اتصل بالجسد المصلوب... لذلك سوف ندعو العذراء القديسة ثيودوخوس *θεοδόχος* "وعاء الله" وليس ثيئوطوكوس *θεοτόκος* "والدة الإله"... ولكننا سوف نوَقِّر هذه الطبيعة التي هي حُلَّة الله مع ذلك الذي استخدم هذه الحُلَّة، سوف نفرِّق الطبائع ونوحِّد الكرامة، سوف نَعترف بشخص مزدوج ونعبده كواحد^{١٩٥}.

• بالتالى دعنا نحفظ الاتصال غير المختلط الذي للطبائع، لأنه علينا أن نقبل الله في الإنسان، وبسبب الاتصال الإلهي دعنا نبجل الإنسان المعبود مع الله القدير^{١٩٦}.

وهكذا نرى بوضوح من قول نسطور أنه يعبد شخصين ويؤمن بالازدواجية، وهذا هو الشريك بعينه، ولذلك قاومتها الكنيسة وحرمتها، لأن المسيحية لا تعبد إنساناً إلى جوار الله القدير، بل تعبد الثالوث القدوس بلاهوت واحد. والسيد المسيح هو واحد من الثالوث غير منفصل عن الأب والروح القدس، والعبادة تُقدَّم له كأقنوم واحد وشخص وحيد غير مزدوج. وبذلك نعبد الإله المتجسد وليس الإنسان المتأله.

وفيما يلي أيضاً بعض النصوص التي نُسبت إلى نسطور في كتابه المعروف *Bazar of Heracleides* وهي تؤكد نفس أفكاره:

¹⁹⁵ In Marius Mercat. ed. Garnier-Migne, l.c. pp. 789-801.

¹⁹⁶ St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50, Letter of St. Cyril to Acacius, Bishop of Melitene*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, pp. 159, 160, 162; cf. Loofs, *Nestoriana*, 275. 9-11, 249. 1-4, 262. 4-6.

• هما شخصان *Two prosopa*: شخص ذاك الذي ألبس
وشخص (الآخر) الذي لبس^{١٩٧}.

• لذلك فإن صورة الله هي التعبير التام عن الله للإنسان.
فصورة الله المفهومة من هذا المنطلق، يمكن أن يُعتقد (أو
تُحسب أو تعتبر) أنها الشخص الإلهي. الله سكن في المسيح
وكشف ذاته للبشر من خلاله، مع أن الشخصين *Two prosopa*
هما في الحقيقة صورة واحدة لله^{١٩٨}.

• يجب ألا ننسى أن الطبيعتين يستلزمان أقنومين وشخصين
Two persons (prosopa) متحدتين فيه بقرض بسيط وتبادل
(*simple loan and exchange*)^{١٩٩}.

من كل ما سبق يتضح لنا إلى أي مدى كان نسطور ينادي بالشريك،
ونتعجب لماذا يدافع عنه د. زيدان؟!

* * *

¹⁹⁷ Bazar of Heraclides (LH 193), quoted by Bernard Dupuy, OP, 'The Christology of Nestorius' published in *Syriac Dialogue* First non-official Consultation, by Pro Oriente Hofburg Marschallstiege II A-1010 Vienna, 1994, p. 113.

¹⁹⁸ Rowan Greer: 'The Image of God and the Prosopic Union in Nestorius' Bazar of Heraclides in Lux in Lumine, Essays to Honor W. Norman Pittenger, edited by R. A. Morris jr., New York, 1996, p. 50; quoted by Metropolitan Mar Aprem G. Mookan entitled "Was Nestorius a Nestorian" published in *Syriac Dialogue* First Non-Official Consultation, by Pro Oriente Hofburg Marschallstiege II A-1010 Vienna, 1994, p. 223.

¹⁹⁹ R. Nau, Paris 1910, ed. Letouzey et Ane, *Le Livre d'Heraclide de Damas* (=L.H.), p. 28.

شرح مبسط لعقيدة طبيعة السيد المسيح

الفرق بين نسطور وكيرلس عمود الدين:

- نسطور اعتبر أن في المسيح شخصين أو أن المسيح مسيحيان أى شخصان.
 - القديس كيرلس اعتبر أن المسيح شخص واحد بسيط (أى ليس شخص من شخصين).
- ومعنى شخصين عند نسطور أن الله بكيانه المستقل والإنسان (إنسان ذا شخصية بشرية) بكيانه المستقل اتصلا ببعضهما.
- علّم القديس كيرلس أن طبيعة السيد المسيح البشرية قد اتحدت باللاهوت في لحظة التجسد ولكن لم تذب في اللاهوت.

عندما نقول إنه أخذ جسداً نقصد إنه أخذ طبيعة بشرية كاملة بروح عاقلة. بمعنى أننا عندما نقول إن الكلمة تجسد أو إن الكلمة صار جسداً نقصد إنه قد أخذ جسداً محيياً بروح عاقلة. أى أنه صار بشراً أو صار إنساناً. نفس لحظة التجسد هي لحظة الاتحاد. المفروض أن نقول إن التجسد قد حدث في الاتحاد لكي نؤكد أنه لا يوجد فارق زمنى بين وجود جسد المسيح المخصص للكلمة ولحظة الاتحاد به.

لقد علّم القديس كيرلس الكبير بأن الكلمة حينما تجسد فطبيعته المتجسدة هي طبيعة واحدة من طبيعتين.

هل الروح العاقلة التي في الطبيعة البشرية للسيد المسيح هي شخص؟

حدث خلط عند الأبوليناريين ومن بعدهم النساطرة بين مفهوم الشخص ومفهوم الطبيعة وخصوصاً من جهة خاصية العقل، العقل هو خاصية من خصائص الطبيعة وليس هو الشخص في حد ذاته. فالشخص العاقل يمتلك ويحمل طبيعة عاقلة. أى أن الشخص هو حامل الطبيعة. فإذا كانت طبيعته إلهية فهو يعقل كإله وإذا كانت طبيعته بشرية فهو يعقل كإنسان وإذا كانت طبيعته ملائكية فهو يعقل كملاك وهكذا...

وقد ملك السيد المسيح الطبيعة الإلهية العاقلة.. أى أنه كان يملك الجوهر الإلهي العاقل منذ الأزل وظل يملكه بغير تغيير. ولما صار إنساناً، صار يملك أيضاً ذهنية البشر أو العقل البشرى الخاص به لنفس شخصه المبارك. فأصبح له بالإضافة إلى ذهنه الإلهي، فكر الإنسان وأسلوبه في التفكير وذاكرته أو ذهنية الإنسان بالطبيعة، في وحدة غير ممتزجة بين الطبيعتين بلا تغيير، ولا تلغى الواحدة منهما الأخرى أو تلغى خصائصها بسبب الاتحاد^{٢٠٠}.

^{٢٠٠} المطران الأنبا بيشوي، المجمع المسكوني الثالث في أفسس ٤٣١م والصراعات العقائدية في القرنين الرابع والخامس حول شخص وطبيعة السيد المسيح ٢٠٠٥، ص ١٣، ١٤.

تبادل الألقاب:

لأن شخص السيد المسيح هو واحد فإنه هو نفسه حمل لقب ابن الله ولقب ابن الإنسان في آن واحد. وكثيراً ما كان يستخدم لقبه الإنساني للتعبير عن أمور إلهية تخصه، كما يستخدم لقبه الإلهي للتعبير عن أمور إنسانية تخصه. وذلك لتأكيد أنه شخص واحد.

فمثلاً في استخدام لقبه الإنساني للتعبير عن أمور إلهية قال:

• "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو ٣: ١٣). ومن الواضح أن السيد المسيح يملأ السماء والأرض بلاهوته ولكنه استخدم لقب ابن الإنسان لأن ابن الله هو هو نفسه ابن الإنسان وليس آخر غيره.

• "ابن الإنسان هو رب السبوت أيضاً" (مت ١٢: ٨) ورب السبوت هو الله طبعاً واستخدم لقب ابن الإنسان.

• "متى جاء ابن الإنسان في مجد أبيه وجميع الملائكة القديسين معه" (مت ٢٥: ٣١) في حديثه عن المجيء الثاني لابن الله بمجد أبيه استخدم لقبه الانساني.

وفي استخدام ألقابه الإلهية للتعبير عن أمور إنسانية قال:

• "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦) وهنا نرى لقب الابن الوحيد وهو لقب المسيح الإلهي باعتباره الابن الوحيد المولود من الآب حاملاً لنفس جوهر الآب "الابن

الوحيد الجنس". نرى هذا اللقب يستخدم للإشارة إلى صلب السيد المسيح وذبحه على الصليب بقوله "حتى بذل ابنه الوحيد" وقوله أيضاً لشرح ذلك "كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان" (يو ٣: ١٤) فابن الله الوحيد هو نفسه ابن الإنسان.

• "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب" (مر ١٣: ٣٢). ولقب الابن هنا مقصود به ابن الله واستخدم فيما يخصه من الناحية الإنسانية.

وقد ورد في العهد الجديد آيات تؤكد نفس المبدأ مثل قول الكتاب "لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (١كو ٢: ٨). فلقب رب المجد هو لقب إلهي للمسيح والحديث هنا عن صلبه أي عن أمور تخصه من الناحية الإنسانية.

وبهذا نفهم كيف تُدعى العذراء "والدة الإله"، فالولادة من العذراء تخصه من الناحية الإنسانية ولكن يستخدم لقبه الإلهي لأن المولود منها هو هو نفسه ابن الله المولود من الآب وليس آخر غيره. كما أن لقبه الإلهي هو لقبه الأصلي؛ أما لقبه الإنساني فقد اكتسبه بالتجسد.

* * *

تعاليم القديس أثناسيوس ضد النسطورية^{٢٠١}

بالرغم من أن نسطور جاء لاحقاً للقديس أثناسيوس، إلا أن القديس أثناسيوس قدم تعليماً صارماً ضد هرطقة نسطور.

فقد كتب:

كيف يغامر أناسٌ يُدعون مسيحيين مجرد أن يرتابوا فيما إذا كان الرب الذي ولد من مريم، بينما هو ابن الله بالجوهر والطبيعة، هو "من نسل داود من جهة الجسد" (رومية ١: ٢)، ومن جسد القديسة مريم؟ أم مَنْ كان مجازفاً فيقول إن المسيح الذي تألم بالجسد وصلب ليس رباً ومخلصاً وإلهاً وابن الآب؟ أو كيف يتمنون أن يُدعوا مسيحيين الذين يقولون إن الكلمة حلَّ على رجل قديس كما على أحد الأنبياء، ولم يصر هو نفسه إنساناً، آخذاً جسداً من مريم؛ لكن إن المسيح هو شخص واحد، بينما كلمة الله، الذي كان قبل مريم وقبل الدهور ابناً للآب، هو آخر؟ أم كيف يدعون مسيحيين أولئك الذين يقولون إن الابن واحد وكلمة الله آخر؟^{٢٠٢}.

^{٢٠١} عن محاضرة ألقاها المؤلف في مؤتمر الدراسات الأبائية سنة ١٩٩٣ في قاعة المؤتمرات بدير الأنبا بيشوى.

^{٢٠٢} St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 2., vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., p. 571.

كتب أيضاً أن:

كلمة الله جاء في شخصه هو نفسه، لأنه هو وحده صورة
الآب، الذي يقدر أن يعيد خلقة الإنسان الذي عُمِلَ على
صورته^{٢٠٣}.

وعلى عكس تعليم القديس أثناسيوس الأرثوذكسي، علّم نسطور
بالاتي:

لهذا السبب أيضاً يدعى المسيح الله الكلمة، لأن له صلة
غير منقطعة بالمسيح^{٢٠٤}.

وأيضاً:

بالتالي دعنا نحفظ الاتصال غير المختلط الذي للطبائع، لأنه
علينا أن نقبل الله في الإنسان، وبسبب الاتصال الإلهي
دعنا نبجل الإنسان المعبود مع الله القدير^{٢٠٥}.

وقال نسطور أيضاً:

الله غير منفصل عن الواحد المرئي، ومن أجل هذا، أنا لا
أفرق كرامة الواحد غير المنفصل. أنا أفرق الطبائع؛ ولكن
أوحّد الكرامة^{٢٠٦}.

²⁰³ St. Athanasius, *St. Athanasius On the Incarnation: With an Introduction by C.S. Lewis*, iii. 13 (New York: St. Vladimir's Seminary Press, 2002), p. 41.

²⁰⁴ St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50, Letter of St. Cyril to Acacius*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, pp. 159,160; cf. Loofs, Nestoriana, 275. 9-11.

²⁰⁵ McEnerney, pp. 160; cf. Loofs, Nestoriana, 249. 1-4.

^{٢٠٦} McEnerney, pp. 162; cf. Loofs, Nestoriana, 262. 4-6.

علّق القديس كيرلس السكندري على هذه الفقرة الأخيرة في خطابه إلى أكايوس كالآتي:

لأنه لم يعرف معنى التجسد، فإنه يذكر طبيعتين ولكنه يفصلهما الواحدة عن الأخرى، واضعاً الله جانباً، وهكذا الإنسان بدوره، متصلاً بالله بواسطة علاقة خارجية فقط وفقاً للمساواة في الكرامة أو على الأقل سلطة السيادة (فقرة ١٦ من الخطاب)^{٢٠٧}.

لقد رفض القديس أثناسيوس أى فصل بين لاهوت وناسوت ربنا يسوع المسيح. وكتب قائلاً:

الآخرون الذين قسموا غير المنقسم ينكرون حقيقة أن "الكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يو ١ : ١٤).

وكتب أيضاً:

نحن لا نعبد مخلوقاً. ليبعد هذا التفكير، لأن مثل هذا الخطأ يخص الوثنيين والآريوسيين. ولكننا نعبد رب الخليقة، المتجسد، كلمة الله. لأنه وإن كان الجسد أيضاً في ذاته هو جزء من العالم المخلوق، إلا أنه صار جسد الله. لهذا نحن لا نقسم الجسد عن الكلمة، لنعبده في ذاته، كما أننا عندما نرغب في عبادة الكلمة نحن لا نفرّده (نعزله) بعيداً عن الجسد، ولكن كما ذكرنا سابقاً، إننا في معرفتنا، أن "الكلمة صار جسداً" نحن ندرك أنه هو الله أيضاً، بعدما صار

²⁰⁷ McEnerney, p. 162.

جسداً. وبالتالي من هو فاقد الشعور هذا الذي يقول الله: "أترك الجسد حتى أستطيع أن أعبدك" أو من هو غير التقي لينضم إلى اليهود فاقد الشعور في قولهم، بخصوص الجسد، "فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً؟" (يو ١٠: ٣٣) أما الأبرص فلم يكن من هذا النوع لأنه سجد لله في الجسد، وأدرك أنه الله قائلاً: "يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني" (مت ٨: ٢) ٢٠٨.

شرح القديس أثاناسيوس كيف أن كلمة الله جعل خصائص الجسد خاصة به وكتب:

إن الكلمة غير المادي جعل خصائص الجسد خاصة به، حيث إنه جسده الخاص به. لماذا، عندما ضرب الجسد بواسطة أحد الخدام، فلأنه هو الذي تألم، سأل: "لماذا تضربني؟" (يوحنا ١٨: ٢٣) وبالرغم من كونه بالطبيعة غير محسوس، إلا أن الكلمة قال: "بذلت ظهري للضاربين وخدي للناثقين، وجهي لم أستر عن العار والبصق" (إشعيا ٥٠: ٦) لأن ما تألم به الجسد البشري الذي للكلمة، هذا نسبه الكلمة الساكن في الجسد إلى نفسه.. وأنه لعجيب بالحقيقة أنه هو الذي تألم مع أنه لم يتألم. تألم لأن جسده

²⁰⁸ St. Athanasius, *Ad Adelphium*. 2., vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., p. 575.

الخاص تألم؛ ولم يتألم لأن الكلمة بما أنه بالطبيعة هو الله،
فهو غير قابل للألم^{٢٠٩}.

ومن ناحية أخرى فقد شرح القديس أثاناسيوس كيف أن جسد ربنا
يسوع المسيح تمجدّ فوق خصائصه الخاصة التي للطبيعة. وكتب
يقول:

ولكن بما أن الجسد في نفسه هو من طبيعة مائتة، فقد قام
مرة أخرى بواسطة ما يفوق طبيعته الخاصة بسبب الكلمة
الذي كان فيه؛ وقُطع عن الفساد الطبيعي، ولبسه الكلمة
الذي هو فوق الإنسان، صار غير قابل للفساد^{٢١٠}.

* * *

²⁰⁹ St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 6., vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 572, 573.

²¹⁰ St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 10., vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., p. 574.

كريستولوجية القديس أثناسيوس *

كثيراً ما يردد صاحب القداسة البابا شنودة الثالث القول: "إن القديس أثناسيوس دافع بالتساوى عن كل من لاهوت وناسوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح".

وقد بنى القديس كيرلس السكندري تعليمه الكريستولوجي على كريستولوجية القديس أثناسيوس، قدّم خطاب القديس أثناسيوس إلى أببكتيتوس كمرجع أولي لتعليم الكنيسة الكريستولوجي (أي الخاص بطبيعة المسيح) الصحيح ملقباً إياه "خطاب أبينا القديس أثناسيوس إلى إبيكتيتوس"^{٢١١}.

في دفاع القديس أثناسيوس عن الناسوت الكامل الذي لربنا يسوع المسيح، رفض الأفكار الخاطئة التي تنص على أن: الجسد المولود من مريم مساوٍ في الجوهر للاهوت الكلمة، أو أن الكلمة تغيّر إلى جسد وعظام وشعر وجسد كامل، وتحول عن طبيعته الخاصة^{٢١٢}.

قال القديس أثناسيوس بوضوح إن:

الجسد الذي كان الكلمة فيه (أي اتخذه الكلمة) لم يكن مساوياً للاهوت في الجوهر، ولكنه كان مولوداً بحق من مريم، بينما الكلمة نفسه لم يتغير إلى عظم ولحم، لكنه أتي

* عن محاضرة ألقاها المؤلف في مؤتمر الدراسات الأبائية سنة ١٩٩٣ في قاعة المؤتمرات بدير الأنبا بيشوي.

²¹¹ St. Cyril of Alexandria, *Letter 44, Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, p. 189.

²¹² St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 2., vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., p. 570.

في جسد. لأن ما قاله يوحنا: "الكلمة صار جسداً" (يو ١ : ١٤) له هذا المعنى، كما يمكننا أن نرى في عبارة مشابهة، فبولس الرسول يكتب قائلاً: "المسيح.. صار لعنة لأجلنا" (غل ٣: ١٣) كما أنه هو نفسه لم يصير لعنة، ولكن قيل إنه صار كذلك لأنه أخذ لنفسه اللعنة نيابةً عنا، وهكذا أيضاً صار جسداً ليس بأن تغير إلى جسد، ولكن لأنه نيابةً عنا أخذ جسداً حياً وصار إنساناً^{٢١٣}.

وقد كان القديس أثاناسيوس أيضاً واضحاً في تعليمه عن الجسد الحي الذي اتخذه كلمة الله أنه يعني ناسوت كامل، أي جسد ونفس عاقلة معاً.

وكتب يقول:

... لكن حقاً إن خلاصنا ليس ظاهراً فحسب، كما أنه ليس ممتداً إلى الجسد فقط، إنما الإنسان كله، الجسد والنفس على السواء، قد حصلا على الخلاص في الكلمة نفسه^{٢١٤}.

* * *

^{٢١٣} St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 8., vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., p. 573.

^{٢١٤} St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 7., vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., p. 572.

الفصل الرابع

"الحروم الاثنا عشر" للقديس كيرلس

مقدمة

ماهي "الحروم الاثنا عشر" للقديس كيرلس أو "لعنات كيرلس" كما يحلو للدكتور يوسف زيدان أن يسميها؟

هي ببساطة شديدة تعريف للإيمان الأرثوذكسي أي المستقيم، اضطر القديس كيرلس أن يضعها لكي يحدد الإيمان بطريقة واضحة لتفادي أن ينخدع الناس بتعاليم نسطور الخاطئة، والشرك الذي ينادي به. وقد اضطر لذلك لأنه وجد الإيمان في خطر فكان من واجبه أن يهَب للحفاظ عليه وإنقاذ المؤمنين من الضلال. ومع ذلك فقد كشف لنا عن مكنونات قلبه، وعبر عن مشاعره قائلا:

"أنا أحب السلام، ولا أكره شيئاً أكثر من النزاع والعراك. إننى أحب الجميع وإن كان يمكنني أن أشفي أحد الأخوة بأن أفقد كل ممتلكاتي وكل ما لي فلي رغبة أن أعمل ذلك بفرح لأننى أقدر الوئام أكثر من أى شئ آخر... لكن هناك خلاف حول الإيمان... لقد عهد إلينا بالإيمان المقدس... فكيف نعالج هذه الشرور؟ أنا مستعد أن احتمل كل اللوم وكل الخزي وكل الجراح في مقابل ألا يُعرض الإيمان للخطر،

أنا مملوء بالحب نحو نسطور، ليس هناك من يحبه مثلما أحبه أنا.. إن كان - وفقاً لوصية المسيح - يجب علينا أن نحب حتى أعدائنا أنفسهم، أليس من الطبيعي أنه ينبغي أن نرتبط بعاطفة خاصة نحو أصدقائنا وإخوتنا في الكهنوت؟ لكن حينما يُهاجم الإيمان يجب علينا ألا نتردد في تقديم حياتنا نفسها ذبيحة من أجله. وإن خفنا أن نركز بالحق لأن هذا يسبب لنا بعض المضايقة، فكيف في إجتماعنا نرسم لقتال ونصرة شهدائنا القديسين^{٢١٥}.

عقد البابا كيرلس مجمعاً في الإسكندرية (٤٣٠م) واعتمد المجمع نص رسالة البابا كيرلس الثالثة إلى نسطور وهي التي تتضمن الحروم الاثنى عشر ومطالبة نسطور بالإعتراف بها وسوف نورد مقتطفات من هذه الرسالة، ولأهميتها سوف ننشرها كاملة في ملاحق الكتاب:

من الرسالة الثالثة إلى نسطور (الرسالة ١٧)^{٢١٦}

١- من كيرلس والمجمع المنعقد في الإسكندرية من إيبارشية مصر، نهدي تحياتنا في الرب، إلى الموقر والمحِب لله جداً الأسقف الشريك نسطور.

حينما قال مخلصنا بوضوح: "من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني"

²¹⁵ Young, *From Nicaea to Chalcedon*, pp. 240-241.

²¹⁶ Lionel R. Wickham, *Cyril of Alexandria: Select Letters* (Oxford: Oxford at the Clarendon Press, 1983), pp. 12-33.

(مت ١٠ : ٣٧)، فماذا سيكون مصيرنا حينما تطلب تقواك منا أن نحبك أكثر من المسيح مخلصنا كلنا؟ من يستطيع أن يساعدنا في يوم الدينونة؟ وأية حجة نخترعها لاختزاننا الصمت طوال هذه المدة أمام التجاديف التي وجهتها ضده؟ فلو أنك أذيت نفسك وحدك في تعليمك بهذه الأفكار الخاصة بك، لقل قلقنا. لكنك أعثرت كل الكنيسة، وأدخلت خميرة هرطقة غريبة ودخيلة بين الشعب، ليس فقط في القسطنطينية بل وفي كل العالم. إن كتب عظائمك قد انتشرت. فما هو الشرح الذي يمكننا أن نقدمه عن صمتنا؟ كيف لا يكون ضرورياً أن نتذكر قول المسيح: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها" (مت ١٠ : ٣٤-٣٥). حينما يمس الإيمان أذى، فليترك احترام الوالدين المخادع والمبتذل، ولينتهي قانون العاطفة الدافئة نحو الأولاد والأقرباء! وبعد ذلك يكون الموت عند الأتقياء أفضل من الحياة "لكي ينالوا قيامة أفضل" (عب ١١ : ٣٥) بحسب المكتوب في الأسفار.

٢- لذلك فمع المجمع المقدس المنعقد في مدينة رومية العظمى برئاسة أخينا والخادم شريكنا في الخدمة، المقدس جداً الذي يكرم الله، كليستينوس الأسقف، نحن أيضاً بهذه الرسالة الثالثة نتهمك الآن، محذرين إياك بالتوقف عن التعاليم الشريرة جداً والمنحرفة جداً التي ترتبها وتعلم بها. وعوضاً عنها اختر

وعلم بالإيمان الصحيح المسلم للكنايس من البدء بواسطة الرسل
القديسين والبشيرين الذين كانوا معانين وخداماً للكلمة. وإذا
كنت، تقواك، لا تفعل هذا، حسب الزمن المحدد والمبين في
رسالة السابق الذكر أخينا وشريكنا في الخدمة، المقدس جداً
والمكرم لله جداً، كليستينوس، أسقف كنيسة رومية، فاعتبر
نفسك بلا وظيفة أو وضع رسمي أو مكانة معنا ضمن كهنة
الرب والأساقفة. لا يمكننا أن نتجاهل الكنايس التي اضطربت،
والشعب الذي أضر، والإيمان الصحيح الذي أهمل، والقطعان
التي تفرقت بواسطة، وقد كان حرياً بك أن تكون أنت
حافظها، لو كنت مثلنا محباً للإيمان الصحيح ومقتنياً أثر تقوى
الآباء القديسين. ولكننا نحن جميعاً في شركة مع كل الأتقياء،
سواء من الشعب أو من الإكليروس، الذين حرموا من الشركة
أو عزلوا بواسطة وقارك بسبب الإيمان. لأن رجالاً لهم رأي
قويم لا يجب أن يُحطَموا بواسطة إدانتك لهم على معارضتهم
المستقيمة لك. وقد أشرت إلى هذا الأمر ذاته في خطابك الذي
كتبته إلى شريكنا في الأسقفية المقدس جداً أسقف المدينة
العظمى رومية. ولكنه لن يكون كافياً لتقواك أن تعترف معنا
فقط بقانون الإيمان الذي وضع بالروح القدس بواسطة المجمع
المقدس العظيم المجتمع في مدينة نيقية أثناء الأزمنة الحرجة.
لأنك لم تفهمه ولم تفسره تفسيراً صحيحاً، بل بالحرى بطريقة
منحرفة، حتى وإن كنت تعترف بنص القانون بشفتيك. ولكن

عليك أن تلحق ذلك بالكتابة وتعترف بقسم أنك أيضاً تحرم، من ناحية، تعاليمك الممقوتة والكفرية، ومن ناحية أخرى، بأنك سوف تعلم وتتمسك بما نعلم ونعتقد فيه نحن جميع أساقفة الغرب والشرق معلمي وقادة العلمانيين. وإن المجمع المقدس فى روما، ونحن جميعاً، متفقون على أن الرسائل المرسلة إلى تقواك من كنيسة الإسكندرية مستقيمة وبلا لوم، ولكننا أضفنا إلى خطابنا هذا الأمور التي يجب أن تتمسك وتعلم بها وأيضاً الأمور التي يجب عليك شجبها.

١٢- لقد تعلمنا أن نعتقد بهذه الآراء من الرسل القديسين والبشيرين، ومن كل الأسفار الموحى بها، ومن الاعتراف الصادق لأبائنا المباركين. إنه من الضروري أن تقواك أيضاً ترضى بكل هذه وتوافق على كل واحدة بدون خداع. إن ما يلزم أن تحرمة تقواك قد ألحق بهذا الخطاب المرسل منا.

وهكذا يتضح المستوى الروحي الرفيع للقديس كيرلس وعدم اكترائه بأي شئ غير الإيمان، الذي يعتبره أغلى من حياته نفسها. ويعطي مسؤولية المحافظة على سلامته، الأولوية بين أعماله الرعوية والكهنوتية الأخرى.

ويعتمد كثير من كُتّاب الغرب، للأسف حتى يومنا هذا، على بعض الكتابات ويعتبرونها وثائق ضد القديس كيرلس الكبير عمود الدين وحامي الإيمان وهي لا تزيد عن كونها تهماً باطلة من هراطقة أو مدافعين عن الهراطقة.

عنوان رسائل القديس كيرلس

ويضع د. زيدان عنواناً غريباً لرسائل القديس كيرلس لا نعلم من أين أتى به!

ص ٢٣٧ هيبا: في أول اللفافة عنوان باللغتين... رسائل البابا كيرلس، رئيس أساقفة الإسكندرية والمدن الخمس الغربية ومصر والحبشة، راعي الكرازة (الدعوة) المرقسية، الناطق بلسان القديس مرقس الرسول. تتلوها اللعنات الاثنتا عشرة، التي كتبها البابا كيرلس ضد المارق نسطور!

ص ٢٣٧ هيبا: حين رأيت العنوان، ولم أقرأ الرسالة بعد، أخذتني هزة خفية شاعت في بدني، فكأنها صارت تسري في عروقي برملٍ حار بدلاً من الدم. أدركت في لحظة إشراق مفاجيء، أن الرعب آتٍ لا محالة.. فيها هو الماضي يثب فوقنا من مكمنه، فيوشك أن ينشب مخلب المقت، في لحم ظهورنا المكشوفة.

اعتاد القديس كيرلس أن يفتتح رسائله لنسطور بالعبارة الآتية:

"كيرلس يهدي تحياته في الرب إلى الموقر جداً والمحِب جداً لله الشريك في الخدمة نسطور"^{٢١٧}. (الرسالة [٤] الثانية إلى نسطور)

"من كيرلس والمجمع المنعقد في الإسكندرية من إيبارشية مصر، نهدي تحياتنا في الرب، إلى الموقر جداً والمحِب لله

²¹⁷ St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, p. 34; Wickham, *Cyril of Alexandria: Select Letters*, p. 3.

جداً الأسقف الشريك في الخدمة نسطور^{٢١٨}. (الرسالة

[١٧] الثالثة إلى نسطور)

ولا توجد تلك الصيغة التي اخترعها المؤلف لكي يبالغ في

الإساءة إلى القديس كيرلس. أين مرجعه لها؟!

يقول هيبا بعد أن قرأ عنوان الرسائل

ص ٢٣٨ هيبا: قرأتها بصوت مرتفع، لم يلبث أن اضطرب وخفت مع

توغلّي بين سطور الرسائل وخناجرها المشرعة.

أرسل القديس كيرلس لنسطور أكثر من مرة شارحاً له الإيمان

المستقيم، بإسلوب هادئ ولطيف. وحتى في هذه الرسالة الثالثة

لنسطور، وفرّ القديس كيرلس الأسلوب الشديد فقط ليستخدمه في

حالة ما إذا أصر نسطور على هرطقته وانحرافه في الإيمان،

خاصة أنه يقود كنيسة وشعب كثير.

ص ٢٤١ هيبا: عدتُ لتلاوة لعنات كيرلس أو حروماته الاثنتي عشرة،

التي كانت عبارتها موجزة حاسمة، لا تدع مجالاً لأي تأويل أو تخفيف

من وقّعها الكاوي للأكباد. وكانت كلها تنتهي بقوله، إن الذي يخالفه فيما

يقرره من عقائد أرثوذكسية قديمة: فليكن ملعوناً .. ليكن ملعوناً ..

ملعوناً .. وعلى هذا النحو سارت الفقرات الاثنتا عشرة الأخيرة من رسالة

كيرلس مؤكدة تلك اللعنات التي انقدحت شرارتها من كنيسة الإسكندرية،

ثم تأججت نارها وهاجت، حتى عمت العالم بالحرائق.

²¹⁸ St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, p. 38; Wickham, *Cyril of Alexandria: Select Letters*, p. 13.

أُضطر القديس كيرلس إلى كتابة هذه الحروم عندما لم تُجدِ الرسائل الأخرى التي أرسلها لنسطور شارحاً الإيمان المستقيم. وما هو الخطأ في تعريف الإيمان المستقيم والتحذير من الهرطقات؟! هل يملك الإنسان أعلى من إيمانه لكي يَهُب بكل قوته ويفعل كل ما في وسعه لكي يحمي ويصون جوهره الإيمان التي لا يضاهي قيمتها شيء؟ لو فقد الإنسان إيمانه لفقد كيانه. غير أنه من الثابت تاريخياً أن المجمع المسكوني كله قد أقرَّ صحة عقيدة التعاليم الموجودة في الرسالتين الثانية والثالثة الموجهتين إلى نسطور (المذيلة بالحرومات الاثنتي عشرة) بعد قراءتهما أمام المجمع، واتفقهما مع التعليم الأرثوذكسي القويم. وقرأوا أيضاً رسالة نسطور وأقروا أن تعاليمها كفرية، ولذلك حرّموه وكل من يقول بقوله. وقد وقّع الحرم مائتا أسقف^{٢١٩}.

كتب القديس كيرلس الحرومات الاثنتي عشرة في نفس هذه الرسالة (١٧) وهذا نصها:

الحرومات الاثنتا عشرة

١- مَنْ لا يعترف أن عمانوئيل هو الله بالحقيقة، وبالتالي لا يعترف أن العذراء القديسة هي والدّة الإله لأنها ولدت جسدياً كلمة الله المتجسد، فليكن محروماً.

²¹⁹ Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, pp. 47, 48.

٢- وَمَنْ لَا يَعْتَرِفُ أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ الْآبِ قَدْ وَحَّدَ نَفْسَهُ أَقْنُومِيًّا بِالْجَسَدِ،
وَهُوَ مَعَ جَسَدِهِ الْخَاصِ مَسِيحٍ وَاحِدٍ، وَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ فِي نَفْسِ
الْوَقْتِ إِلَهُ وَإِنْسَانٌ مَعًا، فَلْيَكُنْ مُحْرُومًا.

٣- مَنْ يَقْسِمُ بَعْدَ الْإِتِّحَادِ الْمَسِيحِ الْوَاحِدِ إِلَى أَقْنُومِيَيْنِ، وَيَرْبِطُ بَيْنَهُمَا
فَقَطْ بِنُوعٍ مِنَ الْإِتِّصَالِ فِي الْكِرَامَةِ، وَالسُّلْطَةِ وَالْقُوَّةِ، وَالْمَظْهَرِ
الْخَارِجِيِّ، وَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ بِتَوْحِيدِهِمَا فِي إِتِّحَادٍ طَبِيعِيِّ، فَلْيَكُنْ
مُحْرُومًا.

٤- مَنْ يَنْسِبُ الْأَقْوَالَ الَّتِي فِي الْبَشَائِرِ وَالْكِتَابَاتِ الرِّسُولِيَّةِ، أَوِ الَّتِي
قَالَهَا الْقَدِيسُونَ عَنِ الْمَسِيحِ أَوِ الَّتِي قَالَهَا هُوَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى
شَخْصَيْنِ أَوْ أَقْنُومِيَيْنِ، نَاسِبًا بَعْضَهَا لِلْإِنْسَانِ عَلَى حِدَةٍ مُنْفَصِلًا
عَنْ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَنَاسِبًا الْأَقْوَالَ الْآخَرَى، لَكُونِهَا مَلَائِمَةٌ لِلَّهِ، فَقَطْ إِلَى
كَلِمَةِ اللَّهِ الْآبِ وَحْدَهُ، فَلْيَكُنْ مُحْرُومًا.

٥- مَنْ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ إِنْسَانٌ مُلْهِمٌ مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ
بِالْحَرِيِّ هُوَ اللَّهُ الْحَقِيقِيُّ، لِأَنَّهُ الْإِبْنُ الْوَاحِدُ بِالطَّبِيعَةِ، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ
صَارَ جَسَدًا (يُوحَنَّا ١٤ : ١) وَاشْتَرَكْ مِثْلُنَا فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ (عَب ٢ :
١٤)، فَلْيَكُنْ مُحْرُومًا.

٦- مَنْ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ الْآبِ هُوَ إِلَهُ وَسَيِّدُ الْمَسِيحِ، وَلَمْ
يَعْتَرَفْ بِالْحَرِيِّ أَنَّ الْمَسِيحَ نَفْسُهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ هُوَ إِلَهُ وَإِنْسَانٌ
مَعًا بِحَسَبِ الْكِتَابِ أَنَّ الْكَلِمَةَ صَارَ جَسَدًا، فَلْيَكُنْ مُحْرُومًا.

٧- مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَسُوعُ هُوَ تَحْتَ سَيِّطَرَةِ اللَّهِ الْكَلِمَةِ وَإِنْ
مَجْدُ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ يَتَّصِلُ بِكَيُونَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ ابْنِ الْوَحِيدِ،
فَلْيَكُنْ مُحْرُومًا.

٨- مَنْ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي اتَّخَذَهُ الْكَلِمَةُ يَنْبَغِي أَنْ
يُسَجَّدَ لَهُ مَعَ اللَّهِ الْكَلِمَةِ، وَيُمَجَّدَ مَعَهُ وَيُعْتَرَفَ بِهِ كَالِهٍ مَعَ اللَّهِ
الْكَلِمَةِ، كَمَا لَوْ كَانَ الْوَاحِدُ مُنْفَصِلًا عَنِ الْآخَرِ (لَأَنَّ لَفْظَةَ "مَعَ"
الَّتِي تُضَافُ دَائِمًا تَفْرُضُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الْمَعْنَى)، وَلَا يُكْرَمُ
عِمَانُئِيلُ بِالْحَرِيِّ بِسَجْدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يُرْسَلُ لَهُ تَرْنِيمَةٌ تَمَجِّدُ
وَاحِدَةً، لَكُونَ الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا، فَلْيَكُنْ مُحْرُومًا.

٩- إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ الرَّبَّ الْوَاحِدَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ تَمَجَّدَ مِنَ الرُّوحِ،
وَإِنَّ الْمَسِيحَ كَانَ يَسْتَخْدِمُ الْقُوَّةَ الَّتِي مِنَ الرُّوحِ كَمَا لَوْ كَانَتْ
خَاصَّةً بِقُوَّةٍ غَرِيبَةٍ عَنْهُ وَيَقُولُ إِنَّ الرَّبَّ قَبْلَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدْرَةِ
عَلَى الْعَمَلِ ضِدَّ الْأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ وَيَتِمُّ الْعَجَائِبُ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا
يَقُولُ بِالْحَرِيِّ إِنَّ الرُّوحَ الَّذِي بِهِ عَمَلُ الْمَعْجَزَاتِ خَاصٌّ بِالْمَسِيحِ،
فَلْيَكُنْ مُحْرُومًا.

١٠- يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ رَئِيسُ كَهَنَتِنَا وَرَسُولُ
اعْتِرَافِنَا (انْظُرْ عِب ٣ : ١، أِف ٥ : ٢)، وَإِنَّهُ قَدَّمَ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِنا
رَاحَةً طَيِّبَةً لِلَّهِ الْآبِ. لِذَلِكَ إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَلِمَةً لِلَّهِ نَفْسَهُ
هُوَ الَّذِي صَارَ رَئِيسَ كَهَنَتِنَا وَرَسُولِنَا حِينَما صَارَ جَسَدًا وَإِنْسَانًا
مِثْلَنَا، لَكِنْ آخَرُ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ مَوْلُودٌ مِنْ إِمْرَأَةٍ؛ أَوْ يَقُولُ إِنَّهُ قَدَّمَ

نفسه ذبيحة لأجل نفسه أيضاً وليس بالحري لأجلنا فقط (لأن من لم يعرف خطية لا يحتاج إلى ذبيحة)، فليكن محروماً.

١١- مَنْ لا يعترف أن جسد الرب هو معطي الحياة، وهو يخص كلمة الآب نفسه، بل يقول إنه جسد لوحد آخر خارجاً عنه، وإنه مرتبط به فقط في الكرامة، أو حصل فقط على حلول إلهي، ولا يعترف بالحري أن جسده معطي الحياة، ولأنه كما قلنا يخص اللوغوس وله قدرة أن يجعل كل الأشياء تحيا، فليكن محروماً.

١٢- مَنْ لا يعترف أن كلمة الله تألم في الجسد (بحسب الجسد)، وصُلب في الجسد، وذاق الموت في الجسد، وصار البكر من الأموات (انظر كو ١ : ١٨)، حيث إنه الحياة، ومعطي الحياة كإله، فليكن محروماً.

* * *

كذلك أرسل مجمع الإسكندرية ٤٣٠م رسالتين أخريين واحدة إلى إكليروس وشعب القسطنطينية والأخرى إلى رهبان القسطنطينية. وقام وفد من أربعة من الأساقفة والكهنة المصريين بتسليم الرسالة إلى نسطور في يوم الأحد بالكاتدرائية بالقسطنطينية ومعها الوثائق المرسلّة من روما. قام نسطور بعدها بتقديم شكوى ضد البابا كيرلس إلى الإمبراطور ثيودوسيوس. كما قام بنشر اثني عشر حرماً مضادة لحروم البابا كيرلس متهماً إياه بالهرطقة^{٢٢٠}.

²²⁰ Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, pp. 28-34.

الفصل الخامس

الرد على أن التجسد خرافة

ص ٣٦ هيبا: أأنت الذي قابلتني عند حدود بلدة سرمدة، وعند نزولي من جبل فسقام بمصر؟

عزازيل: ما هذا الذي تقول؟ أنا لا وجود لي، مستقلاً عنك. أنا يا هيبا أنت، ولا أكون إلا فيك.

هيبا: ألا تتجسد يا عزازيل في أشخاص بعينهم؟

عزازيل: التجسدُ خرافةٌ

سمعتُ صوتَ أقدام، ففتحت الشباك ثانية.

لم يُعلق د. زيدان على هذا التصريح الخطير من عزازيل، وكأنه لم يأت بجديد على مسامع هيبا، لم يقل له مثلاً "اسكت يا ملعون" كما قالها له من قبل في ص ١٥٩ مثلاً، عندما استوقفه عزازيل معترضاً على ما كان هيبا يكتبه بخصوص مقتل هيباتيا؛ حيث كتب هيبا: الله والملائكة والشيطان يشاهدون ما يجري ولا يفعلون شيئاً. (ونلاحظ هنا كيف ساوى د. زيدان بين الله والملائكة والشيطان). لقد انتهر هيبا الشيطان في أمر هيباتيا الذي ذكرناه، ولم ينتهره عندما حاول أن يهدم عقيدة أساسية في المسيحية! وعلى أية حال فالخيالية أو الدوسيتية Docetism بدعة قديمة في

- الكنيسة قدم المسيحية نفسها، وقد قاومها القديس يوحنا الرسول آخر من بقى من الرسل الأَطهار إذ أنه تتيح حوالي عام ١٠٦ م فقال:
- مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلَّا الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هَذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الْآبَ وَالْإِبْنَ (١ يوحنا ٢ : ٢٢)
 - بِهِذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللَّهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ (١ يوحنا ٤ : ٢)
 - وَكُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالْآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ (١ يوحنا ٤ : ٣)
 - كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ. وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضًا (١ يوحنا ٥ : ١)
 - لِأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لَا يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًّا فِي الْجَسَدِ. هَذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضِدُّ لِلْمَسِيحِ (٢ يوحنا ١ : ٧)

وتأتي كلمة *Docetism* من الكلمة اليونانية *δοκή* أو *δοκέσις* و *δόκησις* وتعني "ظهور - شبح" أو "خيال". تؤكد هذه الهرطقة على أن جسد المسيح كان خيالاً، وآلامه وموته كانا مجرد ظهوراً أو مظهرًا خارجيًا فقط. فينادي أصحابها بالقول {إن كان قد تألم فهو ليس إلهًا، وإن كان إلهًا فهو لم يتألم}. {المسيح الروحي يقال مرارًا إنه دخل يسوع الإنسان في معموديته وإنه فارقه قبل الصلب}. وقد ذكر الخياليون في (١ يوحنا ٤ : ٢) و (٢ يوحنا ٧) "الذين ينكرون أن يسوع

المسيح جاء في الجسد". وتتادي شيع الغنوسيين مراراً برؤية خيالية للمسيح. ويؤكد Baur أيضاً أن الخيالية كانت شائعة عند الغنوسيين^{٢٢١}. من بين الذين نادوا بالنظرية الخيالية نجد ساتورينوس وباسيليدس وفالنتيوس وماركيون والمانويين. ويذكر أيضاً Redepening إلى أي حد كان أوريجانوس متهمًا بالخيالية^{٢٢٢}.

• يقول الخياليون:

"إن الابن اتخذ ثلاثين شكلاً من ثلاثين أيونا. لهذا السبب فقد وُجد الأبدي ثلاثين عامًا على الأرض".

[Hippolytus (c.225,W), 5.120]²²³

كتب القديس إغناطيوس (استشهد أثناء حكم تراجان ٩٨ - ١١٧ م) عن الخياليين [Ep.ad.Smyrn.6]

"انهم يمتنعون عن الإفخارستيا والصلاة لأنهم لا يعترفون بأن الإفخارستيا هي جسد مخلصنا يسوع المسيح، الذي تألم لأجل خطايانا"^{٢٢٤}.

إن شهادتنا المبكرة عن مجموعة من المسيحيين الذين يتبنون آراء خيالية عن المسيح، نجدها في مقاومة القديس إغناطيوس الأنطاكي لها وذلك في رسائله إلى سميرونا (٢: ١، ٨: ٢) وإلى التيراليين (١٠).

²²¹ Wace and Piercy, p. 271.

²²² Wace and Piercy, p. 273.

²²³ David W. Bercot, ed., *A Dictionary of Early Christian Beliefs* (Massachusetts: Hendrickson, 1998), p. 308.

²²⁴ Henry Bettenson, ed., *Documents of the Christian Church*, 2nd ed. (New York: Oxford University Press, 1963), p. 74.

كتب القديس إغناطيوس في دحضه لهرطقة الخياليين قائلاً:

كن كإنسان أصم لا يسمع عندما يتكلم معك أحد بعيداً عن يسوع المسيح، الذي كان من قبيلة داود، ابناً لمريم، الذي وُلد بالحقيقة، الذي أكل وشرب، الذي تألم بالحقيقة تحت حكم بيلاطس البنطي، والذي صُلب بالحقيقة، وبالحقيقة أيضاً مات... ولكن إن كان -كما يقول بعض الناس الغير أتقياء، والذين هم غير مؤمنين- قد تألم كمظهر خارجي فقط أو كخيال (الذين هم أنفسهم مجرد خيالات)، فلماذا أنا في هذه القيود؟ [Ignatius, *Ad Trall.* IX,X].^{٢٢٥} مشيراً إلى قيوده وهو في طريق الاستشهاد.

وقال أيضاً إنه يمكننا أن نتكلم عن المصلوب أنه الله المتألم. [cf. Ignatius, *Eph* 1.1; *Rom* 6.6]

بدون قيامة المسيح بالجسد من الأموات لا يمكن أن تتغير الطبيعة الإنسانية "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس" (عب ٢: ١٤).

[cf. Ignatius, *Trall* 9.2; *Symrn.* 7.1]

اقتبس القديس إغناطيوس من (لو ٢٤: ٣٩) "انظروا يدي ورجلي إني أنا هو جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما

²²⁵ Bettenson, *Documents of the Christian Church*, p. 35.

ترون لي" ليثبت حقيقة جسد المسيح القائم من الأموات
(Smyrn.3.1).

في مقاومته للإفخارستيا حسب مفهوم الخياليين يؤكد القديس
إغناطيوس على أن الخبز هو جسد يسوع بالحقيقة (Symrn.7.1).
ويهاجم القديس بوليكراريوس أسقف سميرنا (أزمير) ت.
١٥٥/١٥٦ م، أيضاً مجموعة لها نفس الآراء (Phil.7.1).

شرح مبسط لعقيدة التجسد

كيف تم التجسد؟

لقد حل الروح القدس على العذراء مريم بدون زواج، وطهرها،
وقدسها، وملاها نعمة، وكون من جسدها ناسوتاً أو طبيعة إنسانية.
وهذه الطبيعة البشرية الخاصة به اتخذها كلمة الله وتجسد بها،
لكي يولد من العذراء كإنسان. وكما نقول إنه بولادته من الآب قد
دعي ابن الله، هكذا نقول بولادته من العذراء يسمى ابن الإنسان.
ولكن ابن الله هو هو نفسه ابن الإنسان، وليس شخصاً آخر؛ حتى
بعد ولادته من العذراء هو ابن الله. لذلك قال الملاك للعذراء
"القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لوقا: ١: ٣٥). والسيد المسيح
نفسه كان أحياناً يسمى نفسه "ابن الإنسان"، وأحياناً أخرى "ابن الله".
فكما وُلد من الآب قبل كل الدهور ولادة روحية إلهية بدون أم،
هكذا أيضاً وُلد في ملء الزمان ولادة إنسانية بدون أب. فهو وُلد

من الآب أزلياً بدون أم، وولد من العذراء ولادة زمنية بدون أب. فلا ينبغي أن يتم خلط الولادتين معاً. فالمسيح ليس له أب جسدي لأنه ولد من العذراء بدون أب، وليس له أم في اللاهوت لأنه ولد من الآب بلاهوته بدون أم.

إن المسيحية لا تؤمن إطلاقاً بأن الآب قد تزوج الروح القدس لكي ينجب الابن (حاشا). بل الابن هو كلمة الآب بولادة روحية. وحتى في القرآن مذكور عن السيد المسيح (إنه كلمة من الله وروح منه). أما عن ولادته حسب الجسد أو ما نسميه التجسد، فكان من العذراء بفعل الروح القدس. وهذا ليس ولادة الكلمة من الآب، ولكن ظهوره للعالم في ملء الزمان. فلا توجد علاقة بين ولادة الكلمة منذ الأزل وولادته في ملء الزمان من العذراء مريم. وهكذا فإنه يوجد للسيد المسيح ميلادان ميلاد أزلي وميلاد زمني.

وإليك أيضاً عزيزي القارئ بعض ما ذكره القديس أثناسيوس في شرحه للتجسد في كتاب "تجسد الكلمة" قال في الفصل الرابع:

٢- لأنه من الضروري عندما نتحدث عن ظهور المخلص بيننا، أن نتحدث عن بداية خلق البشر، ولكي تعلم أن نزوله إلينا كان بسببنا، وأن تعدّينا استدعى تعطف الكلمة، لكي يأتي الرب مسرعاً لمعونتنا، ويظهر بين البشر. ٣- فلأجل قضيتنا تجسد لكي يخلصنا، وبسبب محبته للبشر قبل أن يتأنس ويظهر في جسد بشري. ٤- وهكذا خلق الله الإنسان وكان قصده أن يبقى في غير فساد. أما البشر فإذا احتقروا التفكير في الله ورفضوه،

وفكروا في الشر وابتدعوه لأنفسهم كما أشرنا أولاً، فقد حُكم عليهم بحكم الموت الذي سبق إنذارهم به.

في الفصل الثامن:

١- لأجل ذلك إذن نزل إلى عالمنا كلمة الله الذي بلا جسد، عديم الفناء وغير المادي... ٢-... فإنه رحم جنسنا وأشفق على ضعفنا وتراءف على فسادنا. وإذا لم يحتمل أن يرى الموت وقد صارت له السيادة علينا، ويلاشي عمل الله، فقد أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا... ٤- وهكذا إذ اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا، وإذا كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر^{٢٢٦}.



^{٢٢٦} القديس البابا أثناسيوس الرسولي بطريرك الإسكندرية العشرون، تجسد الكلمة، نصوص أبائية-٦٢، دكتور جوزيف موريس فلنس (ترجمة وتعليقات)، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية بالقاهرة، الطبعة الرابعة سبتمبر ٢٠٠٦م، ص ١٠، ١١، ٢٠، ٢١، ٢٢.

هل بطرس الرسول هو الصخرة التي قامت عليها الكنيسة؟

ص ١٩٥ هيبيا: نحن أيضاً لم نفهم قول يسوع حين أشار إلى بطرس الرسول وقال: على هذه الصخرة، أبني كنيسة. لأننا لم ندرك أن كل كنيسة بُنيت أو سوف تبنى، فهي لا بد أن تقوم على رسولية بطرس وإيمانه الذي لا يعرف الشك، وإن كان يعرف الضعف!.

ص ١٦٦ - ١٦٧ هيبيا: لأن بطرس الرسول، وهو الصخرة التي قامت عليها الكنيسة، كان يعمل صياداً في البحر.

يُقدِّم لنا مؤلف كتاب "تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية" إجابة وافية لهذا السؤال فيقول:

نرى في قول السيد المسيح لبطرس بحسب الترجمة اليونانية، لفظتين متشابهتين لكنهما ليستا معنى واحداً وهما "بطرس" و "بِترًا". ف "بطرس" اسم مُذكرٌ يعني حجراً مقطوعاً من صخرة. أما "بِترًا" فاسم مؤنث يعني صخرة. وفي الترجمة السريانية الحرقلية وردت لفظتان متميزتان وهما ܡܬܪܐ و ܡܬܪܐ (فَطْرُس وشوعو) أي "بطرس" و "الصخرة".^{٢٢٧}

فيكون نص الآية حسب الترجمة الحرقلية السريانية في متى ١٦: ١٨ مع ذكر كلمة بطرس بالسرياني "ܡܬܪܐ" (كيفاً) هي:

^{٢٢٧} سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية)، ج ١، الحاشية ص ٥٣.

(الله الله طافا. محلا محلا احسنه حبالا محلا) (أت إيثايك كيفو. وعل هونو شوعو أبنوه لعيتو ديل) أي (أنت هو الحجر وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة)، لأن كلمة "كيفاً" أو "صفا" السريانية تعني حجر ولا تعني صخرة. فكل مؤمن هو حجر في بناء الكنيسة، والرسول والأنبياء هم أحجار في الأساسات، ولكن يسوع المسيح هو الصخرة وهو حجر الزاوية، كقول بولس الرسول "كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتْهُمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ (١كو ١٠ : ٤) وقول الرب في سفر أشعياء (٤٤ : ٨) "هَلْ يُوجَدُ إِلَهٌ غَيْرِي؟ وَلَا صَخْرَةٌ لَا أَعْلَمُ بِهَا".

ويستطرد المؤلف المذكور مؤكداً نفس المعنى:

فَيُسْتَنْتَج من قول السيد المسيح: على هذه الـ "بترا" أبني بيعتي: إنه لم يؤسس بيعته على "بطرس" [صفا]. وأما "بطرس" فقد وُضع في بناء هذه البيعة. وقصارى القول أن البيعة لم تؤسس على شخص بطرس الرسول، ولكن بطرس وُضع مع رفاقه الرسل كحجارة في أساسها. ولذا صرّح يوحنا الرسول قائلاً "وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر" (رؤ ٢١ : ١٤). وبهذا المعنى فإن كل مؤمن هو بطرس أي حجر في بناء بيعة المسيح كما شهد بطرس الرسول نفسه قائلاً: "كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوّة مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع

المسيح" (ابط ٢: ٥). إلا أن حجر الزاوية هو المسيح كما
قال بولس الرسول "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء
ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف ٢: ٢٠) ^{٢٢٨}.

* * *

هل الإنسان مُسَيَّر وليس مُخَيَّرًا؟^{٢٢٩}

ص ١٦٣ هيبا: حين لا أجد اليوم إجابة على تساؤلاتي، لا أجد بُدًّا من القول إنها كانت مشيئة الرب.. الربّ المحتجب خلف سرادق حكمته الخفية، أو خلف عجزنا الدائم عن فهم أحوالنا، وذواتنا.

ص ١٧١ هيبا: الإله المحتجب خلف أستار العزّة؛ يفعل ما يريد بمن يريد!

هل الإنسان مسيّر أم مخيّر؟ وإن كان مخيّرًا، فهل هو مخيّر في كل شيء؟

هناك أمور لا يجد الإنسان نفسه مخيّرًا فيها.

حقًا إن الإنسان لم يكن مخيّرًا من جهة الوطن الذي ولد فيه، والشعب الذي نشأ بينه، ومن جهة الوالدين اللذين ولداه، ونوع البيئة التي أحاطت بطفولته وتأثيرها عليه، وكذلك نوع التربية التي عومل بها.

ولم يكن الإنسان مخيّرًا من جهة جنسه، ذكرًا كان أو أنثى. ولم يكن مخيّرًا من جهة شكله ولونه، وطوله أو قصره، ودرجة ذكائه، وبعض المواهب التي مُنحت له أو التي حُرِم منها، وما ورثه عن والديه... إلخ.

ولكن الإنسان في تصرفاته وأعماله الأدبية، هو مخيّر بلا شك. يستطيع أن يعمل هذا العمل أو لا يعمل. يستطيع أن يتكلم أو

^{٢٢٩} قداسة البابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية، سنوات مع أسئلة الناس ج ٢، الطبعة السابعة، القاهرة ١٩٨٢، ص ٦-٨.

يصمت. بل أنه يستطيع -إن أراد- أن يصلح أشياء كثيرة مما ورثها، وأن يغير مما تعرض له من تأثير البيئة والتربية. يمكنه أن يلقي الماضي كله جانباً، ويبدأ حياة جديدة مغيرة للماضي كله، يتخلص فيها من كل التأثيرات السابقة التي تعرض لها منذ ولادته

وكم من أناس استطاعوا في كبرهم أن يتحرروا من تأثيرات البيئة والتربية والوراثة التي أحاطت بهم في صغرهم. وذلك بدخولهم في نطاق تأثيرات أخرى جديدة، عن طريق القراءة والصدقة والعشرة، أو بتأثير مرشدين روحيين ومعلمين جدد، أو بتأثير الدين والاجتماعات، كما حدث لأشخاص نشأوا في حياة ضائعة وتابوا، أو غيرهم نشأوا في حياة روحية وضلوا. وحتى من جهة المواهب أيضاً..

يمكن للإنسان أن ينمي المواهب التي وُلد بها، أو أن يضيعها بعدم الاستخدام. وقد يكون إنسانٌ قليل المواهب، ويستطيع أن يتعهد هذا القليل بالممارسة والاهتمام فتتنامى مواهبه، أو يكتسب مواهب لم تكن عنده، ويصير في حالة أفضل ممن وُلد موهوباً وأهمل مواهبه. وهناك أمور كثيرة تدل على أن الإنسان مخير لا مسير:

١- إن وجود الوصية الإلهية دليل على أن الإنسان مخير.

لأنه إن كان الإنسان مسيراً، ولا يملك إرادته ولا حريته، فما معنى الوصية إذن؟! وما فائدة الوصية إن كان الإنسان عاجزاً عن السير

فيها، وإن كان مسيراً على الرغم منه في اتجاه عكسي؟! وعلى رأي الشاعر الذي قال:

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء
وحتى إن كان الإنسان مسيراً في طريق الوصية، فلا لزوم للوصية
إذن، لأنه سيسير في هذا الطريق بالذات، وُجدت الوصية أو لم
توجد!!

ولكن الأمر المنطقي هو أن وجود الوصية دليل قاطع على أن
الإنسان مخير، هو في حريته يتبع وصية الله أو لا يتبعها. وهذا ما
نشاهده فعلاً... بإمكان الإنسان أن يطيع وصايا الله إن أراد. أو
يعصاها إن أراد. لأن الله وهبه حرية الإرادة وحرية الاختيار.
وضع أمامه الخير، ولكنه لم يرغمه على السير فيه.

٢- وجود الخطية دليل على أن الإنسان مخير.

فلو كان الإنسان مسيراً، فهل من المعقول أن الله يسيّره نحو
الخطية؟ وبذلك يكون شريكاً معه في ارتكابها؟! حاشا. إن هذا أمر
لا يقبله العقل... ولا يتفق مطلقاً مع طبيعة الله الذي هو قدوس
وصالح، يكره الشر ولا يوافق عليه، ويدعو كل الناس إلى التوبة
وترك الخطية.

إذن حينما توجد خطية، يكون الإنسان قد فعلها باختياره
وبإرادته، أي أنه كان مخيراً فيما يفعله .

وإن كان الإنسان مخيراً في فعل الشر، فإنه بالأولى وبالأحرى
يكون مخيراً في فعل الخير، ومخيراً أيضاً في أن يتجه إلى التوبة

وترك الخطية. والله يدعو الجميع إلى التوبة. ولكنه يتركهم إلى اختيارهم، يتوبون أو لا يتوبون.

٣- وجود الدينونة دليل على أن الإنسان مخير.

مجرد وجود العقاب والثواب دليل على أن الإنسان مخير فيما يفعله. لأنه من أبسط قواعد العدل، أن لا يُحكم على إنسان ما لم يكن في تصرفاته عاقلاً حراً مريداً. فإن ثبت انعدام الحرية والإرادة، لا يُحكم له أو عليه، إذ أن لا مسؤولية حيث لا حرية. وبناء على هذا لا يمكن أن يحكم الله على خاطئ بالعذاب الأبدي، ما لم يكن هذا الإنسان بكامل اختياره قد شاء لنفسه السلوك الرديء وارتكبه، فأخذ لنفسه جزاء إرادته وعمله. وعلى قدر ما تكون له من إرادة، هكذا تكون عقوبته.

ومحال أن يُعاقب الله إنساناً مُسيئاً، لأنه ما ذنب هذا المُسيئ؟ العقوبة بالأحرى تكون على من سيّره نحو الخطأ.

ونفس الكلام نقوله من ناحية الثواب، فالله يكافئ مَنْ فعل الخير باختياره وبإرادته ورغبته. أما إن كان مُسيئاً، فإنه لا يستحق ثواباً. وأخيراً، نود أن نقدم ثلاث ملاحظات:

أولاً: إن الله يحث كل إنسان على الخير، ويرشده ليبعد عن الخطأ. سواء عن طريق الضمير، أو المرشدين والآباء والمعلمين، وبكل عمل النعمة. ومع ذلك يتركه إلى اختياره يقبل أو لا يقبل.

ثانياً: إن الله يتدخل أحياناً لإيقاف شرور معينة، ويمنع من ارتكابها. وفي هذه الحالة لا يكون فضل لمن ترك هذا الشر، ولا يكون له ثواب.

هنا، من أجل الصالح، يُسيّر الله الأمور بنفسه، أو يحول الشر إلى خير. أما في باقي أمور الإنسان العادية وتصرفاته فهو مخير ويملك إرادته.

ثالثاً: قد يفقد الإنسان إرادته بإرادته. أي أنه ربما بإرادته يستسلم لخطية معينة، إلى أن تصير عادة أو طبعاً، يخضع لها فيما بعد ويفعل ما يريده هذا الطبع، وكأنه أمامه بغير إرادة، ولكنها عدم إرادة، تسببت عن إرادة سابقة، فعلها الإنسان وهو مخير.

* * *

وها بعض النصوص من الكتاب المقدس توضح أن الإنسان مُخير ويملك حرية إرادته، وتأكيداً لكل ما قلناه:

- لَأنَّ هَذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهُ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ (١تي ٢: ٣-٤).
- أَشْهَدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِتَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ (تث

٣٠ : ١٩)

- "يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا" (مت ٢٣ : ٣٧).
- "لَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا..." "إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي" (مت ١٩ : ١٧ ، ٢١).
- "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي" (مت ١٦ : ٢٤).
- "هَذَا رَأَى يَسُوعُ مُضْطَجِعًا وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَانًا كَثِيرًا فَقَالَ لَهُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟" (يو ٥ : ٦).
- "هَنَذَا وَقِفْ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعْ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَاتَّعَشَى مَعَهُ وَهُوَ مَعِيَ" (رؤ ٣ : ٢٠).

* * *

الباب الثالث

الفصل الأول

- حقيقة عزازيل
- مقال لقداسة البابا شنودة الثالث، أطل الله حياته، عن "عزازيل"

الفصل الثاني

- هل هو إبداع أم خداع!
- محاكاة د. زيدان، لدان براون مؤلف رواية شفرة دافنشي

الفصل الثالث

- سيرّ المطران

الفصل الرابع

- إخضاع حقائق الإيمان للعقل
- التشكيك في وجود الله
- جزء فلسفي يشجع على الإلحاد

الفصل الخامس

- النهاية الأليمة – انتصار عزازيل
- تحليل الرواية

الفصل الأول

حقيقة عزازيل

ورد في كتاب د. يوسف زيدان عن عزازيل ما يلي:
ص ٣٤٩ هيبا: في أصل عزازيل، آراء وأقاويل.... ثم كان ذكره
الأشهر، في التوراة التي كتبها الأحبار بعد عودة اليهود من السبي
البابلي. أما في ديانة المسيح، فالمذاهب كلها تؤكد، ولا تقبل الشك
فيه. فهو دوماً في مقام عدو الله. وعدو المسيح، ولا يُعرف مقامه من
الروح القدس!..

ص ٣٥٠ هيبا في حوار مع عزازيل:
سألت عزازيل عن المعنى الواحد لأسمائه الكثيرة، فقال: النقيض.
عزازيل نقيضُ الله المألوه.. هذا ما قاله لي همساً، بلغةٍ أخرى غير اللغة
السابقة التي لم أعرفها. غير أنني فهمت عبارته، وهمتُ في معانيها.. هو
إذن نقيضُ الإله الذي عرفناه، وعرفناه بالخير المحض. ولأن لكل شيء
نقيضاً، أفردنا للشر المحض كياناً مناقضاً لما افترضناه أولاً، وسميناه
عزازيل وأسماء كثيرة أخرى.. قلتُ هامساً:
- لكنك يا عزازيل، سببُ الشرِّ في العالم.
- يا هيبا كن عاقلاً، أنا مبررُ الشرور.. هي التي تسببني.
- ألم تزرع الفرقة بين الأساقفة؟ اعترف!
- أنا أقترفُ ولا أعترفُ، فهذا ما يريدونه مني.
- وأنت، ألا تريد شيئاً؟

- أنا يا هيبا أنت، وأنا هم.. تراني حاضراً حيثما أردت، أو أرادوا. فأنا حاضرٌ دوماً لرفع الوزر، ودفع الإصر، وتبرئة كل مُدان. أنا الإرادة والمريد والمراد، وأنا خادم العباد، ومثير العباد إلى مطاردة خيوط أوهامهم.

أفردنا للشهر المحض كيأنا مناقضاً لما افترضناه أولاً وسميناه عزازيل ينكر هنا د. زيدان وجود الشيطان وينكر أيضاً وجود الله حسب فكر هيبا.

والآن نرد على ما ورد في رواية د. يوسف زيدان عن عزازيل:

من هو عزازيل؟

عزازيل كلمة عبرية עֲזַאזִיל وردت في العهد القديم في سفر اللاويين عند الحديث عن يوم الكفارة، للإشارة إلى التيس الذي يتم عزله. فيصف سفر اللاويين إنه بعد أن يفرغ الكاهن من تقديم التيس الأول أي تيس الخطية للتكفير عن الشعب، يأتي الطقس الخاص بتيس البرية. "وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذَنْبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ وَيُرْسِلُهُ بِيَدٍ مَنْ يُلَاقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. لِيَحْمَلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفَرَةٍ فَيُطْلَقُ التَّيْسُ فِي الْبَرِّيَّةِ". (لاويين ١٦: ٢١-٢٢).

وعزازيل في العهد القديم اسم يشير إلى كبش الفداء Scapegoat كما هو مذكور في مراجع عديدة^{٢٣٠} بمعنى "تيس الترك - الرحيل" A goat for going away في (لاويين ١٦ : ٨، ١٠، ٢٦).
 "وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسَيْنِ قُرْعَتَيْنِ: قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعَزَازِيلَ... وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ لِيُكْفَرَ عَنْهُ لِيُرْسَلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.... وَالَّذِي أَطْلَقَ التَّيْسَ إِلَى عَزَازِيلَ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ إِلَى الْمَحَلَّةِ".

وفي أكثر من مرجع في البرنامج الإلكتروني BibleWorks 7 نجد أن معنى كلمة عزازيل يرتبط بذبيحة الخطية التي كانت تُقدم في يوم الكفارة العظيم، وسنورد ما ذكرته بعض هذه المراجع:

International Standard Bible Encyclopedia, 347,²³¹ Azazel (BibleWorks 7),

في لاويين ١٦ : ٥ [وَمِنْ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْخُذُ تَيْسَيْنِ مِنَ الْمَعَزِ لِذَبِيحَةِ خَطِيئَةٍ...].

يمثل التيسان ذبيحة خطية واحدة. فهما يمثلان وجهين لشئ واحد. (التيس) الثاني ضروري ليوضح ما قام به الأول

²³⁰ Robert Young, *Young's Analytical Concordance to the Bible* (Nashville: Thomas Nelson, 1982), p. 842; George V. Wigram, *The Englishman's Hebrew and Chaldean Concordance of the Old Testament* (Michigan: Zondervan, 1970), p. 915.

²³¹ Dr Stanley Morris. *The International Standard Bible Encyclopedia*, 1915, 1st ed., IBT, 1997 in BibleWorks7, programmed by Michael S. Bushell, Michael D. Tan, and Glenn L. Weaver, 2006, Bible Concordance and Morphological Analysis Program.

الذي ذُبح (ولا يستطيع أن يعلن لنا نتيجة ذبحه) ليوضح عملياً عزل الخطية عن الخاطئ. وكون التيس يُستبعد مصحوباً بشخص ما إلى مكان غير مأهول بالسكان، هو تأكيد على الاستحالة المطلقة لإمكانية عودته وهذا يعني أن الإثم قد غُفر ومُحيّ بصورة مطلقة.

المعنى الحرفي لكلمة عزازيل בְּרִיזַיִל :

Far removed, going far away

بمعنى: الإزالة (النقل - التخلّص من) بعيداً - الترحيل بعيداً.

البعض يفسرونه على أنه شيطان البرية، ولذلك يشرحون معنى الكلمة على أنه "مَنْ فَصَلَ نفسه عن الله" أو "الذي فَصَلَ نفسه" أو "الذي يُضِلّ آخرين". ولكن شيطاناً من هذا النوع من المستحيل أن يوضع في مقابل يهوه بهذه الطريقة. من المعروف أنه لم يُطْلَق أبداً على الشيطان في أي موضع في الكتاب المقدس اسم "عزازيل". ويُذكر أن نفس الفكرة أو نفس الطقس يحدث في شريعة تطهير الأبرص ولكن على الطيور (عصفورين) [انظر لاويين ١٤].

ورد في:

Easton Bible Dictionary, 374,²³²

التفسير المفضل لعزازيل مرتبط بمعنى الكلمة، وهي تعني "العزل". التيس الذي للرب ذُبَح ذبيحة خطية، أما التيس الذي أُطلق إلى عزازيل في البرية فهو يرمز [لنتيجة] لنتيجة سفك دم ذبيحة الخطية، وفاعلية هذا الدم، أي أن الخطية قد عُزلت تمامًا بطريقة محسوسة. لكي يشعر بنو إسرائيل بنتيجة الفداء بطريقة عملية.

بعض اليهود يفسرونه بأنه اسم مكان على بُعد ١٢ ميل شرق أورشليم. آخرون اعتبروه روح شريرة أو حتى الشيطان.

ولكن عندما نتذكر أن التيسين معًا يشكلان نموذجًا أو مثالاً للمسيح الذي "وضع الرب عليه آثامنا"، وعندما ندرس المعنى الأصلي للكلمة وهو (العزل) separation يكون التفسير أن واحدًا من التيسين يمثل الكفارة، والآخر الذي لعزازيل، يمثل أثر عمل الكفارة العظيم، أي النزع الكامل للخطية [وعزلها ومحوها ونسيانها]. وهذا هو الرأي المفضل بكل تأكيد. التيس الذي قُدم للرب هو ذبيحة خطية وبه تمت الكفارة. ولكن لابد أن تستبعد الخطية أيضًا بطريقة مرئية. ولذلك فقد وُضعت الخطية رمزيًا

²³² M. G. Easton, *Easton Bible Dictionary*, 3rd ed., 1897 in *BibleWorks7*.

بالإعتراف على رأس التيس الآخر (الذي لعزازيل)، الذي يُرسل إلى البرية.

المعنى اللغوي الأصلي للكلمة يوضح وبقوة العزل الكامل للخطية، ولذلك فهو ذو مغزى. فقد أُستبعدت الخطية بالكامل.

كان من المهم أن تُرى فاعلية الذبائح التي يقدمها رئيس الكهنة وحده في قدس الأقداس، وأن تتجسد هذه الفاعلية بطريقة مرئية. وهكذا كان عزل تيس عزازيل؛ لا يُعرف عن التيس أي خبر بعد ذلك. لأن المعنى الكامل لهذا الإجراء يتحقق بإرسال التيس إلى البرية حاملاً الخطية بعيداً. فكما شهد تيس الرب لما استوجبته الخطية [الذبح]، والاحتياج لدم الكفارة، هكذا أيضاً التيس الذي لعزازيل كان يشهد على فاعلية الذبيحة ونتيجة سفك الدم في إبعاد الخطية.

وقد ورد أيضاً في:

*Strong's Concordance*²³³ (BibleWorks 7)

5799 יָצִיטִי Scapegoat;

عزازيل، كبش الفداء وتعني العزل الكامل، وتشير إلى التيس الذي أُستخدم كذبيحة لخطايا الشعب.

²³³ *Strong's Concordance in BibleWorks7*, programmed by Michael S. Bushell, Michael D. Tan, and Glenn L. Weaver, 2006, Bible Concordance and Morphological Analysis Program.

وفي:

*The New Strong's Complete Dictionary of Bible Words*²³⁴

5799 עֲזַזְאֵל from 5795, 235;

5795 עֲזַז ez, aze: بمعنى تيس

235 עֲזַז azal: الجذر الأولي بمعنى يذهب بعيداً ومن ثم يختفي

فيكون עֲזַזְאֵל بمعنى تيس الرحيل أو كبش الفداء

وفي فترة التلمود كان التفسير الرأبيني الشهير أن عزازيل يشير إلى المكان الذي يُرسل إليه التيس²³⁵.

وقد أصبحت فكرة كبش الفداء scapegoat ذات مغزى في التاريخ الوسيط والحديث لما يُعرف بـ "معاداة السامية - Anti-Semitism عندما كان اليهود يُلامون بسبب الأوبئة أو الأزمات الاقتصادية أو غيرها من الكوارث، فكان يُقال إنهم كانوا "كبشاً للفداء scapegoated"²³⁶!

أما اعتبار "عزازيل" بأنه الشيطان - كما توهم د. يوسف زيدان

واتخذ من عزازيل عنواناً لروايته، مُدعياً أنه الشيطان نفسه! زاعماً

إنه، على حد قوله، يوسوس للناس كما يتوهم المتدينون أنه يوجد

²³⁴ James Strong, *The New Strong's Complete Dictionary of Bible Words* (Nashville: Thomas Nelson, 1996), pp. 301,471.

²³⁵ Harris R. Laird, ed., *Theological Wordbook of the Old Testament*, vol. 2 (Chicago: Moody Press, 1980), p. 568.

²³⁶ Sara E. Karesh and Mitchell M. Hurvitz, *Encyclopedia of Judaism* (New York: Facts on File, 2006), p. 39.

شيطان وهو نابع من داخلهم - فلم يأتِ إلا في ما يُعرف بـ "الأسفار الخارجة" عند اليهود. وهي عبارة عن عدة أعمال غير قانونية ترجع لفترة الهيكل الثاني، ونخص بالذكر "سفر أخنوخ"، وهو عبارة عن كتاب يقدم مجموعة كبيرة من عدة أفكار دينية غير منسجمة مع بعضها البعض^{٢٣٧}. يُعرف نصه الكامل بالأثيوبية فقط^{٢٣٨}، ويحوي "نصوصاً أسطورية تتضمن رموزاً وصوراً خيالية وقصصاً مستقبلية خاصة بفناء هذا العالم"^{٢٣٩}، ويقدم وصفاً أسطورياً خيالياً ومُضحكاً لعزازيل وهو "يُعلم الرجال أن يصنعوا سيوفاً وسكاكين وتروساً ودروعاً، وعرفّهم بمعادن الأرض وفن تشكيلها" (أخنوخ ٨: ١)^{٢٤٠}. كما أنه "قد قام بتعليم الأشرار الأسرار الإلهية المحفوظة في السماوات" (أخنوخ ٩: ١)^{٢٤١}.

ويستكمل الكتاب إنه بناء على ذلك ذهب أخنوخ وقال: "عزازيل! لن يكون لك سلام في ما بعد، وسوف تلاقى عقوبة شديدة فصاعداً!" (أخنوخ ١٣: ١)^{٢٤٢}.

وفي رواية عزازيل، نجد أن د. يوسف زيدان يقدم وصفاً مماثلاً لعزازيل في العبارات التالية:

²³⁷ W.J. Ferrar, *The Uncanonical Jewish Books* (London and New York, 1918), p.

68.

²³⁸ Robert Helm, 'Azazel in Early Jewish Tradition,' *Andrews University Seminary Studies* 32.2 (1994): 218.

^{٢٣٩} راجع: حسن ظاظا، *الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومناهجه*، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١، ص ٧٦.

²⁴⁰ R.H. Charles, ed., *Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*, vol.2 (n.p.: Oxford, 1913), p. 192.

²⁴¹ Charles, *Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*, vol.2, p. 193.

²⁴² Charles, *Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*, vol.2, p. 196.

ص ٢٨ هيبا: غير أن آدم انخدع بوسوسة إبليس، فعصى الرب القدوس، وأكل من الشجرة المنهى عنها، على أمل أن يصير إلهاً. خدعه عزازيل اللعين بوسوسته، فأخطأ آدم، وعوقب بالطرد من الجنة، بحكم قُدُوسية الرب الإله.

ص ٥٠ هيبا: أظن أن خوفي من الانتهاء، وليس إلحاح عزازيل هو دافعي للكتابة.

ص ٥١ - عزازيل! - نعم يا هيبا، عزازيل الذي يأتيك منك وفيك

ص ١٦٣ - عزازيل، ألا تنام؟ - كيف أنام وأنت مستيقظ!

ص ٢٢٠ ... ومع ذلك خانتها (أي حواء) مع عزازيل اللعين، وتحالفا ضده (أي ضد آدم).

ص ٣٤٤ - أنا لست حولك يا هيبا، أنا فيك.

ص ٣٤٨ - يا هيبا، الإنسان في كل عصر يخلق إلهاً له على هواه، فإليه دوماً رؤاه وأحلامه المستحيلة، ومناه.

- كف عن هذا الكلام، فأنت تعرف مكانك من الله، فلا تذكره

- أنا مذکور يا هيبا، ما دام هو مذکور!

ص ٣٤٩ هيبا: أما في ديانة المسيح، فالمذاهب كلها تؤكده (أي تؤكد عزازيل)، ولا تقبل الشك فيه. فهو دوماً في مقام عدو الله، وعدو المسيح، ولا يُعرف مقامه من الروح القدس!.. روى عنه القدماء، أنه خلق الطاووس، فقد ورد في نقش قديم، أنهم عَيَّرُوا عزازيل بأنه لا يفعل إلا القبائح، ولا يدعو إلا إليها، فأراد أن يثبت لهم قدرته على فعل الجمال، فخلق هذا الطائر. قلتُ ذلك يوماً لعزازيل، فابتسم وهزَّ كتفه اليمنى متعجباً.

ص ٣٤٩ هيبا: سمعتُ صوت عصافير تملأ الأفق، وكان باب الصومعة مفتوحاً، وعزازيل يجلس صامتاً عند الباب. أحببتُ أن أسمع منه صوتي،

فسألته أيُّ أسمائه أحبُّ إليه؟ فقال: كلها عندي سواء، إبليس، الشيطان،
أهريمان، عزازيل، بعلزوب، بعلزبول.."

ومن كل ما سبق نرى بكل وضوح أن رواية د. يوسف زيدان
تعتبر اسم "عزازيل" هو اسم إبليس أي الشيطان.
لذلك ينبغي علينا التأكيد أن الادعاء بأن عزازيل هو نفسه الشيطان
هو أمر مرفوض وغير معقول، حتى من وجهة النظر اليهودية؛
فيقول العالم اليهودي رونالد أيزنبرج Ronald Eisenberg في كتابه
الموسوعي "التقاليد اليهودية" The Jewish Traditions:

إنه من الواضح أن التقليد الإسرائيلي لم يعتبر هذا الطقس
(الوارد في سفر اللاويين) ذبيحة للشيطان، ليس فقط لأن
تيس عزازيل لم يكن يُذبح^{٢٤٣} -على الأقل طبقاً للتوراة-
ولكن لأن الأصحاح التالي في سفر اللاويين (١٧: ٧)
خصوصاً، يمنع تقديم الذبائح لـشياطين^{٢٤٤}. [وَلَا يَذْبَحُوا
بَعْدَ ذَبَائِحِهِمُ لِلتِّيُوسِ الَّتِي هُمْ يَزْنُونَ وَرَاءَهَا. فَرِيضَةٌ دَهْرِيَّةٌ
تَكُونُ هَذِهِ لَهُمْ فِي أَجْيَالِهِمْ].

والعجيب أن القديس كيرلس قد أفرز رسالة كاملة (٤١) هي
"الرسالة إلى أكايوس"^{٢٤٥} عن التيس المُرسل إلى البرية، يشرح
فيها أمر عزازيل. وكأنه كان يتنبأ أن عزازيل سوف يثير كل هذه

²⁴³ Encyclopedia Judaica, 2nd ed. s.v. "Azazel" p. 763.

²⁴⁴ Ronald L. Eisenberg, JPS Guide to Jewish Traditions (Philadelphia: Jewish Publication Society, n.d.), p. 224.

^{٢٤٥} أكايوس، أسقف ميليتيني في كبادوكيا، توفي سنة ٤٣٨ م.

الأقاويل؛ يوماً ما بقلم الدكتور مصطفى محمود في مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٢ | ٣ | ١٩٩٧م، ومن بعده بقلم الدكتور يوسف زيدان في هذه الرواية.

فقال القديس كيرلس السكندري في هذه الرسالة، مُفنداً مزاعم من يتوهم أن عزازيل هو الشيطان:

٤- أما أولئك الذين ليس لهم ذهنٌ مرتبٌ حسنٌ، ولكنهم كما لو كانوا يعرجون ويلعبون مثل الأطفال، فالأمور المختارة للتفكير تكون عندهم موضع ازدراء وأحياناً موضع اتهام. وأقول هذه الأمور بخصوص كتابات تقواكم التي قوبلت بالتساؤلات. لأنه ربما بعض أولئك قد فكروا أن الأول من التيسين مخصص لله -الذي هو فوق الكل- كتكريس وذبiche، بينما الآخر مُرسل إلى البرية وإلى شيطان شرير ونجس، وذلك بيد كاهن وبواسطة وحي شرعي. لذلك، فمن هذه النقطة، فإن الأمر يعتبر غباءً ومثيراً للضحك. ويمكن أن نقول لأولئك الذين قبلوا الأمر على أنه هكذا، وكيف أنه لم يكن ضرورياً أن نتأمل فيه أكثر من ذلك، لأنه كيف يكون الذي هو خالق كل الأشياء، والذي يعلو على كل فكر وكلام، والذي هو وحده إله ورب بالطبيعة، يقبل المتمرد، أي الشيطان، كما لو كان شريكاً في سلطانه ومجده؟! ونحن قد سمعناه يقول بوضوح بواسطة أحد الأنبياء القديسين: "مجي لا أعطيه لآخر" (أش ٤٢: ٨). ولكن إن كان الناموس

قد أوصى بواسطة موسى الكلي الحكمة، أن كل من يريد أن يقدم ذبيحة، فمن الضروري أن يقدم الذبيحة له* وله وحده. فإن كان هو الذي أعلن الناموس قد أخبر أنه من الضروري أن المجد اللائق به، وبه وحده، يُعطى للأرواح النجسة، فكيف لا يكون مناقضاً لكلماته نفسها، لأن ما أوصاهم أن لا يفعلوه، قد أمر أنه ينبغي أن يفعل^{٢٤٦}.

١٤- والكتب تقول ما يلي: "ويقدم التيس الحي ويضع هارون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس الحي ويرسله بيد إنسان مستعد إلى البرية" (لا ١٦: ٢٠-٢٢ سبعينية). لذلك لاحظوا كيف يدعو التيس الثاني بالتيس الحي، في حين أن التيس الأول هو الذي ذُبَح. فكما قلت إن الابن الواحد والوحيد الرب يسوع المسيح يشار إليه في الاثنين معاً كمتألم في جسده الخاص وخارج الألم، كما في الموت وكما فوق الموت. لأن كلمة الله كان حياً رغم أن جسده المقدس ذاق الموت، وكلمة الله ظل غير متألم، رغم أنه جعل آلام جسده خاصة به ونسبها إلى نفسه^{٢٤٧}.

* أي "الله"

^{٢٤٦} كيرلس الإسكندري، رسائل القديس كيرلس، ج ٣، ترجمها عن اليونانية د. مورييس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، مؤسسة القديس أنطونيوس: مركز دراسات الآباء ١٩٩٥، ص ٦١، ٦٢.

^{٢٤٧} المرجع السابق، ص ٦٨، ٦٩.

١٥- ولعل المرء يرى أن هذا سر عميق وعظيم وهو مدوّن لنا بطريقة أخرى في سفر اللاويين. لأن الناموس يعلن بواسطة موسى أن الأبرص قد صار دنساً، وقد أُمرَ أن يُرسل بعيداً عن المحلة كنجس. لكن لو حدث أن مرضه قد بُرئ تماماً، فعندئذ يُؤمر بأن يُقبل. وأضاف قائلاً:

"هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره. يُؤتى به إلى الكاهن ويخرج الكاهن إلى خارج المحلة فإن رأى الكاهن وإذا ضربه البرص قد بُرئت من الأبرص، يأمر الكاهن أن يُؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران.. ويأمر الكاهن أن يُذبح العصفور الواحد في إناء خزف على ماء حي. أما العصفور الحي فيغمسه في دم العصفور المذبوح على الماء الحي. وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء" (لا ١٤: ٢-٧). لذلك يوجد عصفوران نقيان. أي طاهران وبلا عيب، بحسب الشريعة. واحد يذبح على ماء حي، أما الآخر فيظل غير مذبوح ويُغطّس في دم العصفور المذبوح وفي ماء حي، ويرسل بنفس الطريقة التي أُرسل بها التيس إلى البرية^{٢٤٨}.

١٧- لذلك كما أن سر المسيح يشار إليه بحكمة في التيسين، هكذا يشار إليه أيضاً في العصفورين^{٢٤٩}.

^{٢٤٨} المرجع السابق، ص ٦٩، ٧٠.

^{٢٤٩} المرجع السابق، ص ٧٢.

٢١- لذلك كان من الملائم أن الناموس المعطى بواسطة موسى -وهو يقصد أن يرسم بوضوح سر المسيح- ما كان ينبغي أن يقدم سر المسيح بواسطة واحد من التيسين أو واحد من العصفورين، يموت ويحيا في نفس الوقت، لكي لا يبدو هذا العمل المعجزي كأنه استعراض مسرحي. ولكنه يشير بواحد منهما إلى معاناة ذبحه، ويقدمه في الآخر حيًا وقد أطلق حرًا^{٢٥٠}.

٢٥- لذلك قد كتبت هذه الأمور التي عرفتھا، ويبقى دور وقاركم أن تجروا فحصًا دقيقًا على ما قد كتبتھ، حتى إذا ما اكتشفت أن هناك حاجة إلى تحسين ما، فهذا يمكن أن ينفعنا نحن والشعب عندنا هنا. لأن المسيح هو الذي يكشف أمورًا عميقة وخفية، ويغرس الفهم في قلوبنا، لأن فيه وعنده "مذخر كل كنوز الحكمة والعلم" (كو ٢: ٣)^{٢٥١}.

وهكذا نخلص إلى أن التيس الذي لعازيل كان يرمز إلى أحد وجهي ذبيحة السيد المسيح الكفارية عن خلاص البشر. فالتيسان اللذان يُقدّمان ذبيحة خطية في يوم الكفارة العظيم: التيس الذي يُذبح هو رمز لسفك دم السيد المسيح تكفيرًا عن خطايانا، والتيس الذي يُطلق حيًا لعازيل أي للعزل، يرمز إلى السيد المسيح أيضًا في قيامته من الموت حيًا مما يبررنا نحن كنتيجة

^{٢٥٠} المرجع السابق، ص ٧٤.

^{٢٥١} المرجع السابق، ص ٧٦.

لإبعاد خطايانا وعزلها عنا، وكأنها صارت لا صلة لنا بها نهائياً
"كَبُعدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِينَا" (مز ١٠٣ : ١٢).
وهكذا يتحقق خلاص الله لنا نحن البشر الراضحين تحت ثقل
خطايانا، إذ أنه "لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلَّاصُ. لِأَن لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ
السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أع ٤ : ١٢) ذاك
"الَّذِي أَسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رو ٤ : ٢٥).
ومن ذلك يتضح أيضاً أن كل ما جاء في العهد القديم وبالأخص
في التوراة، يشير ويرمز للمسيا المخلص؛ كما قال هو بفمه
الطاهر: "لَأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لِأَنَّهُ هُوَ
كَتَبَ عَنِّي" (يو ٥ : ٤٦).

مقال لقداسة البابا شنودة الثالث، أطل الله حياته،

عن "عزازيل"

وهو يؤكد كل ما ذكرناه. وقد نشرته جريدة وطني بتاريخ ٦
أبريل سنة ١٩٩٧. السنة ٣٩، العدد ١٨٤١، ص ٢:

وصل إلينا كثير من الأسئلة بخصوص "عزازيل" ملخصها:
من هو عزازيل الذي كُتب عنه في سفر اللاويين أصحاب ١٦؟
هل هو الشيطان؟ وهل كانت تُقدم له ذبائح؟ وهل يعني هذا أن
عزازيل كان يُعبد بتقديم الذبائح له؟ وبهذا تكون عبادة الشيطان
ذات أصل يهودي؟ وللإجابة عن كل هذه الأسئلة نقول:

ليس اسم عَزَازِيلَ من أسماء الشيطان، ولم يرد هذا الاسم ضمن أسماء الشيطان الكثيرة التي وردت في الكتاب المقدس. ومنها الشيطان، وإبليس، والتنين، والحية القديمة. كما كُتب في سفر الرؤيا (٢٠: ٢٠١). وكلمة شيطان باليونانية ساطاناس، ومعناها المقاوم. ووردت بالقبطية هكذا أيضًا. كما سُمي أيضًا سطانائيل، أي المقاوم لله. وبالإنجليزية Devil وهي كلمة مأخوذة من (ديافولس) اليونانية. وورد للشيطان اسم آخر هو بعلزبول. وقال اليهود أيام المسيح إن بعلزبول هو رئيس الشياطين (مت ١٢: ٢٤) و(لو ١١: ١٥).

وسفر حزقيال وصف الشيطان بأنه "الكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظْلَلُ" (حز ٢٨: ١٤) أي أنه من طغمة الكاروبيم.

ولم يُذكر إطلاقًا في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد أن كلمة "عَزَازِيلَ" هي اسم من أسماء الشيطان!

ولم ترد كلمة "عَزَازِيلَ" إلا في سفر اللاويين أصحاب ١٦، ولم يُذكر في تلك المناسبة أنه الشيطان. إنما ذُكر أن إحدى التقدمتين كانت لِعَزَازِيلَ، وذلك في يوم الكفارة العظيم.

ومن غير المعقول منطقيًا ولاهوتيًا أن تكون التقدمة لِعَزَازِيلَ بمعنى أنها للشيطان، بينما الله الذي أمر بها موسى النبي (لا ١٦: ٢٠، ٩، ١٠). [وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى ... كَلَّمَ هَارُونَ أَخَاكَ أَنْ يَقْرُبَ هَارُونَ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ

ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ. وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ
حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ لِيُكْفَرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.]

إن تلك التقدمة لم تكن إحدي سقطات بني اسرائيل الكثيرة، وإنما
كانت بأمر من الله. فهل يُعقل أن يأمر الله بتقديم تقدمة
للسيطان؟! ويكون ذلك في عيد عظيم هو يوم الكفارة؟!

فاسم عَزَازِيلَ ليس اسماً لشخص ولا للشيطان، وإنما هو اسم معنى.
كلمة عَزَازِيلَ معناها العزل. فماذا تعني في سفر اللاويين؟ ولأي
شيء ترمز في عمل المسيح الكفاري؟ العمل الكفاري للسيد المسيح
له تفاصيل عديدة جداً. وكل ذبيحة أو تقدمة تمثل جانباً معيناً من
هذه التفاصيل.

والمعنى الذي يقدمه يوم الكفارة العظيم هو أن السيد المسيح قد
حمل خطايانا، ومات عنا، وأبعد عنا هذه الخطايا. عزلها عنا
تماماً.. فما عدنا نسمع عنها أو نتذكرها، ولا يذكرها الله لنا.

فما هي الطقوس التي كانت ترمز إلى هذه الأمور في يوم الكفارة؟
كان يؤتي باثنين من ذكور الماعز (تيسين). وتلقى عليهما قرعة:
احدهما للرَّبِّ، والثاني لِعَزَازِيلَ، (لا ١٦: ٨). الأول يكون ذبيحة
خطية، أي يذبح ويسفك دمه كفارة عن الخطية. وهكذا يموت.
لأن الكتاب يقول: "إِنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ" (رو ٦: ٢٣).

أما الثاني فيمثل عزل الخطية عن الإنسان لذلك سمي عَزَازِيلَ.
وقيل "يرسله إلى عَزَازِيلَ إلى البرية" أي يرسله إلى العزل
حاملاً الخطية.

وهكذا "وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ النَّيْسِ الْحَيِّ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ بِكُلِّ
ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ وَيَجْعَلُهَا عَلَى
رَأْسِ النَّيْسِ وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلَاقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. لِيَحْمَلَ النَّيْسُ عَلَيْهِ
كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفَرَةٍ فَيُطْلَقُ النَّيْسُ فِي الْبَرِّيَّةِ." (لا ١٦: ٢١، ٢٢).

وهذا ما عناه بقوله "يرسله إلى عزازيل إلى البرية". وليس معنى
هذا أنه يرسله إلى شخص اسمه عزازيل، أو شيطان اسمه
عزازيل. وإنما يرسله إلى العزل، إلى العزل عن مساكن الناس،
إلى البرية، إلى "أرض مقفرة" حيث ينتهي أمره.

ولعل هذا المعنى، ما قاله المزمور عن مغفرة الرب لنا: "كَبُعِدَ
الْمَشْرِقُ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِينَا". (مز ١٠٣: ١٢).
هذا البعد الذي تمثله (البرية) وتمثله (الأرض المقفرة).

يحمل هذه الخطايا فوق رأسه، ويبعد بها بعيداً. يعزلها عنا عزلاً
كاملاً. لذلك سمي عزازيل، من جهة المهمة التي تُنسب إليه.
لم تُذكر كلمة "عزازيل" في الكتاب المقدس إلا في هذه المناسبة
وحدها، وهي حمل خطايا الناس وعزلها عنهم في البرية في أرض
مقفرة، ولعل هذا ما يقصده الرب في كلامه عن مغفرة خطايا
التائب بقوله:

"كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لَا تُذَكَّرُ عَلَيْهِ" (حز ١٨: ٢٢). "أَصْفَحَ عَنْ
إِثْمِهِمْ وَلَا أَذْكُرُ خَطِيئَتَهُمْ بَعْدُ" (أر ٣١: ٣٤).

هذه الخطايا التي عزلت عنا، لم يعد الرب يذكرها لنا، لأنها قد غفرت. لقد بعدت عنا بعيداً، كبعد المشرق عن المغرب. صورتها أمامنا: ذلك الحيوان الذي حملها عنا إلى أرض مقفرة. وما عدنا نسمع عنه ولا عنها. هذه الخطايا التي عزلت عنا، ما عادت تُحسَب في حساب خطايانا.

وهكذا قيل عنها في المزمور "طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيئَتُهُ، طُوبَى لِرَجُلٍ لَا يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيئَةً" (مز ٣٢: ٢، ١). وقد اقتبس بولس الرسول هذه العبارة من المزمور في (رو ٤: ٨، ٧)، وقال عن عمل الفداء الذي قام به السيد المسيح له المجد "إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (٢كو ٥: ١٩).

ولماذا لا يحاسبهم على خطاياهم؟ ذلك لأنها قد عزلت عنهم، ما عادت تظهر. اختفت مثل تيس عزازيل في البرية في أرض مقفرة. إذن ملخص الذي حدث يوم الكفارة هو الآتي:

١- الخلاص يحتاج إلى الدم، لذلك سَفَكَ دم ذبيحة الخطية، فأخذ العدل الإلهي حقه. ولذلك قيل "قُرْعَةً لِلرَّبِّ" (لا ١٦: ٨).

٢- خطايا الناس وُضعت على رأس التيس الآخر، إذ أقر بها هارون رئيس الكهنة، وهو واضع يديه على التيس الحي، إشارة إلى حمله لجميع خطايا الناس وذنوبهم.

٣- كل هذه الخطايا عُرِلت عنهم، وبعدت عنهم بعيداً، وما عادت تُحسب عليهم. وهذا العزل أُطلق عليه كلمة "عَزَايِلَ" العبرية ومعناها العزل.

* * *

الفصل الثاني

هل هو إبداع أم خداع!

الخداع من البداية

يذكر د. زيدان على لسان المترجم:

ص ١١ ... مع أنني تأكّدتُ بعد بحوث مطوّلة من صحة كُل الشخصيات الكنسية، ودقة كل الوقائع التاريخية التي أوردتها في مخطوطته البديعة هذه.

وإمعاناً في التضليل يقول على لسان المترجم:

ص ١٢ ثم ألحقتُ بالرواية بعض الصور المرتبطة بأحداثها

بدأ د. يوسف زيدان روايته بخدعة أطلقوا عليها حيلة فنية وإبداع. كان من الممكن اعتبار الأمر كذلك لو كانت مجرد رواية أدبية لم تتعرض لكنيسة مجيدة ولدين سماوي شوّه د. يوسف صورته وجردّه من كل ما هو إلهي، وزيف حقائق تاريخية راسخة على مدى ستة عشر قرناً من الزمان. وقد تجاهل تماماً مشاعر الأقباط المسيحيين الذين نشأ وعاش بينهم كمواطنين وأخوة، أبناء وطن واحد تربطهم روابط متينة لا تقوى عزازيله على زعزعتها.

حاول إيهام القارئ بأن كل ما ذكره في الرواية هو صدق، وقد نجح في ذلك إلى حد أنه أربك قراءه، فاعتقد الكثيرون منهم أن كل ما جاء في الرواية قد حدث بالفعل، وهنا تكمن الخطورة. والأمر المؤسف جداً أن يقوم رئيس قسم المخطوطات بمكتبة الإسكندرية ذات التاريخ العريق في كل العالم، بتزييف مخطوطة نسخها من خياله المملوء بالعداء ضد كل ما هو ديني، وبالتحديد الديانة المسيحية وبالتخصيص كنيسة مصر في عاصمتها التاريخية الإسكندرية.

محاكاته لدان براون مؤلف رواية شفرة دافنشي

■ استوحى "د. زيدان" فكرة روايته من رواية شفرة دافنشي؛ فنهج نفس نهج مؤلفها "دان براون" وخلط الحقيقة بالخيال حتى إنك لو لم تكن لك دراية بالتاريخ لصدقت تماماً كل ما جاء فيها. ذلك لأنه بدأ مثل "دان براون" روايته مباشرة بما أسماه "مقدمة المترجم" فقال:

يضم هذا الكتاب الذي أوصيتُ أن يُنشر بعد وفاتي، ترجمة أمينة قدر المستطاع لمجموعة اللغائف (الرقوق) التي اكتُشفت قبل عشر سنوات بالخرائب الأثرية الحافلة، الواقعة إلى جهة الشمال الغربي من مدينة حلب السورية.

وبذلك أوهم القارئ بأن الرواية التي بين يديه هي فعلاً مجرد ترجمة لبعض الرقوق المخطوطة. هذا هو ما أقرّه أولئك الأدباء

الذين امتدحوا الرواية بل وغالبية القراء. وكان من المفروض احتراماً لعقلية قرائه أن يوضح من البداية أنها رواية خيالية وليست مجرد ترجمة لمخطوطة. وذهب في خداعه لأبعد من هذا فجعل كل أبطال روايته شخصيات تاريخية حقيقية ماعدا شخصية واحدة وهو بطلها الأول. قال إنه لم يجد لها سجلاً في تاريخ الكنيسة، ولم يؤكد عدم وجوده. ثم عاد بالتاريخ إلى الوراء ستة عشر قرناً وراح يعيد صياغته مرة أخرى كما أوحى له نفسه التي - كما يتضح من الرواية - ليست في صلح مع الله.

■ بل ومثل ما فعل دان براون أيضاً استشهد بصور حقيقية مثلاً:
لبقايا منزل هيبا في بلاده الأولى، وصورة لشخص قال إنها قد تكون صورة السيد الصقلي، وصورة أخرى زعم إنها ما بقي من أرضية منزل التاجر الصقلي! وهو في ذلك يستخف بعقلية قرائه بصورة تدعو إلى الخجل. وزاد على ذلك إنه وضع أيضاً صورة لبقايا المسرح، حيث استمع فيه هيبا لهياتيا. ثم إمعاناً منه في خداع القارئ، وضع صورة كتب تحتها الخرائب الأثرية الواقعة شمال غرب حلب (حيث وُجدت الرقوق) أي المكان الذي وُجدت فيه المخطوطة المزعومة. ووضع أيضاً صورة للدير السماوي المذكور في الرواية، وصورة أخرى لأطلال الدير كما تبدو اليوم.

وسنورد هنا عزيزي القارئ بعض أرقام الصفحات وأسماء الأماكن التي استخدمها دان براون ووضع فيها صوراً لتضليل

القرّاء واقناعهم بأن ما جاء في روايته هو محض الحقيقة، لتدرك إلى أي مدى نهج "زيدان" نهج "دان"! فهل اسمه مجرد صدفة "زي دان"، يا للعجب فابتهتي أيتها السموات واقشعري أيتها الأرض! في الطبعة الخاصة المصورة التي أصدرها دان براون:

Brown, D. *The Da Vinci Code: Special Illustrated Edition*. New York: Broadway Books, 2004.

على ص ٢١ في هذه الطبعة: يذكر هرم متحف اللوفر الزجاجي ويضع صورة لذلك الهرم الموجود فعلاً، لكي يوهم القارئ أن كل ما سوف يقوله عن هذا الهرم هو حقائق.

على الصفحات ٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٩ من نفس الطبعة، وضع دان براون صوراً فوتوغرافية لـ Rosslyn Chapel في سكوتلندا، وهو مكان هام بالنسبة لأحداث الرواية.

على ص ٤٣٤ من نفس الطبعة: يقول براون إن هناك نجمة داود  ضخمة محفورة في أرضية الكنيسة، وهذا غير صحيح. وهو يحاول باستخدام عدة صور أن يقنع القارئ بأكذوبته، ولكن لا توجد صورة للنجمة نفسها لأنه لا توجد نجمة في الحقيقة.

مرة أخرى على الصفحات ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٥: يقدم صوراً للهرم الزجاجي المقلوب والموجود فعلاً في متحف اللوفر بفرنسا. مدّعياً أن مريم المجدلية مدفونة في هذا المكان. وهكذا هو يخلط الحقيقة بالخيال؛ الهرم موجود فعلاً لكن مريم المجدلية ليست مدفونة هناك كما ادّعى.

وأيضاً على ص ٥٣ صورة Sketch of Leonardo Da Vinci
سكيتش لليوناردو دافنشي

ص ٢٢٧ صورة Chateau Villette قصر فيليت

ص ٣٤٨ صورة The Temple Church كنيسة المعبد

ص ٣٩٦ صورة Westminster Abbey كاتدرائية ويستمينيستر

وهذه كلها أمور حقيقية وموجودة بالفعل وتدور حولها أحداث الرواية. يخلط براون بين ما هو حقيقي وما هو خيالي ويقنع القارئ بصدق ما يقوله بواسطة هذه الصور، وهذا ما فعله د. زيدان أيضاً.

■ من أوجه التشابه أيضاً بين شفرة دافنشي وعزازيل، تمجيد

الزنى: يحكي دان براون عن زنى أمين متحف اللوفر في فرنسا "جاك سونيير" -وهو جدّ "صوفي" بطلة الرواية- مع امرأة عارية ليست زوجته فوق المذبح في معبد أسفل منزله في باريس، وفوجئت "صوفي" بجدّها مع جماعة من العابدين لفينوس آلهة الجمال (عند الإغريق والرومان، وهي أيضاً الإلهة إفروديت)، وهم يقيمون شعائر دينية تمجد الزنى فوق المذبح، لأن الاتحاد بالآلهة في نظر "دان براون" هو عن طريق الاتحاد بالمرأة في علاقة الزنى.

ويذكر د. زيدان على لسان الراهب المزعوم عن أوكتافيا التي أخطأ معها:

ص ١٢٧ هيبيا: "فغمرني ضياؤها أول مرة". بالإضافة لتكريس عددًا كبيرًا من صفحات روايته لوصف الزنا والعلاقات الخاطئة، من ص ٧٤ إلى ١٢٥، ومن ص ٢٨٢ إلى ص ٣٢٥.

■ وهناك تشابه آخر هو تأليه المرأة، ففي دافنشي كود مجّد براون الإلهة فينوس، وفي عزازيل يمجّد د. زيدان هيباتيا. ونورد هنا اقتباسًا من رواية دافنشي كود، باللغة الانجليزية التي كُتبت بها والترجمة العربية له، ثم نورد أيضًا مقولة من عزازيل؛ ليتضح لك عزيزي القارئ إلى أي مدى التشابه بين دان وزيدان:

Page 334-335²⁵²:

The ability of a woman to produce life from her womb made her sacred. A god.

Pages 39-40:

The pentacle...is a pre-Christian symbol that...is representative of the *female* half of all things – a concept religious historians call the ‘sacred feminine’ or the ‘divine goddess.’...“In its most specific interpretation, the pentacle symbolizes Venus – the goddess...

Page 103:

“...the five-pointed star has always been the symbol for beauty and perfection associated with the goddess and the sacred feminine.”

²⁵² Brown, D. *The Da Vinci Code* (New York: Doubleday, 2003).

الترجمة العربية:

ص ٣٤٤، ٣٤٥ :

قدرة المرأة أن تصنع الحياة من رحمها جعلتها مقدسة. إلهة.

ص ٣٩، ٤٠ :

النجمة الخماسية... هي رمز ما قبل مسيحي a pre-Christian symbol وهي... تمثل النصف الأنثوي لكل الأشياء؛ وهو مفهوم يدعو المؤرخون الدينيون "الأنوثة المقدسة" أو "الإلهة (الأنثى) السماوية"... في تفسيرها الأكثر خصوصية، ترمز النجمة الخماسية إلى الإلهة فينوس...

ص ١٠٣ :

النجمة الخماسية هي دائماً رمز للجمال والكمال المرتبطين بالإلهة والأنوثة المقدسة.

أما في عزازيل فيمجد د. زيدان هيباتيا ويتضح ذلك من وصفه لها:
ص ١٣٦ **هيبا:** هيباتيا.. وكأنها كائنٌ سماويٌّ هبط إلى الأرض من الخيال الإلهي، ليبشّر الناس بخبر رباني رحيم. كانت لهيباتيا تلك الهيئة التي تخيلتها دوماً ليسوع المسيح، جامعةً بين الرقة والجلال.. في عينيها زرقّة خفيفة ورُمادية، وفيها شفافية. في جبهتها اتساعٌ ونورٌ سماويٌّ، وفي ثوبها الهفاهف ووقفته، وقارٌ يماثل ما يحفُّ بالآلهة من بهاء. من أي عنصر نوراني خلقت هذه المرأة؟.. كانت تختلف عن بقية الناس! فإن كان الإله خنوم هو الذي ينحت أجسام الناس، فمن أي صلصال طاهر نحتها، وبأي عطر سماويّ سبكها؟.. يا إلهي، إنني أُجَدِّف.

■ وجه شبه آخر هو: الهجوم على مجمع نيقية.

▪ وكل من براون ود. زيدان زعم أن الإمبراطور قسطنطين قد
حرق الأناجيل. ولم يستبق سوى الأناجيل الأربعة الموجودة
حاليًا التي تُثبت ألوهية السيد المسيح.

▪ وأيضًا التشابه في الهجوم على الكنيسة:

هاجم دان براون الكنيسة الكاثوليكية التي نشأ في رحابها بينما
هاجم د. زيدان كنيسة الإسكندرية التي نشأ في جوارها.

ولقد كتب الدكتور صلاح فضل مقالاً في جريدة الأهرام في
عددها الصادر الاثنين ١٣ أبريل ٢٠٠٩م، السنة ١٣٣، العدد
٤٤٦٨٨، على الصفحة ١٢، يمتدح فيه رواية عزازيل. فقال من
ضمن ما قاله:

.... وكم كنت أعجب عندما أرى هذه الحيلة قد انطلت على
بعض قراء "عزازيل" فظنوا أن هناك راهبًا حقيقيًا اسمه
"هيبا" وأن هذه الرقائق من المخطوطات التي يقوم عليها
يوسف زيدان في مكتبة الإسكندرية، وساورهم الشك في
مدى صحتها ودرجة مصداقيتها، وهذه شهادة بنجاح الكاتب
في حيلته وإن ترتب عليها افتراض شروط حقيقية لا مجال
لتوقعها من رواية متخيلة، مما ساعد على الالتباس في
قراءة الرواية ومحاسبتها بمنطق التاريخ الموثق والأقوال
المسندة، وقد شارك المؤلف في الإيحاء بهذا الوهم.

وهو هنا يكرر ما قلناه نحن عن خداع د. زيدان للقارئ بإيهامه أن هناك رقوق مخطوطة بالفعل. ويستدل على نجاح الكاتب، بانطلاء الحيلة على القراء. وهو بهذا يتفق معنا في أن الرواية مبنية أصلاً على خدعة يطلقون عليها إبداع فني كما ذكرنا قبلاً، ويُقر بأنه ليس هناك مخطوطة حقيقية، الأمر الذي للأسف، لم يُشير إليه زيدان في روايته وهو في ذلك لم يحترم عقلية قرائه.

وقد وجدنا ما توقعناه، في اعتبار القراء ما ذكره د. زيدان على أنه تاريخٌ حدث بالفعل؛ فقد ذكر د. صلاح فضل في هذا المقال:

.... وضع يوسف إصبعة بمهارة على بؤرة الشعب،

ولوعة الغرور بامتلاك الحقيقة التي أفضت إلى لوثة

التعصب في عقائد العصور السالفة... ولأن يوسف زيدان

قد قفز فجأة بهذه الرواية، التي أنصت فيها إلى وسوسة

شيطان فنه، إلى مصاف المبدعين الإشكاليين، وقبض بعنف

على جذر الحساسية الدينية اللاهبة في زماننا...

إذن هو يعتبر أن كنيسة الإسكندرية ممثلة في الأب البطريرك

البابا كيرلس، مصابة بلوعة الغرور بامتلاك الحقيقة مما أدى بها

إلى لوثة التعصب في عقائد العصور السالفة ويقصد بها الوثنية.

وهو يشير بهذا إلى مقتل هيبياتيا كما وصفه د. زيدان. والعجيب

أنه يناقض نفسه ففي نفس المقال يذكر:

وقد شارك المؤلف في الإيحاء بهذا الوهم، إذ زعم أن كل

ما تضمنته (الرواية) من آراء ووقائع وأحداث يمتلك

مصدقية تاريخية ومستقى من مصادر موثوق بها، فوق
القارئ في شرك الخداع الروائي، ولم يبادر النقد بتوضيح
طبيعة التخيّل الروائي الغالب عليها، وشرع الطيّبون من
رجال الدين في التصديّ لدحض إشاراتّها إلى الهرطقة،
وكأنّها قد أصبحت موضوعاً مثاراً اليوم وليس علامة من
حفريات الماضي القديم المندثر.

ونحن في حيرة؛ كيف وهو يقرر أن لوعة الغرور ولوثة
التعصب هي حقائق تاريخية "وضع يوسف إصبه بمهارة عليها"،
يعود فيقول:

وقد شارك المؤلف في الإيحاء بهذا الوهم، إذ زعم أن كل
ما تضمنته من آراء ووقائع وأحداث يمتلك مصداقية
تاريخية ومستقى من مصادر موثوق بها فوق القارئ في
شرك الخداع الروائي.

وبهذا يوقع الدكتور صلاح القارئ في فخ جديد لم يوقعه فيه كاتب
الرواية نفسه؛ وهو أن كاتب الرواية قال إن الشخصيات التي جاءت
بالرواية هي شخصيات حقيقية، بينما يقول الدكتور صلاح إنها غير
حقيقية!

ويقول الدكتور صلاح أيضاً:

وشرع الطيّبون من رجال الدين في التصديّ لدحض
إشاراتّها إلى الهرطقة، وكأنّها قد أصبحت موضوعاً مثاراً
اليوم.

ونحن نشكره على وصفه رجال الدين "بالطيبين"، ولكن من الواضح أنه يقصد بكلمة الطيبين "السذج". ولماذا السذج، هل هو يعتبر أن اليقظة اللاهوتية لكنيستنا هي نوع من السذاجة؟ نحن ندافع عن إيماننا الذي يتناول عليه د. زيدان ويحاول أن يجردّه من كل ما هو إلهي ويُقدّمه بصورة مشوشة غير حقيقية لا نستطيع أن نقبلها؛ إذ أننا لو سكتنا إزائها فسكوتنا يعني قبولنا لما قاله، وعندئذ نكون كمن يتنكر للمسيحية.

ويقول د. صلاح إن زيدان "قبض بعنف على جذر الحساسية الدينية اللاهبة في زماننا"..
الدينية اللاهبة في زماننا..

فهل يمتدحه على هذه النقطة؟! لم يقتلع الدكتور زيدان جذر الحساسية الدينية اللاهبة، بل بالعكس ألهبها بزيادة واستخدمها كسلاح ذي حدين؛ فهو من ناحية يؤلم ويثير المسيحيين بالمساس بمقدساتهم وبعقائدهم وقياداتهم التي يُجلّونها للغاية، ومن ناحية أخرى يقدم المسيحية والمسيحيين بصورة تكفي كما قلنا سابقاً، لاشمئزاز المسلمين منها، مما يُعمّق الهوة ويمهد الطريق لقيام فتنة طائفية.

نحن نتساءل، كيف وهو رئيس قسم المخطوطات في جامعة الإسكندرية يقوم بتزييف مخطوطة؟ أين مصداقيته، وهل يمكن أن يوثق فيما يقوله بخصوص المخطوطات الموجودة بين يديه بعد خداعه في هذه الرواية؟

ويأخذنا العجب والأسى في آنٍ واحد؛ ونتساءل لماذا يهاجم الإسكندرية ويمجد في أنطاكية بهذه الطريقة؟ هل يصح أن يُشَوَّه تاريخ مصر بهذه الصورة المخزية، وهو يحمل الجنسية المصرية؟! لماذا يُشَوَّه أحد قيادات مكتبة الإسكندرية الحاليون صورة كنيسة الإسكندرية ويمجد في أنطاكية؟ نحن نمجد أنطاكية المعاصرة ولكننا نرفض عقائد أنطاكية التي رفضتها الكنيسة الجامعة وكنيسة أنطاكية الشقيقة. هو يمجد أنطاكية المرفوضة وليس أنطاكية المُشَرَّفَة، بسبب حقه على المسيحية.

* * *

الفصل الثالث

سر المطران المسيحي الأرثوذكسي المُعجب بشغف بالرواية الهدّامة للمسيحية الأرثوذكسية

ربما تتعجب عزيزي القارئ كيف أن مطراناً سريانياً أرثوذكسياً من الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية الشقيقة التي نعتر بها كثيراً وتربطنا بها روابط محبة قوية وعميقة (ونذكر بطيريكها في كل صلوات الآباء في كنيستنا، وهم يذكرون بابا كنيستنا في كل صلوات الآباء في كنيستهم)، هذا المطران يُبدي إعجابه الشديد بهذه الرواية المملوءة أغلاطاً وافتراءات على آباء الكنيسة الجامعة بل وتزييفاً للتاريخ الكنسي المجيد! وكيف قَبِلَ ما جاء في الرواية من تشكيك في حقيقة التجسد والصلب، وكثير من الأخطاء اللاهوتية الأخرى التي تناولناها بالتفصيل في أجزاء سابقة من الكتاب. وهو في هذا لا يمثّل إلّا نفسه فقط؛ فمن البين أن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة لا يمكن أن توافق على ما جاء بالرواية من تزييف للتاريخ وتشويه للمسيحية.

ونحن نتعجب كيف وهو راهب يقرأ الأجزاء اللاأخلاقية فيها والتي تستغرق واحد وخمسين صفحة في وصف العلاقة الخاطئة للراهب المزعوم مع أوكتافيا وصفاً بطيئاً، وثلاث وأربعين صفحة

في وصف علاقة نفس الراهب المزعوم الخاطئة مع مرتا بنفس الطريقة، مما يندى له الجبين حتى أن الذين قرأوا هذين الجزأين من الرواية علّقوا بقولهم: "استفاض في شرحه للأوضاع الجنسية وكأنه يعطي درسًا للعشيقات كيف يمارسن الجنس مع عشاقهن". (وقد عزفتُ أنا شخصيًا عن قراءة الأجزاء التي تصف علاقاته الخاطئة، إذ لا يصح للرهبان قراءة مثل هذه الأمور اللاأخلاقية، ولكن عرفت ذلك من الذين قرأوها قبل أن يصلني الكتاب).

ثم بعد كل ذلك يصفها بالآتي، وذلك في الندوة الأولى التي أُقيمت في حلب في جمعية العاديات (الأثريات) في ٢٩/٤/٢٠٠٨:

قرأت الرواية بشغف رغم كثرة مشاغلي وأسفاري، لكنني لم أستطع الكف عن قراءة هذا النص الروائي الممتع، وبخصوص العنوان فإن د. يوسف زيدان قدم لنا تعريفًا به من خلال الحديث الشريف الذي بدأت به الرواية، فعزازيل هو الشيطان المحرك للأحداث والمبرر للشرور لأن كل عمل فيه خطية يكون عزازيل وراءه، وفي الرواية كثير من التاريخ، والذي لا يعرف تاريخ المسيحية لن يعرف مراد د. يوسف زيدان من الرواية، بل أعتقد أنه أراد بالرواية أن ننظر بعناية في التاريخ المسيحي وأن نعطي معرفة دقيقة بالصراع الكنسي بين مدرستي أنطاكية والإسكندرية، فهي رواية لاهوتية بحثة ترتبط بحقائق التاريخ وتخرق الخطوط الحمراء وتخرق جدران الأديرة، فتقدم حياة الرهبان ودور عزازيل في الرهبنة. والرواية

تقدم لغة على قدر من الاعجاز البياني، خاصة وإنها تربط بين اللغتين السريانية والعربية لتوجه الأفكار بقوة إلى أهمية التراث والمخطوطات وإلى التاريخ الذي يسبق الإسلام، لأن د. يوسف زيدان يرى أن انتماءه العميق لهذه الأمة يعطيه الحق في النظر في تراثها الإسلامي والمسيحي، فالتاريخ المسيحي ليس ملكاً للمسيحيين وحدهم، ومع ذلك احتاط د. زيدان فجعل رؤيته تحت عنوان رواية فقال الكثير والكثير على اعتبار أنه محض رواية.

يقول نيافة المطران:

"يرى د. يوسف زيدان أن انتماءه العميق لهذه الأمة يعطيه الحق في النظر في تراثها الإسلامي والمسيحي".
لكن أترأه يعطيه الحق في تزيفه وتشويهه أيضاً كما فعل؟!
يقول نيافة المطران أيضاً:

"فهي رواية لاهوتية بحتة ترتبط بحقائق التاريخ وتخرق الخطوط الحمراء وتخرق جدران الأديرة".

وبهذا هو يؤكد بل ويعتبر أن كل ما جاء في الرواية من أحداث تاريخية هو صحيح قد حدث فعلاً! ونحن قد عرضنا ما جاء في الرواية من أحداث وأوضحنا مدى مصداقية حدوثها من عدمه.

اعتبر نيافة المطران أن الرواية رواية لاهوتية بحتة، على الرغم من أنها تقدم حقائق إيمانية مغلوبة تماماً كما رأينا. بل وتُقَوِّض المسيحية من أهم حقيقة فيها وهي أن السيد المسيح هو ابن الله، الأمر الذي من لا يؤمن به لا يُعَدَّ مسيحياً مهما كان اسمه

أو شكله أو وظيفته. وقد كتب القديس يوحنا الرسول في خاتمة إنجيله:

"وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ" (يو ٢٠ : ٣١).

وورد في الأناجيل وأسفار العهد الجديد أيضاً:
"الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلِّلُكَ فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" (لو ١ : ٣٥).

"الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُدَانُ وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ" ... "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمُوتُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ" (يو ٣ : ١٨، ٣٦).
"الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يو ٥ : ٢٥).

"وَهَذِهِ هِيَ وَصِيَّتُهُ: أَنْ نُؤْمِنَ بِاسْمِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا كَمَا أَعْطَانَا وَصِيَّةً" (١ يو ٣ : ٢٣).

والعجب العجيب هو أن نيافة المطران لم يذكر ولم ينوّه أبدًا إلى وجود ولو حتى بعض التحوير أو التغيير في الحقائق التاريخية. ولم يُشير لا من قريب ولا من بعيد إلى الأخطاء اللاهوتية الموجودة بالرواية، بل على العكس فهو النصير الأول والمؤيد الأكبر للرواية، وقد مدحها بأحلى الكلمات، وكأنه يؤكد ويقر بكل ما فيها من إيمان وعقيدة لا تتفق مع المسيحية الأرثوذكسية. مما يدعو إلى العجب والتساؤل!.

ولكنه على غير قصد منه قد أكد أن المؤلف قد تجاوز حدوده عندما قال إن الرواية "تخترق الحدود الحمراء".
وأضاف نيافة المطران: "فالتاريخ المسيحي ليس ملكاً للمسيحيين وحدهم" فهل يعني ذلك أن يعبث د. زيدان بالتاريخ المسيحي ويعيد صياغته حسب هواه؟!

"ومع ذلك احتاط د. زيدان فجعل رؤيته تحت عنوان رواية فقال الكثير والكثير على اعتبار أنه محض رواية"، ماذا يعني نيافة المطران بهذا الكلام؟ هل هو على غير قصد منه قد كشف أن صديقه وضع ما يدور في فكره من تيه وتشوش وحقد على الديانة المسيحية، في قالب روائي؟.

وقد نشر محمد الحمامصي في الجريدة الالكترونية "إيلاف" تفاصيل تلك الندوة الأولى، واختار عنواناً لمقالته [مقولة للمطران في الندوة وهي] "عزازيل رواية لاهوتية بحثة ترتبط بحقائق التاريخ". وقد ذكرنا هنا ما قاله نيافة المطران بالحرف الواحد كما جاء في هذه الجريدة الالكترونية في ٢٦/٧/٢٠٠٨.

زين د. زيدان الغلاف الخلفي ابتداءً من الطبعة الخامسة لروايته الهدامة بهذه الكلمات التي مدحه بها نيافة المطران:

"يوسف زيدان هو أول روائي مسلم، يكتب عن اللاهوت المسيحي بشكل روائي عميق. وهو أول مسلم، يحاول أن يعطي حلولاً لمشكلات كنسية كبرى.. إن د. يوسف زيدان

اقتحم حياة الأديرة، ورسم بريشة راهب أحداثاً كنسية حدثت بالفعل، وكان لها أثر عظيم في تاريخ الكنيسة القبطية".

يرى نيافة المطران أن د. زيدان قد "أعطى حلولاً لمشكلات كنسية كبرى". ما هي هذه المشكلات وما هي الحلول التي أعطاها لها د. زيدان، في رأي نيافة المطران؟!

ويؤكد أن ما ذكره الراهب هي "أحداثاً كنسية قد حدثت بالفعل"!
وقد رأينا ونحن نمر على هذه الأحداث عبر هذا الكتاب وبالوثائق العلمية والمراجع العالمية، كيف أن معظم ما ذكره إما أن يكون من نسج خياله، أو أن تكون أحداثاً قد حدثت بالفعل ولكن حوَّرها وحرَّفها وطوَّعها لتخدم أهدافه من الكتابة. فكيف يدَّعي نيافة المطران أنها أحداثٌ كنسية قد حدثت بالفعل!

إلى هذه الدرجة المذهلة يُروَّج نيافة المطران لهذه الرواية، ونحن نتساءل لماذا؟ ولحساب مَنْ تزييف التاريخ والتأكيد على عقيدة فاسدة، جاهد آباؤنا حتى الدم لكي يحفظوها بلا تزييف أو تشويه، واستهانوا بحياتهم وقدموها رخيصة في سبيل ذلك؟

كتب محمد الحمامصي أيضاً في ميدل إيست أونلاين بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٦ تحت عنوان "حلب تقيم ندوتها الثانية عن رواية عزازيل للدكتور زيدان":

في بداية الندوة أكَّد نيافة المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم (مطران حلب وتوابعها للسريان الأرثوذكس) إنه

قرأ الرواية قبل صدورها، وأبدى إعجابه الشديد بها كعمل فني من طراز رفيع.. وأن د. يوسف زيدان كتب بريشة راهب يرسم أحداثاً كنسية حدثت بالفعل، وكان لها أثر عظيم في تاريخ الكنيسة القبطية. فالرواية مزيج من البحث في اللاهوت والتاريخ. ومن خلال شخصية الراهب (هييا) يمكن أن نلمس تقارباً روحياً وفكرياً بين المؤلف والأسقف نسطور المكروه في الأوساط المسيحية. وفي رأي نيافة المطران غريغوريوس يوحنا أن أكثر ما أزعج المسيحيين في مصر هو أن المؤلف تعرّف إلى أسرار الأديرة واخترق أسوارها.

وذلك يعني أن نيافة المطران يتفق تماماً مع المؤلف في ما ذكره بخصوص الأديرة والرهبان، أي أنه عرف الحقائق المختفية. والعجب كل العجب أن يتصور نيافة المطران أن أكثر ما يزعج المسيحيين في مصر بخصوص هذه الرواية هو "أسرار" الأديرة التي يدّعي أن المؤلف قد عرفها، وهل زنى الراهب هييا في خيال الدكتور يوسف زيدان بصورة هابطة جداً هو أسرار الأديرة التي يحيا فيها رهبان قديسون؟! ومن جانب آخر فقد تغافل نيافة المطران الحلبي تماماً عن كل الأخطاء التاريخية والتزيف في ديانتنا وعقيدتنا المسيحية الأرثوذكسية والتشكيك الواضح والمباشر في حقائق الدين المسيحي مثل التجسد والفداء كما أوضحنا سابقاً.

ومما يؤسف له أيضاً أن هناك إحياء في كلام المطران عن أمور سيئة تحدث في داخل الأديرة مما يسئ إلى سمعة الرهبنة القبطية. وعلى الموقع الإلكتروني لمطرانية السريان بحلب في ٢١/٣/٢٠٠٩ نُشر خبر الندوة النقدية الثانية لرواية "عزازيل" التي أقامتها مديرية الثقافة بالتعاون مع جمعية العاديات بحلب ونذكر مما جاء فيه:

نشرت جريدة المشاهير في ٢٩/١٠/٢٠٠٨ الصفحة ٨ مقالاً بعنوان: رواية عزازيل في ندوة نقدية في مديرية الثقافة جاء فيه:... إضافة إلى الجانب اللاهوتي العميق الذي وصفه نيافة المطران يوحنا ابراهيم بأنه أمر نادر الحدوث في الروايات وهي أيضاً جنحت من رواية إلى بحث جمع بين حدث لاهوتي وبحث تاريخي.

ونتعجب أن نيافة المطران قد اعتبر الرواية بحث جمع بين حدث لاهوتي وبحث تاريخي، في حين أن كاتب الرواية نفسه يحاول أن يستتر خلف ما أسماه الابداع الروائي.

ونعود الآن للسؤال ما هو السر وراء الموقف الغريب الذي يتخذه نيافة المطران؟ وكما يقولون إذا عُرف السبب بطل العجب!.

حضر نيافة المطران يوحنا ابراهيم اجتماعات الحوار السرياني الثالث الذي نظمته ودعت إليه منظمة البرواورينتي Pro Oriente في واشنطن بأمريكا في ولاية إلينوي في الفترة ما بين ٨-١١ يوليو عام ١٩٩٧. وقدم ورقة أو بحثاً دافع فيه عن نسطور وهاجم

آباء الكنيسة سواء السريانية أو القبطية، مثل القديس ساويرس بطريرك أنطاكية (٥١٢ - ٥٣٨م) والقديس كيرلس الأول بطريرك الإسكندرية (٤١٢ - ٤٤٤م)، والقديس رابولا أسقف الرُّها (إديسا) (٤١١ - ٤٣٥م). ولكن منعت الرئاسات الكنسية للكنيستين بإجتماعهما معاً من نشرها، فاعتذر شفويّاً عن ما جاء بها، ووعد بعدم نشرها، وقَدَّمها لي شخصيّاً لكي أُعَدِّلها وأُحذف منها كل هجوم على الآباء. وقد قمت بذلك فعلاً، ولا نعلم إن كان قد نشرها بعد التعديل أم لا.

ويبدو إنه لم يجد فرصة أن ينشرها لذلك استتر وراء الكاتب المسلم وشجعه أن ينشر ما عجز هو عن نشره. والدليل على ذلك أنه اعترف بنفسه أنه اطلع على الرواية قبل صدورها بل كان من أوائل الذين قرأوها. فعلى ما يظهر أنه أمدّ المؤلف بالمادة المطلوبة ثم قام بمراجعة الرواية في النهاية.

وقد سبق للمطران أن حاول نشر المعتقدات النسطورية بأن قام بترجمة إصدارات مؤسسة البرواورينتي في الحوار مع النساطرة وفيها أوراق قدَّمها النساطرة الأشوريون ومن يؤيدهم. ووصلت هذه الإصدارات المترجمة، والتي طبعها باللغة العربية في الشرق الأوسط، إلى معرض الكتاب الدولي بمصر.

ومما يدل على التحالف بين نيافة المطران والدكتور يوسف زيدان، أن الدكتور يوسف زيدان قد أكّد في روايته أن كنيسة الإسكندرية قد اضطهدت كنيسة أنطاكية في صراع البابا كيرلس

الإسكندري ضد البطريك نسطور الذي كان قسًا في أنطاكية،
وَدَّعى أنه يدافع عن اللاهوت الأنطاكي ضد الإسكندري، مع إن
أنطاكية الأرثوذكسية تحرم نسطور وعقيدته بكل قوة.

وفي إطار التحالف المذكور بين د. زيدان ونيافة المطران، نجد
نيافة المطران يقول للأسف كما أوردنا على ص ٣١٤ في الندوة
الأولى حول كتاب عزازيل في جمعية العاديات في حلب "اعتقد أنه
[أي المؤلف] أراد بالرواية أن ننظر بعناية في التاريخ المسيحي
وأن نعطي معرفة دقيقة بالصراع الكنسي بين مدرستي أنطاكية
والإسكندرية".

إنني أشفق على شعب كنيستينا الشقيقتين من هذا التضليل الذي
يحاول أن يُعيد الصراع المفتعل بين مدرستيهما.

كان نسطور أنطاكي المنشأ ولكنه لم يعبر عن عقيدة الكنيسة
الأنطاكية الشقيقة. وكان آريوس إسكندري المنشأ ولكنه لم يعبر عن
كنيسة الإسكندرية، بل كان مجمع كنيسة الإسكندرية هو أول مجمع
مقدس يحرم آريوس في العالم سنة ٣١٨م بحضور مائة أسقف،
ونفس الأمر حدث مع أوريجانوس الذي تتلمذ آريوس على كتاباته
وكان أوريجانوس هو مدير مدرسة الإسكندرية، وبادرت
الإسكندرية بحرمه هو وتعاليمه.

الفصل الرابع

خطورة إخضاع حقائق الإيمان للعقل

وهبنا الله العقل عطية منه وميّزنا به عن سائر المخلوقات. والعقل هو من ملامح الصورة الإلهية في الإنسان. وكان من المفترض أن يستخدم الإنسان عقله في أن يدرك مقدار محبة الله له وعنايته به ورغبته في خلاص الإنسان من عقوبة الموت والانفصال الأبدي عنه. وأيضًا كان من المفترض أن يستخدم الإنسان عقله في أن يرتقي بحياته إلى الأسمى رافضًا الشر متمسكًا بالخير. ولكن يا للأسف فقد انحدر الإنسان بعقله وبحرية إرادته في الاتجاه المعاكس؛ فاستخدمه في اختراع الشرور ومقاومة الله. بل وصل الأمر إلى إخضاع الحقائق الإلهية إلى عقله؛ فأصبح لا يؤمن إلا بما يقبله عقله فقط دون الاستعانة بإرشاد الروح القدس الذي يُلهم العقل بما هو فوق العقل.

وهذا ما سوف تستنتجه من الفقرات التالية.

ص ١٨٤ هيبا: سوف تبقى يا سيدي تناقضات، لن يستطيع العقل حلّها.
نسطور: قد لا يستطيع ذلك عقلك أنت، ثم يأتي من بعدك من يقدر على ذلك.

هيبا: أو تسقط التناقضات من تلقاء نفسها، وتنسى، فلا تشغل أذهان الناس!

ص ٢٤٦ نسطور: يا هيبا، إن الخطر أبعد وأهم من لفظة ثيوتوكوس*
التي يتسلَّى الجَهْلَةُ والعَوَامُّ بترديدها. فالأمر يتعلَّق بحقيقة الإيمان،
وبقدرة هذا الدين الحق على مخاطبة قلب الإنسان وعقله، في كل زمان
ومكان. إن الوثنيين يهزأون من إسرافنا في الخرافة، وسيأتي من بعد
هؤلاء المستهزئين بنا مستهزئون منا، يسخرون من تلك الأوهام،
ويحاولون طرحها، فيطرحون الديانة بجملتها.. إن البشارة والمعجزة
الإلهية يا هيبا، سرٌّ نادرٌ، لو أُفِرطَ فيه سيفقد معناه، ونفقد نحن الإيمان،
ونضادّ العقل!

ص ٣٢٩ هيبا عن الفريسي: وراح يقول وقد صار صوته متهدِّجاً،
على غير العادة: الديانة دَيْنٌ فادِّحٌ، لا يمكن لأحدٍ أن يوفي به. ديانتنا
تديننا. تدينُ من دان بها، بأكثر مما تدين غير المؤمنين. وتدين أيضاً غير
المؤمنين! الكلُّ مدانٌ، الكلُّ ضالٌّ، والآب السماويُّ أقنومٌ مفارقٌ محتجبٌ

خلف هذه الاعتقادات كلها. وهو لا يظهر لنا بتمامه، لأننا لا نقدر على
الإحاطة بظهوره التام. هو فوق لفظ الأقنوم، وفوق كلمة الطبيعة، وفوق
إدراكنا. هو بعيدٌ عنا، ونحن بعيدون عن بعضنا، لأننا جميعاً مرهونون
بأوهامنا. الأقنوم ذاته وهمٌ غامضٌ، اخترعناه وصدّقناه واختلفنا فيه،
ولسوف نحارب بعضنا دوماً من أجله. وقد يأتي يومٌ، يكون فيه لكل
إنسان اعتقاده الخاص المختلف عن اعتقاد غيره، فتمحى الديانة من
أساسها وتزولُ الشريعة.. ويومها.. هل سيكون.. سأقومُ إلى صومعتي!

* كلمة يونانية Θεοτοκος تُطلق على العذراء مريم وتعني "والدة الإله" وقد رفضها نسطور في تعليمه بكل إصرار.

هذه هي النتيجة المرة التي وصل إليها هيبا ومن يشاركه فكره، إنه لا ديانة ولا شريعة، بالإضافة إلى ما سوف أذكره في موضعه فيما يخص رغبته في تطبيق شريعة الحمام على البشر!

انظر أيضًا مقدمة شرحنا لعقيدة الثالوث، الباب الثاني، الفصل الثاني، ردًا على هذا الاتجاه العقلاني المدمر للإيمان.

جزء فلسفي يشجع على الإلحاد

ص ١٥ هيبا: وأن بقية الأشياء مثل بقية الأشياء، لا يمتاز منها إلا ما نميزه نحن بما نكسوه به من وهم وظن واعتقاد.

ولعل البدايات كما كان أستاذي القديم سوريانوس يقول، ما هي إلا محض أوهام نعتقد بها. فالبدائية والنهاية، إنما تكونان فقط في الخط المستقيم. ولا خطوط مستقيمة إلا في أوهامنا، أو في الوريقات التي نسطر فيها ما نتوهمه. أما في الحياة وفي الكون كله، فكل شيء دائري يعود إلى ما منه بدأ، ويتداخل مع ما به اتصل. فليس ثمة بداية ولا نهاية على الحقيقة، وما ثمَّ إلا التوالي الذي لا ينقطع، فلا ينقطع في الكون الاتصال، ولا ينقسم التداخل، ولا يكف التفريع، ولا الملء ولا التفريع.. الأمر الواحد يتوالى اتصاله، فتتسع دائرته لتتداخل مع الأمر الآخر، وتتفرع عنهما دائرة جديدة تتداخل بدورها مع بقية الدوائر. فتمتليء الحياة، بأن تكتمل دائرتها، فتفرغ عند انتهائنا بالموت، لنعود إلي ما منه ابتدأنا..

ص ٢٣٠ هيبا: "أحبُّ هذه اللحظات الواصلة بين انتباهات الصحو وخلسات النوم. أظنُّ أن الله قرر أن يخلق العالم، في لحظة كهذه. الله لا ينام، هو فقط يتعب ويستريح".

"تُرى، هل يحلم الربُّ؟ مَنْ يدري، فقد يكون هذا الكون بكل ما فيه، هو حلمٌ واحدٌ من أحلامه".

ص ٣٤٠ هيبا: أبحرتُ إلي عوالم بعيدة، وراء هذا العلم. غُصتُ في أزمنةٍ سحيقةٍ لم تعرف الشقاء البشري، أزمنةٍ أسبق مما يحكيه سفر التكوين عن بدء الخليقة.. مَنْ الذي كان موجودًا قبل وجود الإنسان على الأرض. الله، الملائكة، الشيطان؟ ماذا كانوا جميعًا يفعلون، قبل وجودنا وإنشغالهم بنا؟

الإجابة عن ما كان الله يفعله قبل الخليقة، تجدها في شرحنا للثالوث: الباب الثاني، الفصل الثاني.

مَنْ الذي كان موجودًا قبل وجود الإنسان على الأرض؟

الأرض خلقها الله لأجل الإنسان.

أما الملائكة فعملهم دائماً هو تسبيح الله. وبالنسبة للشيطان فهو لا يعمل إلا الشر هو وجنوده الأشرار.

وقد ورد في الأسفار المقدسة أن الشيطان عند سقوطه قد طُرح من السماء إلى الأرض (حزقيال ٢٨: ١٦، ١٧):

"بِكثْرَةٍ تِجَارَتِكَ مَلَأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللَّهِ وَأُبِيدُكَ أَيْهَا الْكَرُوبُ الْمُظْلَلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ. قَدْ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ لِبَهْجَتِكَ. أَفْسَدْتَ حِكْمَتَكَ لِأَجْلِ بَهَائِكَ. سَأَطْرَحُكَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَجْعَلُكَ أَمَامَ الْمُلُوكِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْكَ".

ونزل إلى أقسام الأرض السفلى حيث توجد الهاوية في الوقت الحاضر. (رؤيا ١٢: ٩، ١٠، ١٣):

"فَطَرِحَ التَّيْنُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ،
الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ طُرِحَ إِلَى الْأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ
مَلَائِكَتُهُ... الْآنَ صَارَ خَلَاصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ
مَسِيحِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي
عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَارًا أَوَّلِيًّا... وَلَمَّا رَأَى التَّيْنُ أَنَّهُ طُرِحَ إِلَى
الْأَرْضِ، اضْطَهَدَ الْمَرْأَةَ".

"فَقَبَضَ عَلَى التَّيْنِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ،
وَقَبَضَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَطَرَحَهُ فِي الْهَوَايَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ." (رؤ ٢٠:

(٤، ٣)

وإنه كان يتمشى ويتجول في الأرض لمحاربة البشر وحتى
القديسين ومنهم أيوب (انظر أي ١ : ٦، ٧):

"وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتَلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ
الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: مَنْ أَيْنَ جِئْتَ؟
فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ التَّمَشِّي فِيهَا".

* * *

الفصل الخامس

النهاية الأليمة: انتصار عزازيل

تحليل الرواية:

لا تقدم أي فائدة ترتقي بالإنسانية أو تخدمها، على العكس فأخف وصف، بل والوصف الأكثر تأدباً هو أنها رواية تهدم القيم الأخلاقية التي تحمي المجتمع من الانهيار. وتهدم أيضاً مجرد الإيمان بوجود الله أصلاً بصفة عامة، وحقائق الإيمان المسيحي الأرثوذكسي بصفة خاصة.

وهي رواية تعتمد على عنصر التشويق والإثارة، ولكنها لن تنال إعجاب أصحاب الأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية والضمائر اليقظة.

والأسوأ من هذا كله هو أن الرواية تشجع على الإستجابة لنداءات الشيطان، وتعطي إحساساً باستمرار الخطية وكأنها أمر طبيعي وسهل، وتُغفل تماماً نتائجها السيئة وأن نهايتها -إن لم توجد توبة- هي الهلاك الأبدي إلى جوار الدمار الإنساني الإجتماعي، الأمر الذي تغافل عنه تماماً الدكتور زيدان. وأيضاً تغافل عن كون الخطية تُحزن للغاية قلب الله المحب القدوس الذي "بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦). وعلى الرغم من أن د. زيدان قد أقحم نفسه

في عمل يمس الله من قريب؛ فتحدث عن الثالوث والتجسد وطبيعة السيد المسيح، ولكنه غيَّب الله تمامًا عن الرواية. الله عنده هو محتجب في سماواته؛ ليس له عمل إيجابي في خلاص الإنسان. وبالرواية أيضًا انكفاء كثير على الذات؛ هذا الانكفاء من شدته أدى إلى السقوط في الوحل والغوص فيه إلى الأعناق!

• ص ٣٥٠ عزازيل: فأنا حاضرٌ دومًا لرفع الوزر، ودفع الإصر، وتبرئة كل مُدان. أنا الإرادة والمريد والمراد، وأنا خادمُ العباد، ومؤثر العباد إلى مطاردة خيوط أوهامهم.

• ص ٣٦٨، ٣٦٧ هيبا: أمضيتُ يومين بالمكتبة أحاور عزازيل حتى أقنعتَه بأمور، واقنعتني بأمور كنتُ مترددًا فيها.. كان مما أقنعتني به وصادف هوى في نفسي، أن أختلي بصومعتي هذه الأربعين يومًا، أدوّن خلالها ما رأيته في حياتي منذ هروبي من قرية أبي، حتى رحيلي عن هنا، غدًا، للقيام بما اتفقنا عليه. وها هي الأيام الأربعون قد مرّت، وتمّ اليوم تدويني. وما ذكرتُ فيه إلا ما تذكرتُ أو رأيتُ في أعماق ذاتي.. وها هو الرقُّ الأخير، ما يزال معظمه خاليًا من الكتابة. ولسوف أترك هذه المساحة بيضاء، فربما يأتي بعدي مَنْ يملؤها. والآن سأغفو قليلًا، ثم أصحو قبل الفجر، فأضعُ الرقوق في هذا الصندوق، وأواريه التراب تحت الحجارة الكبيرة التي عند بوابة الدير. ولسوف أدفنُ معه خوفي الموروث، وأوهامي القديمة كلها. ثم أرحلُ، مع شروق الشمس، حُرًّا.

• ص ٥١ عزازيل: فربما تأتيك بعد أيام اعتكافك الأربعين، أخبار
نصرة نسطور من بعد هزيمته! وربما سترى مرتاً ثانية في ثوبها
الدمشقي الخلاب، وتأخذها معك يوم رحيلك المنتظر، فتهنأ بها بقية
عمرك، ويهدأ قلبك الملتاع.

من الواضح هنا مادام قد ذكر أنه سيرحل حراً، إن عزازيل قد
أقنعه أن يتحرر من خوفه الذي ورثه كمسيحي، آمن يوماً أن
هناك قيامة للأجساد ودينونة للخطاة، كما أنه قد اختار طريق
الرهبة والبعد عن النساء. وهذا ما سمّاه أوهامه القديمة كلها.

المقولة الأولى تفيد الضياع الذي يعانيه:

• ص ٣٣٩ هيبا: بل أراني أخشى الغوص في باطني، لكي أعرف
حقيقة ذاتي الملتبسة.. كل ما فيّ ملتبس.. عمادي، رهبتي، إيماني،
أشعاري، معارفي الطبية، محبتي لمرتاً.. أنا التباس في التباس!
والالتباس نقيض الإيمان، مثلما إبليس نقيض الله.

• ص ٣٤٢ هيبا: ماذا عساك يا إبليس، يا أيها اللعين، أن توصلني
إليه؟ هل تريد أن تُضلّني عن إيماني بالمسيح؟ أو لم تدرك أنني ما
عدتُ مؤمناً مثلما كنت.. هل تغويني بالمفاسد؟ أو لم تعرف ما جرى
قديماً مع أوكتافيا، وما يجري اليوم مع مرتاً.. أم أنك تريد أن تأخذني
إلى سُبُل الهرطقة؟ وما هو أصلاً الإيمان القويم، الذي تكون الهرطقات
بخلافه؟ لا يصح وجود هرطقات، ما لم تصح الأرثوذكسية القويمة..
وما الأرثوذكسية؟ أهى ما يقررونه في الإسكندرية، أم ما يعتقدونه في
أنطاكية؟ هل هي إيمان الآباء الأولين، الأتقياء المقدسين.. أم هي

الاعتقادات الوثنية التي فتك أهلها بآباء أولين، صاروا مع الأيام أتقياء ومقدسين؟

تماوجت في باطني الأسئلة التي لا إجابة عنها: هل القويم هو إيمان كيرلس، أم إيمان نسطور المسكين الذي سيلحق عما قريب بمن سبقوه من المحرومين: بولس السيمساطي، آريوس المطرود، تيودور المبجل.. كل المهرطقين هنا، كانوا مبجلين هناك! وكل الآباء مطعون عليهم، عند غير أتباعهم. الشيطان يلعب بالجميع، فهل تراه يسعى الآن كي يلعب بي؟ ألا يكفي لعبه مع هؤلاء الذين يستعدون للحرب في أفسوس؟ وتلك النار التي يشعلها في كل الكنائس.

من الواضح أن عزازيل الرواية نجح في إخراج الراهب هيبا من الإيمان المسيحي الأرثوذكسي بقبوله الشك في صحة المسيحية وإيمان الكنيسة الجامعة. وأوصله إلى أن الشيطان يلعب بالآباء وبالهرطقة جميعًا.

• ص ٣٤٥ عزازيل: أنت قلق يا هيبا مما فيك. لأنك تعرف ما سوف يحدث في أفسوس، وتعرف أنك ستفقد مرتنا، مثلما فقدت من قبل ما كان لك: حلم النبوغ في الطب، الأمل في إدراك سر الديانة، الغرام بأوكتافيا، الولع بهيباتيا، الاطمئنان بالغفلة، الإيمان بالخرافات...

• ص ٣٤٥ حوار بين هيبا وعزازيل:

عزازيل : دع الأموات يهناون بموتهم، وخذْ مرتنا وعُدْ إلى بلادك الأولى.

هيبا : اسكت، وعُدْ أنت من حيث جئت.. أيها الوجود الغامض المخايل.

عزازيل : أعدني أنت، فأنت الذي أوجدتني.

هيبا : أنا لم أوجد أحداً.. أنا الآن أحلم....

• ص ٣٤٧ أخذت الراهب هيبا حُمى فغاب عن وعيه ويقول:

غبتُ ثانية، فجاء عزازيل بوجه ناصع، بدا وسط الظلام مضيئاً...

يرى الشيطان وكأنه ملاكاً!

ويصل الانكفاء على الذات إلى ذروته، حتى إلى الغوص في وحل الانحلال من كل الضوابط، عندما يسعى الإنسان وراء تحقيق الذات وإشباع رغباتها بطريقة خاطئة فيفقد اتزانه، مما يؤدي حتماً إلى الانهيار والدمار الشامل. وهنا يستشهد د. زيدان بقول للسيد المسيح ويُطَوِّعَه لِيُخْدَمَ أغراضه الخاصة، ويخرج إلينا باختراع شاذ يُلبسه ثوباً برّاقاً عكس الحقيقة تماماً.

• ص ٢٦٥، ٢٦٦ هيبا: لماذا لا يتعلّم الناسُ من الحمام، العيشَ في

سلام. الحمامُ طيرٌ، وبسيط، وقد قال يسوع المسيح: كونوا بسطاء كالحمام.. الحمامُ مسالمٌ؛ لأنه لا مخالف له، فلينبذ الناس ما بأيديهم من الأسلحة وعتاد الحرب! والحمامُ لا يأكل فوق طاقته ولا يختزن الطعام، فليكيف الناس عن اكتناز القوت وتخزين الثروات.. والحمامُ يعيش حياة المحبة الكاملة، لا تفرّق ذكوره بين أنثى جميلة وأخرى قبيحة، مثلما يفعل الناس.. وإذا بلغ الفرد منه مبلغ الطيران، لم يعد يعرف أباً له ولا أمّاً، وإنما يدخل مع البقية في شركة كاملة لا تعرف أنانية ولا فردانية. فلماذا لا يعيش الناس علي ذاك الحال، ويتناسلون في جماعات مسالمة،

مثلما كان حال الإنسان أول الأمر؟ الكلُّ يعيش في الكل، يحيا في هناة، ثم يموت بغير صخب، مثلما تموت بقية الكائنات. ويختار الرجال من النساء، والنساء من الرجال، ما يناسب الواحد منهم للعيش حيناً في محبة مع الآخر، ثم يتركه إذا شاء، ويأنس لغيره إذا أراد، ويصير نسلهم منسوباً لهم جميعاً.. وتكون النساء كالحمامات، لا يطلبن من الرجال غير الغزل ولحيظات الالتقاء.

ص ٣٣٩ هيبا: وددت لوعدتُ طفلاً في زمن قديم، وكانت لي أمٌ غير التي كانت، وأبٌ آخر يشبه أبي الذي كان، عائلةٌ كبيرة تفتخر بي، كلما قلتُ شعراً جديداً.. وزوجتان تُحبانني، إحداهما مثل أوكتافيا، والأخرى تشبه مرتاً.. أو أكون مثل ذكور الحمام الجبلي، بسيطاً وواضحاً، أحظى لحظةً بمن اقتربت مني، ثم نظير..

وأترك المجال هنا للقارئ العزيز ليتأمل في المقولتين السابقتين بدون تعليق مني.

● ص ٣٤٨ هيبا: وهمس لي عزازيل بأن تلك كانت تلةٌ الدير في الزمن السحيق، من قبل أن يوجد البشر، ومن قبل أن يخلق الله الإنسان.. ثم سألني: هل خلق الله الإنسان، أم العكس؟

- هيبا: ماذا تقصد؟

- عزازيل: يا هيبا، الإنسان في كل عصر يخلق إلهاً له على هواه، فالإله دوماً رؤاه وأحلامه المستحيلة، ومُناه.

- كُف عن هذا الكلام، فأنت تعرف مكانك من الله، فلا تذكره.

- أنا مذکورٌ يا هيبا، مادام هو مذکورٌ!

غلبني الغيابُ، فتركتُ عزازيل يقول ما يريد، وانصرفْتُ عنه.. بعد حين عدتُ إليه، فكان يتكلم منفردًا. أنصتُ، فوجدته يقول بلغةٍ غريبةٍ ما معناه أن الله محتجبٌ في نواتنا، والإنسان عاجز عن الغوص لإدراكه! ولما ظنَّ البعض في الزمن القديم، أنهم رسموا صورة للاله الكامل، ثم أدركوا أن الشر أصيلٌ في العالم وموجودٌ دومًا؛ أوجدوني لتبريره. هكذا قال..

وتعود الرواية لكي توحى بأن الله نفسه هو من صنَّع البشر وكذلك أيضًا الشيطان. وأن الله هو في ذات الإنسان وكذلك الشيطان؛ فما يتصوره الإنسان خيرًا هو الله المحتجب في ذاته والذي يرسمه هو، وما يتصوره شرًا هو الشيطان المحتجب في ذاته، والذي ابتكره وأوجده هو.

أليست هذه الرواية دعوة إلى الإلحاد والوجودية وهدم جميع الأديان مستترة وراء الهجوم على الديانة المسيحية في الإسكندرية؟! نحن نأمل أن لا تتطلي هذه الحيلة على علماء المسلمين في مصر.

* * *

ملحق رقم (١)

الرسالة الثالثة إلى نسطور (الرسالة ١٧) ٢٥٣

١- من كيرلس والمجمع المنعقد في الإسكندرية من إيبارشية مصر، نهدي تحياتنا في الرب، إلى الموقر والمحِب لله جداً الأسقف الشريك نسطور.

حينما قال مخلصنا بوضوح: "من أحب أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني" (مت ١٠: ٣٧)، فماذا سيكون مصيرنا حينما نطلب تقواك منا أن نحبك أكثر من المسيح مخلصنا كلنا؟ من يستطيع أن يساعدنا في يوم الدينونة؟ وأية حجة نخترعها لاختزاننا الصمت طوال هذه المدة أمام التجاديف التي وجهتها ضده؟ فلو أنك آذيت نفسك وحدك في تعليمك بهذه الأفكار الخاصة بك، لقلّ قلقنا. لكنك أعثرت كل الكنيسة، وأدخلت خميرة هرطقة غريبة ودخيلة بين الشعب، ليس فقط في القسطنطينية بل وفي كل العالم. إن كتب عظايتك قد انتشرت. فما هو الشرح الذي يمكننا أن نقدمه عن صمتنا؟ كيف لا يكون ضرورياً أن نتذكر قول المسيح: "لا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً. فإنّي جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها" (مت ١٠: ٣٤-٣٥). حينما يمس الإيمان أذى، فليترك احترام الوالدين المخادع والمبتذل، ولينته

²⁵³ Wickham, *Cyril of Alexandria: Select Letters*, p.12-33.

قانون العاطفة الدافئة نحو الأولاد والأقرباء! وبعد ذلك يكون الموت عند الأتقياء أفضل من الحياة "لكي ينالوا قيامة أفضل" (عب ١١: ٣٥) بحسب المکتوب في الأسفار.

٢- لذلك فمع المجمع المقدس المنعقد في مدينة رومية العظمى برئاسة أخينا والخادم شريكنا في الخدمة المقدس جداً الذي يكرم الله، كليستينوس الأسقف، نحن أيضاً بهذه الرسالة الثالثة نتّهمك الآن، محذرين إياك بالتوقف عن التعاليم الشريرة جداً والمنحرفة جداً التي ترتبها وتعلم بها. وعوضاً عنها اختر وعلم بالإيمان الصحيح المسلم للكنائس من البدء بواسطة الرسل القديسين والبشيرين الذين كانوا معانين وخداماً للكلمة. وإذا كنت، تقواك، لا تفعل هذا، حسب الزمن المحدد والمبين في رسالة السابق الذكر أخينا وشريكنا في الخدمة، المقدس جداً والمكرم لله جداً، كليستينوس، أسقف كنيسة رومية، فاعتبر نفسك بلا وظيفة أو وضع رسمي أو مكانة معنا ضمن كهنة الرب والأساقفة. لا يمكننا أن نتجاهل الكنائس التي اضطربت، والشعب الذي أعثر، والإيمان الصحيح الذي أهمل، والقطعان التي تفرقت بواسطة إداك، وقد كان حرياً بك أن تكون أنت حافظها، لو كنت مثلاً محباً للإيمان الصحيح ومقتفياً أثر تقوى الآباء القديسين. ولكننا نحن جميعاً في شركة مع كل الأتقياء، سواء من الشعب أو من الإكليروس، الذين حرموا من الشركة أو عزلوا بواسطة وقارك بسبب الإيمان. لأن رجالاً لهم رأي قوي لا يجب أن يحطّموا بواسطة إداك لهم على

معارضتهم المستقيمة لك. وقد أشرت إلى هذا الأمر ذاته في خطابك الذي كتبته إلى شريكنا في الأسقفية المقدس جداً أسقف المدينة العظمى رومية. ولكنه لن يكون كافياً لتقواك أن تعترف معنا فقط بقانون الإيمان الذي وضع بالروح القدس بواسطة المجمع المقدس العظيم المجتمع في مدينة نيقية أثناء الأزمنة الحرجة. لأنك لم تفهمه ولم تفسره تفسيراً صحيحاً، بل بالحرى بطريقة منحرفة، حتى وإن كنت تعترف بنص القانون بشفتيك. ولكن عليك أن تلحق ذلك بالكتابة وتعترف بقسم أنك أيضاً تحرم، من ناحية، تعاليمك الممقوتة والكفرية، ومن ناحية أخرى، بأنك سوف تعلم وتتمسك بما نعلم ونعتقد فيه نحن جميع أساقفة الغرب والشرق معلمي وقادة العلمانيين. وإن المجمع المقدس في روما، ونحن جميعاً، متفقون على أن الرسائل المرسلة إلى تقواك من كنيسة الإسكندرية مستقيمة وبلا لوم، ولكننا أضفنا إلى خطابنا هذا الأمور التي يجب أن تتمسك وتعلم بها وأيضاً الأمور التي يجب عليك شجبها.

هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية الذي يتفق عليه كل الأساقفة مستقيمي الرأي في الغرب والشرق:

٣- نؤمن بإله واحد، الآب ضابط الكل خالق كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب أي من نفس جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، له نفس الجوهر مع الآب، الذي به كان كل شيء ما في السماء وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر

ومن أجل خلاصنا، نزل، وتجسد، وتأنس، وتألم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات، وسوف يأتي ليدين الأحياء والأموات، ونؤمن بالروح القدس.

ولكن بالنسبة لمن يقولون: كان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجوداً، أو أنه: لم يكن موجوداً قبل أن يولد، أو أنه: خُلِق من العدم، أو أن ابن الله من طبيعة أو جوهر مختلف، ويقولون إنه عرضة للتبدل أو التغير، فأولئك تحرمهم الكنيسة الجامعة الرسولية. وإذ نتبع -في كل شئ- اعتراف الآباء القديسين، الذي صاغوه بالروح القدس الناطق فيهم، وإذ نتبع ما في أفكارهم من معاني، وكما لو كنا نسير في الطريق الملوكي، فإننا نقول إن: كلمة الله الابن الوحيد، المولود من نفس جوهر الآب، إله حق من إله حق، نور من نور، الذي به كان كل شئ، ما في السماء وما على الأرض، وإذ نزل لأجل خلاصنا، وتنازل إلى إخلاء نفسه (انظر في ٢: ٧-٨)، فإنه تجسد وتأنس، أى أخذ جسداً من العذراء القديسة، وجعله خاصاً به من الرحم، واجتاز في الولادة مثلنا، ووُلد كإنسان من امرأة، دون أن يفقد ما كان عليه، ولكن رغم أنه اتخذ لحماً ودماً فإنه ظل كما كان، الله في الطبيعة والحق، جلياً. فإننا نعلن أيضاً أن الجسد لم يتحول إلى طبيعة اللاهوت، ولا طبيعة كلمة الله الفائقة الوصف، تغيرت إلى طبيعة الجسد. فهو بصورة مطلقة غير قابل للتبدل أو للتغير. ويظل كما هو دائماً حسب الكتب. حتى حينما كان منظوراً، وكان لا يزال طفلاً مقمطاً وفي حضن

العذراء التي ولدته، فإنه كان يملأ كل الخليقة كإله، وكان حاكمها مع أبيه. لأن اللاهوت هو بلا قدر وبلا حجم، ولا يقبل أن يحد.

٤- ولأننا نعترف أن الكلمة اتحد بالجسد أقنومياً، فإننا نعبد ابن ورب واحد يسوع المسيح، دون أن نفصل ولا نميز الإنسان عن الله، كما لو كان الواحد متصل بالآخر بالكرامة والسلطة، لأن هذا هراء ليس أكثر. ولا نعطي لقب "مسيح" على التوازي لكلمة الله على حدة، ولمسيح ثانٍ، المولود من امرأة على حدة، بل نعترف بمسيح واحد فقط، كلمة الله الآب مع جسده الخاص. هو قد مسح كإنسان بيننا رغم أنه يعطي الروح للذين يستحقون أن ينالوه، وليس بكيل، كما يقول البشير المغبوط يوحنا (انظر يو ٣: ٣٤). كما أننا لا نقول إن كلمة الله سكن في المولود من العذراء القديسة، كما في إنسان عادي، لئلا يفهم أن المسيح هو إنسان حامل لله. لأنه رغم أن "الكلمة حل بيننا" (انظر يو ١: ١٤) حقاً وقيل إن في المسيح "يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو ٢: ٩)، فإننا لا نظن إنه إذ صار جسداً أن يقال عن حلوله إنه مثل الحلول في القديسين، ولا نعرف هذا الحلول فيه إنه يتساوى وبنفس الطريقة كالحلول في القديسين. ولكن الكلمة إذ اتحد بالجسد بحسب الطبيعة دون أن يتغير إلى جسد، فإنه حقق حلولاً مثلما يقال عن نفس الإنسان وحلولها في جسدها الخاص.

٥- لذلك فهناك مسيحٌ واحد، ابن ورب، ليس بمعنى أنه إنساناً حقق أو ملك مجرد اتصال مع الله، كإله، بواسطة اتحاد كرامة أو سلطة،

لأن المساواة في الكرامة لا توحد الطبائع، فبطرس ويوحنا يتساويان في الكرامة الواحد مع الآخر، في كونهما رسولين وتلميذين مقدسين، لكن الاثنين ليسا شخصاً واحداً! كما أننا لا نرى أن طريقة الاتصال هي وفقاً للمجاورة لأن هذه لا تكفي لتحقيق الاتحاد الطبيعي، ولا وفقاً لمشاركة اعتبارية مثلما نلتصق نحن بالرب كما هو مكتوب إننا روح واحد معه (انظر ١كو ٦: ١٧)، لكننا نرفض تعبير "الاتصال" لأنه لا يعتبر كافياً للدلالة على الاتحاد. كما أننا لا نتكلم عن كلمة الله الأب كإله أو رب للمسيح، حتى نتحاشى أن نقطع المسيح الواحد إلى اثنين، الابن والرب، فلا نسقط في التجديف الأحمق بجعله إلهه وربه. وكما قلنا سابقاً، فإن كلمة الله قد اتحد بالجسد أقنومياً، فهو إله الكون ورب الجميع الذي يحكم الكل، وليس هو عبد لنفسه ولا سيد لنفسه (انظر يو ١٣: ١٢ - ١٦). وأن يعتقد أحد بهذا ويقول هو أكثر حماقة وهو أيضاً تجديف. وقد قال إن الله أباه (انظر يو ٢٠: ١٧)، رغم أنه هو إله بالطبيعة ومن جوهر أبيه. ومع ذلك نحن ندرك أنه مع كونه إلهاً فإنه قد صار إنساناً أيضاً خاضعاً لله حسب قانون الطبيعة الإنسانية. لكن كيف يصير إلهاً أو سيداً لنفسه؟ لذلك كإنسان، وفيما يختص بما هو لائق لشروط إخلائه لنفسه (انظر في ٢: ٧-٨)، فهو نفسه يقول إنه خاضع لله مثلنا. وهكذا هو أيضاً "ولد تحت الناموس" (غل ٤: ٤)، رغم أنه كإله هو معلى الناموس وهو واضع الناموس.

٦- ولكننا نرفض أن نقول عن المسيح: "بسبب ذلك الذي ألبس أعبد اللابس، وبسبب غير المنظور أعبد المنظور". إنه أمر بشع أن يقال أيضاً: "إن المتخذ، يدعى الله مع الذي اتخذه"^{٢٥٤}. فالذي يقول ذلك، يقسم المسيح الواحد إلى اثنين، وبالتالي فإنه يجعل الناسوت واللاهوت مفترقين أيضاً. والذي يقول ذلك ينكر الاتحاد الذي بمقتضاه لا يُسجد للواحد مع الآخر أو يدعى الله، ولكن المقصود هو الواحد المسيح يسوع، الابن الوحيد الجنس، الذي يكرم بسجدة واحدة مع جسده الخاص. ونحن نعترف أنه هو الابن المولود من الله الأب، والإله المولود الوحيد، ورغم أنه غير قابل للألم بحسب طبيعته الخاصة، فقد تألم من أجلنا في جسده الخاص حسب الكتب، وفي جسده المصلوب وهو غير القابل للألم جعل آلام جسده آلامه هو. لأنه بنعمة الله ولأجل الجميع ذاق الموت (انظر عب ٢: ٩)، بإخضاع جسده الخاص للموت رغم أنه بحسب الطبيعة هو الحياة وهو نفسه القيامة (انظر أع ٤: ٢). ولكي بواسطة قوته الفائقة بعد أن داس الموت في جسده الخاص يصير أولاً "البكر من الأموات" (كو ١: ١٨) و"باكورة أولئك الذين رقدوا" (١ كو ١٥: ٢٠)، لكي يمهّد السبيل إلى قيامة عدم الفساد أمام طبيعة الإنسان (انظر ١ كو ١٥: ٥٣)، وبنعمة الله، كما سبق أن قلنا، ذاق الموت لأجل الجميع، ولكنه قام حياً في اليوم الثالث بعد أن سلب الجحيم. والنتيجة أنه، حتى إن كان يمكن أن يقال عن قيامة الأموات أنها صارت

²⁵⁴ Loofs, Nestoriana, p. 262.3,4,11, and 12.

"بواسطة إنسان" (انظر يو ١١ : ٢٥)، فلا نزال نفسر هذه العبارة بأنها تعني كلمة الله المتأنس الذي حل سلطان الموت. وهو سيأتي في الوقت المناسب كالابن الواحد والرب في مجد أبيه ليدين المسكونة بالعدل كما هو مكتوب (انظر مز ٩٨ : ٩، أع ١٧ : ٣١).

٧- ولكن من الضروري أن نضيف هذا أيضاً. في إعلاننا بموت ابن الله الوحيد حسب الجسد (انظر ١ كو ١١ : ٢٦) أي موت يسوع المسيح، فإننا نعترف بقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات، حينما نقدم الذبيحة غير الدموية في الكنائس، وهكذا نتقبل البركات الروحية ونتقدس بالتناول من الجسد المقدس والدم الكريم اللذين للمسيح مخلصنا كلنا. ونحن نفعل هذا لا كأناس يتناولون جسداً عادياً، حاشاً، ولا جسد رجل متقدس بسبب اتصاله بالكلمة وفقاً لاتحاد في الكرامة، ولا كواحد قد حصل على حلول إلهي، بل باعتباره الجسد الخاص للكلمة نفسه المعطي الحياة حقاً. ولأنه الله فهو الحياة بحسب طبيعته، ولأنه صار واحداً مع جسده الخاص، أعلن أن جسده معطي الحياة. لأنه رغم أنه يقول: "الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه" (انظر يو ٦ : ٥٣) لا يجب أن نستخلص من هذا أن جسده هو جسد واحد من الناس مثلنا (لأنه كيف يكون جسد إنسان ما محبباً بحسب طبيعته الخاصة؟)، ولكنه بالحقيقة الجسد الخاص لابن الذي صار إنساناً كما دعى ابن الإنسان لأجلنا.

٨- أما بالنسبة لأقوال مخلصنا في الأناجيل فإننا لا نقسمها إلى أقنومين أو إلى شخصين، لأن المسيح الواحد الوحيد ليس فيه ثنائية رغم أننا نعتبره من عنصرين مختلفين اتحداً في وحدة غير منقسمة، وبنفس الطريقة فإننا مثلاً لا نعتبر أن في الإنسان ثنائية مع أنه يتكون من عنصرين هما النفس والجسد. يجب أن تكون لنا نظرة صحيحة فنعتقد أن الأقوال التي تخصه كإنسان أو تلك التي تخصه كإله هي لمتكلم واحد. فحينما يقول عن نفسه بالألفاظ التي تناسبه كإله: "من رآني فقد رأى الآب" (يو ١٤ : ٩) و"أنا والآب واحد" (يو ١٠ : ٣٠)، نفهم طبيعته الإلهية التي تفوق الوصف التي بحسبها هو واحد مع أبيه بسبب وحدة الجوهر، وهو أيضاً صورته ومثاله وشعاع مجده (انظر عب ١ : ٣). ومن ناحية أخرى، فإنه يقدّر حدود الإنسانية فيقول لليهود: "ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق" (يو ٨ : ٤٠)، لكن حدوده البشرية هذه لا تقلل من إدراكنا له بأنه الله الكلمة المساوي والمماثل للآب. لأنه من الضروري أن نؤمن أنه بينما هو الله بالطبيعة، فقد صار جسداً، أي صار إنساناً مُحيّاً بنفس عاقلة، فلماذا يخجل أي إنسان من أي أقوال تناسب الإنسان، تكون قد صدرت منه؟ لأنه لو كان قد تحاشى الكلمات التي تناسب الإنسان، فما الذي أجبره أن يصير إنساناً مثلنا؟ فلأي سبب يتحاشى -ذاك الذي نزل لأجلنا إلى إخلاء نفسه الاختياري- الكلمات المناسبة للإخلاء؟ وبالتالي تنسب كل الأقوال التي في الأناجيل إلى شخص واحد، إلى أقنوم الكلمة الواحد

المتجسد، لأنه بحسب الكتب هناك رب واحد يسوع المسيح (انظر ١كو ٨: ٦).

٩- ولكن إن كان يُدعى: "رسول ورئيس كهنة اعترافنا" (انظر عب ٣: ١) لأنه يقدم لله الآب اعتراف إيماننا الذي ننقله إليه وبواسطته لله الآب، وأيضاً للروح القدس، كذبيحة لله الآب، فإننا نؤكد ثانية أنه بحسب الطبيعة هو ابن الله الوحيد الجنس. ولا ننسب لقب وحقيقة كهنوته إلى إنسان آخر غيره. لأنه صار وسيطاً بين الله والإنسان (١ تي ٢: ٥)، ووكيل مصالحه السلام، إذ قدم نفسه لله الآب رائحة طيبة (أف ٥: ٢). لذلك قال: "ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً، بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ثم قلت هانذا أجيء في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله" (عب ١٠: ٥-٧ وانظر مز ٤٠: ٧-٩). لأنه قد قدم جسده الخاص رائحة طيبة لأجلنا وليس لأجل نفسه. لأن ما هي حاجته وهو الله السامي تماماً عن الخطية، لتقديم مقدمة أو ذبيحة لأجل نفسه؟! لأنه "إن كان الجميع قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (انظر رو ٣: ٢٣) بمعنى إننا معرضون للانحراف، وطبيعة الإنسان تضعف تماماً بالخطية. لكن إن لم يكن هذا هو حاله وبالتالي نحن أدنى من مجده، فكيف إذن يبقى هناك شك في أن الحمل الحقيقي قد ذبح من أجلنا وعوضاً عنا؟ إن القول بأنه قد قدم نفسه من أجل نفسه ومن أجلنا لا يمكن بأي حال أن يفلت من تهمة الكفر. إنه لم يخطئ بأي شكل،

ولا فعل أي خطية. إذن، منطقياً، أية ذبائح يحتاجها، إن لم تكن هناك أية خطية تقدم من أجلها ذبيحة.

١٠- ولكن حينما يقول عن الروح: "ذاك يمجدي" (يو ١٦: ١٤) فنحن، بصواب نفهم، أنه لا يعني أن المسيح والابن الواحد، كان ينقصه المجد من آخر، فاكْتسبه من الروح القدس، وذلك لأن روحه ليس أسمى منه ولا فوقه. ولكنه يقول إنه يمجده لأنه استخدم روحه القدوس للقيام بالأعمال العظيمة ليظهر لاهوته الشخصي، مثلما يتكلم إنسان عادي منا مثلاً عن قوة بدنية أو مهارة معينة له بإنها تمجده. لأنه رغم أن الروح يوجد في أقنوم متمايز، ويُعرَف بالتحديد إنه هو الروح وليس الابن، إلا أنه مع ذلك ليس غريباً عن الابن، لأنه يدعى روح الحق والمسيح هو الحق، والروح يُرسل منه (انظر يو ١٦: ١٣)، كما أنه يُرسل بلا شك من الله الآب أيضاً. لذلك فإن الروح صنع عجائب بأيدي الرسل القديسين بعد صعود ربنا يسوع المسيح إلى السماء، وبذلك مجده. لأنه بواسطة عمله الشخصي من خلال روحه الخاص نؤمن أنه هو الله بحسب الطبيعة. ولهذا السبب قال أيضاً: "لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو ١٦: ١٤). ونحن لا نؤكد ولا للحظة أن الروح حكيم وقوى نتيجة المشاركة، لأنه كلي الكمال ولا ينقصه أي صلاح. ولكن حيث إنه روح قوة الآب وحكمته أي روح الابن، فهو بكل الحق الحكمة والقوة المطلقة.

١١- وحيث إن العذراء القديسة ولدت جسدياً، الله متحداً بالجسد حسب الأَقنوم، فنحن نعلن أنها والدة الإله، ليس أن طبيعة الكلمة تأخذ بداية وجودها من الجسد لأنه (أي الكلمة) كان في البدء، والكلمة كان الله، وكان الكلمة عند الله" (يو: ١)، وهو بشخصه خالق الدهور، وهو أزلي مع الآب، وخالق كل الأشياء. لكن، لأنه كما سبق وقلنا إنه إذ وُحِدَ الإنساني بنفسه أَقنومياً، وجاز الولادة الجسدية من بطنها، فلم تكن هناك ضرورة لميلاد زمني وفي آخر الدهور، لطبيعته الخاصة. لقد وُلِدَ لكي يبارك أصل وجودنا نفسه، ولكي بولادته من امرأة حينما يتحد بالجسد ترفع عن كل الجنس (البشري) اللعنة التي ترسل أجسادنا من الأرض إلى الموت، وبواسطته أبطل القول: "بالوجع تلدين أولاداً" (تك: ٣ : ١٦) لكي يظهر صدق قول النبي: "الموت إذ قوى قد ابتلعهم" (من الترجمة السبعينية هو ١٣: ١٤)، وأيضاً: "يمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه" (أش: ٢٥: ٨). هذا ما يجعلنا نؤكد أنه هو شخصياً قد بارك الزواج بتجسده وباستجابته للدعوة للذهاب إلى قانا الجليل مع الرسل القديسين.

١٢- لقد تعلمنا أن نعتقد بهذه الآراء من الرسل القديسين والبشيرين، ومن كل الأسفار الموحى بها، ومن الاعتراف الصادق لأبائنا المباركين. إنه من الضروري أن تقواك أيضاً ترضى بكل هذه وتوافق على كل واحدة بدون خداع. إن ما يلزم أن تحرمه تقواك قد ألحق بهذا الخطاب المرسل منا.

ملحق رقم (٢)

مخطوطة قبطية نادرة عن مجمع أفسس ٤٣١م

في زيارتنا لمدينة فيينا بالنمسا بصحبة قداسة البابا شنودة الثالث، من أجل تدشين بعض الكنائس هناك، وذلك في ٨-٧-٢٠٠٤م، وفي زيارتنا للمكتبة الوطنية بالنمسا، أهدتنا المكتبة صورة لصفحة من مخطوطة قبطية نادرة، يعود تاريخها للقرن الثامن. وهذا هو تعليق المكتبة على المخطوطة، نشرته على موقعها الإلكتروني مع صورة المخطوطة:

دعا الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني لعقد المجمع المسكوني المشهور الآن، في أفسس (٤٣١م)، الذي كان هدفه الأساسي إدانة تعاليم نسطور، ويرجع الفضل الأول في ذلك للقديس كيرلس بطريرك الإسكندرية. كانت أعمال المجمع ونتائجه على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للكنيسة المصرية... لدرجة أنه في القرن الثامن أنجزت مخطوطة فخمة للترجمة القبطية لأعمال المجمع. والورقة المزدوجة في مجموعة برديات (P. Vindob. K. 381) هي الشاهد الوحيد الباقي.

يحتوي هذا الجزء على أسماء ثلاثين تلميذاً ليوحنا بطريرك أنطاكية الذي قاوم إدانة نسطور. تقدم لنا أيضاً

ورقة المخطوطة الرقّية، رسالة دورية مؤثرة جدًا لكيرلس ضد يوحنا، لكي يحظى بمؤيدين.... كما توضح النتيجة. اليوم نحن أيضًا شهود لما حدث في المجمع، ونستطيع أن نفهم أهمية المجمع في تاريخ الكنيسة، خاصة بالنسبة للكنيسة القبطية.

كُتبت أعمال المجمع باللغة اليونانية ولا بد أن تكون قد تُرجمت إلى القبطية بعد انعقاد المجمع مباشرة.

وقد قمنا بفحص الأسماء المدوّنة في هذه المخطوطة ومقارنتها بالمراجع التي نشرت أسماء الأساقفة الذين ظلوا في الجانب المضاد للمجمع المسكوني في أفسس ٤٣١م، منحاكين إلى البطريرك يوحنا الأنطاكي لحين المصالحة بينه وبين القديس كيرلس الكبير في ٤٣٣م.

تحتوي المخطوطة ٣٥ اسمًا هم أسماء الموالين ليوحنا الأنطاكي الذين رفضوا الانضمام للمجمع المسكوني لإدانة نسطور، حسب المقدمة التي ذكرها آباء المجمع قبل القوانين^{٢٥٥}. وقد قرروا فيها أن هؤلاء الأشخاص يعتنقون آراء نسطور؛ لذلك قرر المجمع خلعهم من مناصبهم الكنسية.

²⁵⁵ *The Canons of the Two Hundred and Blessed Fathers Who Met at Ephesus*, vol. 14 of NPNF, 2nd. Ser, p. 225.

لدينا ثلاث قوائم لهؤلاء الأشخاص: قائمة موجودة في مجموعة "آباء نيقية وما بعد نيقية *NPNF*"، وأخرى في "تاريخ المجامع المسيحية"^{٢٥٦} Hefele، والثالثة هي التي تحويها المخطوطة القبطية التي نحن بصددتها الآن. هناك اختلاف بسيط بين الثلاث قوائم، يرجع السبب فيه إلى أن هذه القائمة كانت تتذبذب بين الزيادة والنقصان لأن بعض الأفراد كانوا ينضمون ليوحنا الأنطاكي ثم يعودون مرة أخرى للمجمع المسكوني. وربما يكون قد حدث العكس أيضًا. ففي أول جلسة للمجمع المضاد كان عدد الذين وقّعوا ٤٣.

■ من جهةٍ توجد قائمة بهذه الأسماء في *NPNF, The Canons of the Two Hundred Holy and Blessed Fathers Who Met at Ephesus* وتحوي ٣٥ اسمًا.

هناك ٣ أسماء في القائمة غير موجودين في المخطوطة، وهم فالنتينوس (of Mutloblaca)، وثيئوفانيس وبوليوس.

■ توجد قائمة أخرى في هيفيلي Hefele: تحوي ٣ أسماء غير موجودين في المخطوطة: فالنتينوس وثيئوفانيس وبالاديوس.

■ تحوي المخطوطة اسم غير موجود في أي من القائمتين الآخرين وهو ترانكلينوس.

²⁵⁶ Hefele, vol. 3, p. 58, 67-8.

من هذه المعلومات نخلص إلى الآتي:

من المُرجَّح أن الأسماء المذكورة في *NPNF* وهيفيلي وغير مذكورة في المخطوطة القبطية، ربما كانت لأشخاص من المؤيدين لجانب يوحنا الأنطاكي، في وقت كتابة أعمال المجمع الكبير باللغة اليونانية، لكن من المحتمل أن يكونوا قد انضموا للقديس كيرلس مؤخرًا. ولذلك فأسماءهم موجودة في الأصول اليونانية وغير موجودة في المخطوطة القبطية التي نُسخَت بعد المجمع.

وأيضًا نستنتج من احتواء المخطوطة على اسم ترانكلينوس وعدم وجوده في القائمتين الآخرين؛ أن ذلك الشخص انضم ليوحنا الأنطاكي في وقت لاحق.

هكذا نجد أن هذه المخطوطة القبطية تحوي القائمة النهائية بعد استقرار الأوضاع.

ترجمة لمخطوطة مجمع أفسس من القبطية الصعيدية

إبتداءً من ذكر اسم يوحنا الأنطاكي (في آخر العمود الأول) ثم
من تبعوه من أساقفة الإيبارشيات الذين انشقوا على مجمع
أفسس

Ιωβαννης ντανδιοχια	يوحنا من أنطاكيا
Αλεξανδρος παπαμια	ألكسندروس من أباميا
Αλεξανδρος νιεραπολις	ألكسندروس من ير ابوليس
Ελλασιος νταρσος	ايلاسيوس من طرسوس
Πετρος ντραينوπολις	بطرس من ترانوبوليس
Ευθυριος νδτανον	ايثير يوس من ديانون
Απριπκιανος νχαλκτος	ابر بكيانوس من خالكوس
Ζωχης νσεβοηντος	زوسيس من سيفوندوس
Ησυχιος νκαταβαλης	إسيخيوس من كاتافاليس ب كيليكيا
ντκιλικια	فيليبس من ثيودوسيانون
Φιλιππος νθεωλοσιανον	يوليانوس من أريذوس
Ιουλιανος ναριδος	كيرلس من نوليوس
Κυριλλος μνολιος ²⁵⁷	موسيوس من أغرينوبوليس
Μογσαιος αζηρνοπολις	يوحنا من داماسكوس (دمشق)
Ιωβαννης νδαμασκος	ثيودوريتوس من كيروس
Θεωλορητος νκτρος	مكسيموس من أزاربو
Ναζιμος ναζαρβο	بافلوس من إيميسيس
Παυλος νεμичης	ميليتيوس من نيو كيساريا (قيصرية الجديدة)
Μελιτιος ντνεωκεσαρια	مكار يوس من تنو ب لاوديكي
Νακαριος ντνοβηλαοδικια	سالوستيوس من كوريانو ب ليكي
Σαλοτςτιος νκωρια(ν)οτ ντ	وا(لنتي)نوس من أو(..)كيس
λικια	دانييل من فاستينوبوليس
Οτ..τινος νω..κης	أوليمبيوس من تاريانوس
Δανιηλ νφαγςτινοπολις	ذيوكينيس من أفغوستوس
Ωλγμπιος νταριαينος ²⁵⁸	

²⁵⁷ يوجد حرف غير واضح هنا، يمكن أن يُقرأ الاسم إما μνολιος أو μνολιος

²⁵⁸ يذكر هيفيلي أن تاريانوس (Tarianus (Trajanus of Augusta شخص قائم بذاته:

ΔΙΩΚΕΝΗΣ ΝΑΥΣΟΥΣΤΟΣ	ايلاتبوس من ابثولمايوس.....
ΕΛΛΑΤΙΟΣ ΜΠΔΟΛΜΑΕΙΣ	افستاثيوس من بارناسوس.....
ΕΥΣΤΑΘΙΟΣ ΜΠΑΡΝΑΣΟΣ	أفريليوس.....
ΔΥΡΗΛΙΟΣ	ثيودوروس بـ ماركيانوبوليس.....
ΘΕΩΔΩΡΟΣ	ترانكيلينوس هيميروس بـ
ΜΜΑΡΚΕΙΟΝΟΥΠΟΛΙΣ	نيكوميديا.....
ΤΡΑΣΚΥΛΙΝΟΣ ΝΕΥΜΕΡΟΣ	ديكسيانوس من فريتيليا بـ
ΝΗΚΩΜΗΔΙΑ ²⁵⁹	هيلاكريا.....
ΔΕΞΙΑΝΟΣ ΝΦΡΙΤΙΛΑ	
ΝΕΗΛΑΚΡΙΑ ²⁶⁰	
ΠΟΛΥΧΡΩΝΙΟΣ	بوليخرونيس من هيراكليوبوليس.....
ΝΕΗΡΑΚΛΕΩΠΟΛΙΣ	

المجمع المقدس الكبير المسكوني الذي بارك ميتروبوليتية
(أي مطرانية/ المدينة الأم) أفسس. بنعمة الله أمرنا من فم
محبى الإله ثيئودوسيوس و(من فم محبى الإله) فالنتينوس
المنتصرين والمبجلين، أن نكتب إلى الإيبارشيات الرومانية

Hefele, vol. 3, p. 58.

In *The Canons of the Two Hundred and Blessed Fathers Who Met at Ephesus*, vol.

14 of *NPNF*, 2nd Ser, p. 225, and also in Hefele, p. 67.

في القائمتين المذكورتين نجد أن اوليمبيوس وتاريان شخصان منفصلان. أما في المخطوطة فيظهر الاسمان متلاصقين فربما يكون الاسم الثاني اسم بلد.

²⁵⁹ In vol. 14 of *NPNF*, 2nd Ser, p. 225, and also in Hefele, vol. 3, p. 58, 67

Himerius of Nicomedia is listed as one person.

في القائمتين المذكورتين يُذكر هيميريوس النيقوميدي كشخص واحد.

Also in M. U. Bouriant, *Mémoires: Actes Coptes Du Concile D'Éphèse*, ed. Ernest

Leroux (Cairo: Mission Archéologique Française, 1832), p. 38 Trankilios and

Himerius of Nicomedia are both also listed as two separate people.

أيضاً في أعمال أفسس المنشورة بالقبطية والفرنسية يظهر ترانكيلوس وهيميريوس النيقوميدي كشخصين منفصلين.

²⁶⁰ In vol. 14 of *NPNF*, 2nd Ser, p. 225, and also in Hefele, vol. 3, p. 58, 67 both

Dexianus and Fritilas of Heraclea are listed as two separate people. In Bouriant p.

38, Fritilas of Heraclea again is listed as one person.

في القائمتين المذكورتين نجد ديكسيانوس وفريتيلاس الهرقلي شخصين منفصلين. في أعمال أفسس المنشورة بالقبطية والفرنسية نجد فريتيلاس الهرقلي مرة أخرى شخص واحد.

لكي يأتوا بسلام من الرب ويجتمعوا مع بعضهم البعض في
ميثروبوليتية أفسس بحسب أمر محبي الإله. وإن ظهر أحد
كمنشق كالثلاثين الذين كانوا مع يوحنا الأنطاكي والذين
قطعنا انشقاقهم، (و) هؤلاء الذين يجب أن نظهر لكم
أسماءهم وهم: يوحنا الأنطاكي ومكاريوس ويوليانوس
والكسندروس و(ابر)بكيون. هؤلاء الخمسة الذين أخذوا معهم
هرطقة آخرين وابتدأوا يمدحون ويُظهرون هرطقة
نسطوريوس. ويذكرون (انتهى نص الصفحة من
المخطوطة).

تعليق على المخطوطة:

هذه المخطوطة هي وثيقة هامة ضمن الوثائق القبطية غير
المنشورة، التي تُكمل الكتاب المطبوع للمخطوطة الوحيدة المنشورة

لأعمال مجمع أفسس باللغة القبطية^{٢٦١}. إذ أنها تحوي قائمة بأسماء الأساقفة الذين تبعوا يوحنا الأنطاكي (قبل المصالحة مع القديس كيرلس) وساندوا نسطور ورفضوا إدانته. وقد حذّرهم المجمع والإمبراطور. فتميز المخطوطة باحتوائها على ما يلي:

- قائمة الأسماء
- تحذير الأساقفة الثلاثين لكي يرجعوا عن مساندتهم لنسطور وهرطقته.
- اسم الامبراطورين، وتحذير المجمع والملك الموجه إلى الـ ٣٥ أسقفًا إن لم يرجعوا عن مساندتهم لنسطور بالقطع من شركة الكنيسة.

لا يفوتنا أن نشكر د. رشدي واصف الأستاذ بالكلية الاكليريكية لقيامه بترجمة المخطوطة من اللغة القبطية الصعيدية إلى اللغة العربية. وعلى الملاحظات القيّمة التي أرسلها لنا بشأنها.

²⁶¹ M. U. Bouriand, *Mémoires: Actes Coptes Du Concile D'Éphèse*, ed. Ernest Leroux (Cairo: Mission Archéologique Francaise, 1832).

ملحق رقم (٣)

مشاركة الآباء المطارنة والأساقفة وعلماء من الكنائس الأخرى في الرد على الدكتور يوسف زيدان

- رسالة من نيافة الأنبا هدرا مطران كرسي أسوان ورئيس
دير الأنبا باخوميوس بحاجر إدفو
- رسالة من نيافة الأنبا موسى أسقف الشباب
- رسالة من نيافة الأنبا دانييل أسقف سيدني وشمال شرق
آسيا
- رسالة من الأرشمندريت د. يعقوب خليل، وكيل عام
مطرانية صور وصيدا للروم الأرثوذكس بلبنان

حضرة صاحب النيافة الحبر الجزيل الاحترام

نيافة الأنبا بيشوي

قبلة روحية مع تقبيل يمينكم المباركة، راجياً أن يمتعكم المسيح إلهنا بكامل الصحة والقوة.

لقد كانت سعادتي كبيرة عند قراءتي لكتاب نيافتكم الرد على البهتان في رواية د. يوسف زيدان "عزازيل"، والذي هو بحق بحث عميق وشيق في علم اللاهوت الأرثوذكسي السليم وفي تاريخ كنيستنا المقدسة وفي أقوال الآباء.

وجاء هذا البحث معتمداً على مراجع موثقة في كل فروع المعرفة الكنسية. ويجب على كنيستنا المحبوبة أن تقدم لنيافتكم الشكر الجزيل على هذا الكتاب القيم بالحقيقة.

وفي غيرة مقدسة دافعت عن آباء الكنيسة الذين اتَّهموا ظلماً في هذه الرواية العجيبة "عزازيل"، والتي من بدايتها إلى نهايتها تكيل الاتهامات الباطلة على كنيستنا المقدسة التي نفخر بها وبآبائها العظام المدافعين عن الإيمان المستقيم ونعتزّ برهبانها القديسين الذين صاروا أنواراً للعالم كله بسيرتهم الطاهرة.

وجاءت رواية عزازيل لتشوّه صورة الرهبنة النقيّة من خلال الراهب هييا المنحرف إيمانياً وعقائدياً وسلوكياً حتى صار مثال للراهب الفاشل تماماً. والحقيقة أنه شخصية خياليّة في رواية غير واقعيّة بالمرّة.

كما أن رواية عزازيل مجّدت كثيرًا في شخصيات الهراطقة الذين حرمتهم الكنيسة وحرمت بدعهم وتعاليمهم الفاسدة. بل إن رواية "عزازيل" عن عمدٍ وقصدٍ واضح شوّهت التاريخ الكنسي وأظهرت المسيحيين وكأنهم مجموعة من الرعاع الهمج القتلة يفرحون بسفك دماء الوثنيين.

لذلك كان يجب على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية -والمعني بها في هذه الرواية العجيبة- أن تتصدى لما جاء فيها وتناقش أدق التفاصيل وترد على الافتراءات التي إمتلأت بها رواية "عزازيل" للمؤلف د. يوسف زيدان.

لأن السكوت عليها يُظهر كنيستنا وكأنها لا تملك الأسانيد والحجج الموثقة التي تدحض الصورة المشوّهة جدًا التي أحزنت قلوبنا وأدمتها من كثرة السهام المسمومة التي جرحتنا حتى الأعماق.

ولذلك جاء كتاب الرد على البهتان في رواية د. يوسف زيدان "عزازيل" لنيافة الأنبا بيشوي بلسمًا شافيًا مداويًا جراحاتنا التي أوجعتنا جدًا، ولنجد في كتاب نيافته الحقيقة الساطعة كالشمس والغيرة المقدسة على مقدساتنا وإيماننا وعقيدتنا وآبائنا وتاريخ كنيستنا المجيدة.

فشكرًا لنيافتكم على هذا المجهود الذي يفوق طاقة البشر. وأيضًا جاء الرد في وقت قياسي حتى لا تكون هناك مساحة من الوقت تنتشر فيه هذه الرواية المفبركة وتستقر في وجدان القارئ وكأنها حقيقة واقعية، وبخاصة بعد أن حصلت على جائزة أدبية.

فجاء كتابكم هذا في وقته المناسب وفي دفاع قوي موثق بالأدلة
الدامغة والمراجع المعتمدة عالمياً.
أخيراً نهني نيافتكم بهذا العمل الرائع الذي فرحنا به جداً واستفدنا
منه روحياً وعلمياً وثقافياً.
حاللني يا سيدنا راجياً أن تذكر ضعفي في صلاتك.

٢٠٠٩/٦/١٨

هادم
دور الإنشاء

نيافة الحبر الجليل/ الأنبا بيشوي

محبة روحية لنيافتكم، ملتمسًا صلواتكم المقدسة...

أشكر نيافتكم من أجل كتابكم الهام: "الرد على البهتان في رواية يوسف زيدان"، حيث قمتم نيافتكم بإظهار كيف أن هذه الرواية تخلط بين الأدب الروائي والخيال، وبين الثوابت التاريخية الموثقة، مع قلب للحقائق الرئيسية في الإيمان المسيحي رأسًا على عقب، يجعل من الهرطقة قديسين وعلماء لاهوت مسيحي، ومن آبائنا الأطهار قتلة ومجرمين!! وذلك في تزوير واضح للحقائق العلمية والتاريخية، وفي إيراد مغالطات غاية في الخطورة، كانت في حاجة إلى من يتصدى لها، وهذا ما قمتم به نيافتكم في هذا الكتاب خير قيام، وهذه بعض الأمثلة:

١. الادعاء بأن البابا ألكسندروس السكندري قتل آريوس الهرطوقي، بينما كان البابا قد تتيح قبل موت آريوس بثمانين سنين.

٢. القول بأن آريوس مات مسمومًا، وفي نفس الوقت بأن أحشاءه خرجت منه.

٣. القول بأن الإمبراطور قسطنطين ترأس مجمع نيقية، وهو الأمر الخاطئ تاريخيًا وعلميًا ولاهوتيًا.

٤. الادعاء بأن قسطنطين أحرق الأنجيل الحقيقية وأبقى الأربعة أنجيل الحالية (المزورة)... وهذا تريد أعمى لما قال به "دان

براون" صاحب رواية "شفرة دافنشي"... وهو الأمر الخاطئ تاريخياً وعلمياً ووثائقياً.

٥. الادعاء بأن القديس ثيوفيلس أمر بهدم معبد سيرابيوم على رؤوس الوثنيين الذين كانوا فيه... الأمر الذي يباه المنطق المسيحي ويرفضه التاريخ العلمي الموثق.

٦. الادعاء بأن البابا كيرلس عمود الدين حرّض الغوغاء على قتل هيباتيا، وهو من أهم آباء الكنيسة الذين قدّموا لنا المسيحية الأمانة حياة ولاهوتاً وكتابةً.

٧. الادعاء بأن أسفار موسى الخمسة لم تُدَوَّن إلا بعد السبي، بينما تشهد أديان التوحيد الثلاثة، بأن كاتبها هو موسى النبي.

٨. تشويه صورة الرهبنة، بينما كان الأنبا أنطونيوس هو سبب نشر الرهبنة في كل العالم المسيحي، وكانت الرهبنة وستظل إحدى ركائز المسيحية الهامة عبر التاريخ، قدوةً وسلوكاً وقداًسةً وأقوال آباء.

٩. التشكيك في مجيء العائلة المقدسة إلى مصر، الأمر الثابت في الإنجيل المقدس والتاريخ المسيحي والعالمي.

١٠. تحويل نسطور الهرطوقي إلى قديس لاهوتي مسيحي وهو المحروم من كل المسيحيين في العالم على مدى التاريخ، بسبب تعاليمه الخاطئة.

١١. الادعاء بأن المسيحيين في الإسكندرية خربوها وقتلوا اليهود
والوثنيين بعد نياحة القديس كيرلس، وهو ادعاء يجافي المسيحية
والعلم.



إن هذه الرواية التي تدعي أنها أدب خيالي فيها هدم لأساسات
المسيحية، إذ خلطت الخيال بالواقع، والشخصيات الروائية
بالحقيقية، والتاريخ السليم بالادعاءات الباطلة، بل أنها تكاد تكون
دعوة لعدم الإيمان بالأديان والروحيات السامية.
لهذا أشكر نيافتكم على دراستكم المباركة التي استمتعت بها كثيراً.
والرب يحفظ كنيسته بشفاعه أئمة العذراء وصلوات راعينا الحبيب
قداسة البابا شنودة الثالث. وعندنا وعد المسيح له المجد لكنيسته أن
"أَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا" (مت ١٦ : ١٨).

الأببا موسى

٢٠٠٩/٧/٧

الأسقف العام للشباب

القاهرة في يوم السبت المبارك ٧ بابه ١٧٢٦ ش، الموافق ١٧ أكتوبر ٢٠٠٩ م.

تذكار نياحة القديس العظيم الأنبا بولا الطموهي.
حضرة صاحب النياحة الحبر الجزيل الاحترام والمكرم بكل نوع،
والمدافع عن الإيمان المستقيم الأنبا بيشوي ...
مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري، رئيس دير الشهيدة العفيفة
الطاهرة دميانة وسكرتير المجمع المقدس لكنيستنا القبطية
الأرثوذكسية.

بعد تقديم مطانية الخضوع والاحترام ولثم يمينكم الطاهر، طالبًا
بركة صلوات نيافتكم عن ضعفي وشعبكم المحب في سيدني
باستراليا وشمال شرق آسيا.

الموضوع : خطاب شكر وامتنان على كتابكم القيم والذي حمل
عنوان "الرد على البهتان في رواية يوسف زيدان" >الطبعة
الثالثة< . والذي تضمن بحثًا وثائقيًا تاريخيًا لمواجهة "عزازيل"،
الرواية التي نشرها الدكتور يوسف زيدان.

نياحة الأنبا بيشوي ...

الحقيقة إن هذا البحث عمل متكامل، ودراسة هامة جدًا جاءت في
وقتها ويرقى إلى مستوى أعلى من مجرد كلمة بحث فهو يستحق
أن يكون رسالة من الرسائل العلمية ذات الدرجات العالية.
أود أن أقول إنه بحث متكامل لأنه شمل كل نقاط البحث العملي
المتبع في المواصفات العالمية ، فهذا البحث القيم شمل:

أ- (مقدمة البحث): والتي كانت رائعة، ذكرتم فيها نيافتكم الأهداف الهدامة في رواية الدكتور يوسف زيدان التي استخدم فيها الأدب الروائي بكتابة أقوال على لسان بعض الشخصيات الحقيقية في تاريخ المسيحية، كما ذكر أحداثاً تاريخية نسبها إليهم أيضاً بغرض تشويه سمعة وصورة وعقيدة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كنيسة الإسكندرية، بل واتهام أبطالها العظام - كذباً - باتهامات زور وبهتان.

إن بحثكم القيم أتى في ثلاثة أبواب: الباب الأول عشرة فصول والباب الثاني خمسة فصول والباب الثالث خمسة فصول. وكانت مجمل صفحات الكتاب ٣٨٢ صفحة، وهذا بالحقيقة يدل على جهد عظيم.

ب- (مشكلة البحث): إن رواية زيدان، وفي هذا الوقت بالذات، قد أساءت ليس فقط إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - كنيسة الإسكندرية - بل قد أساءت إلى كل الأديان، بأن أوحى من خلال سطورها بأن: الله من صنع البشر وكذلك الشيطان.

ت- (أهمية البحث): إن هذا البحث في غاية الأهمية، إنه أتى للدفاع عن كنيسة الإسكندرية وأبطالها العظام؛ بأن ألقى الضوء على الحقائق التاريخية الموثقة عالمياً، وليس البهتان في رواية

زيدان، وأتى في وقت قياسي بعد ظهور رواية زيدان ببضعة شهور لكي لا يستشري الفكر الخاطئ في الرواية في أذهان القراء.

ث- **(هدف البحث):** بالحقيقة كانت أهداف البحث رائعة نذكر منها:

- الإنسانية: فالصداقة الإنسانية شئ عظيم والذي يخون الصداقة يسقط من نظر الإنسان: قال قداسة البابا شنودة الثالث أطال الرب حياته: "نحن خلقنا لنحب الخير ونحب الغير ونحب الخير للغير". والدكتور زيدان لم يحترم الصداقة التي قُدمت له في مكان من أقدس أماكننا - دير الشهيدة العفيفة دميانة - عندما استضافته هناك يا سيدي، فخرج يهاجم من قَدَّمَ له الخير، ليس هو فقط، بل وكنيسته الحبيبة أيضاً، والتي قال عنها أحد عمالقة الأدب العربي وهو مسلم: "إن كنيسة الإسكندرية هي مجد مصري قديم".

- هدف تاريخي: وهو تصحيح الأخطاء التاريخية الخطرة في رواية زيدان والتي تبلبل الأذهان.

- هدف دفاعي: وهو التصدي للأخطاء الخطرة في الرواية والتي لم تتل فقط من أبطال إيمان كنيسة القبطية العظام

مثل: البابا ألكسندروس والبابا كيرلس عمود الدين، بل هاجمت أيضاً قانون إيماننا المقدس الذي أقرّه الآباء العظام الـ ٣١٨ في نيقية عام ٣٢٥م. وهدف آخر هو الدفاع عن الرهبنة العظيمة والتي ابتدأها القبطي المصري المسيحي الأرثوذكسي القديس أنطونيوس الذي تلقبه الكنيسة المقدسة بلقب "العظيم".

- هدف ديني وهو التصدي لدعوة الإلحاد الغير مباشرة التي ذكرها زيدان في روايته. وهنا أتذكر المحاضرة القيمة التي ألقيتها نيافتكم على طلبة الكلية الإكليريكية في ألمانيا بأوروبا، في فبراير عام ٢٠٠٦، وكنت حينها في صوبة نيافتكم، وكيف أن نيافتكم أثبتتم وجود الله ليس من الكتاب المقدس، بذكركم خمس نقاط تدل على وجود الله وهي: وجود المادة، وجود نظام في العالم، وجود الحياة، وجود الشريعة الأدبية ووجود الحركة.

- وأما الهدف الاجتماعي فهو التوصية على احترام شريعة الأسرة وأهميتها، وليس العيش في مجتمع كما تخيله زيدان أن نكون كالحمام في علاقتنا مع الآخرين.

ج- (الدراسات السابقة): لقد وردت دراسة سابقة تحمل عنوان: "رواية عزازيل جهل بالتاريخ أم تزوير للتاريخ" لكاثبها القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير - كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، وهو كتاب قيّم قام بالرد على رواية زيدان في خمسة فصول فقط وبه ١٣٦ صفحة، ويعتبر بحثكم القيم يا سيدي تكملة لهذا العمل الذي نُقِّدُ الجهد الذي بذله القمص عبد المسيح ونشكره عليه أيضا. فواحد يغرس وآخر يسقي والله ينمي الكل.

ح- (حدود البحث): لقد عاد بنا يا سيدي بحثكم القيم والتاريخي وأقول العالمي أيضا إلى القرون الأولى وحتى هذا القرن. وكما كان هكذا يكون من جيل إلى جيل، فالحروب هي هي، ولكن في كل جيل يستخدم الرب من يدافع عن الحق وعن كنيسته. ففي القرون الأولى استخدم الرب القديس العظيم أثناسيوس الرسولي والقديس العظيم ألكسندروس، أما في هذا القرن فلقد استخدم الرب قداسة البابا شنودة الثالث صاحب الحجة والفهم والحكمة، ونيافتكم صاحب الغيرة المقدسة والعمق اللاهوتي والغوص في بطون المراجع القديمة، أقول لقد استخدمكما للدفاع عن الحق وعن كنيسته المجيدة، الرب يطيل أيامكما.

خ- (المفاهيم والمصطلحات المفتاحية): لقد ذكرتم في بحثكم القيم معانٍ لمصطلحات هامة منها: "إن الابن مولود غير مخلوق" صفحة ٢٣١، و "لماذا ثلاثة فقط " صفحة ٢٣٣، ومفاهيم أخرى كثيرة في غاية الأهمية، يتشكك فيها الكثيرون من غير المؤمنين.

د- (منهج البحث): لقد استخدمت نيافتكم المنهج الوصفي التحليلي وهو يقوم على جمع المعلومات ووصفها وتحليلها منطقيًا، وربطها بعضها ببعض واستنتاج دلائل جديدة. كما استخدمتم نيافتكم المنهج التاريخي عند دراسة تاريخ المجامع المسكونية والمنهج الحوارية عند مناقشة النتائج. وهذا يدل على عقلية جبارة لها غيرة مقدسة وحب لا نهائي للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كنيسة الإسكندرية.

ذ- (أدوات البحث): وتضمنت وسائل جمع المعلومات سواء من الكتاب المقدس أو الموسوعات والقواميس والكتب التي لها علاقة بالموضوع. كما تضمنت أدوات تحليل البيانات مثل: وصف البيانات والربط بينها وإعادة بنائها واستنتاج دلائل جديدة. إن تفكير نيافتكم المرشد بالروح القدس وبالأدوات التي استخدمت في البحث، أدى إلى عدم استطاعة أحد أن يرد علي

نيافتكم ولا حتى زيدان نفسه، فلم يرد هو ولا غيره على بحثكم حتى الآن.

ر- (مصادر البحث): لقد اعتمد نيافتكم في كثير من المواضع في البحث على نصوص من الكتاب المقدس من ترجمات عربية وانجليزية ويونانية. كما اعتمد نيافتكم على أقوال آبائنا القديسين وتفسيراتهم مثل: أقوال القديس كيرلس عمود الدين. كما ذكر نيافتكم بعض أقوال وشروحات كتاب معاصرين. إن هذه المصادر أثرت البحث وجعلته بحثاً فريداً في نوعه.

أبي وسيدي: أود أن أشكر نيافتكم على هذا الجهد المقدر بالرغم من مسئولياتكم الكثيرة في الدفاع عن الكنيسة المقدسة وإيمانها العظيم وأبطالها العظماء مثل: الأنبا أنطونيوس العظيم مؤسس الرهبنة في العالم، والبابا أثناسيوس الرسولي والبابا كيرلس عمود الدين وغيرهم. أودّ أن أذكر للتاريخ كشاهد عيان إن نيافتكم ليس مدافعاً عن الكنيسة المقدسة وإيمانها وأبطالها في مصر فقط في ردكم القيم على زيدان، بل أيضاً في المحافل العالمية. فببركة قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث ونيافتكم، كنتُ مشاركاً كمراقب فقط في الحوار اللاهوتي بين العائلة

الأرثوذكسية التي تتضمن كنيستنا والكنيسة الإثيوبية والكنيسة الإريترية والكنيسة الأرمنية والكنيسة السريانية والكنيسة الهندية مع الكنيسة الكاثوليكية في أرمينيا وسوريا وروما في كل من عام ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩ على التوالي ورأيت بأم عيني كيف ونيافتكم رئيسًا مشاركًا في الحوار تدافع عن الإيمان المسلم مرة للقديسين. رأيت كذلك دقتكم وعدلكم ومحبتكم، الأمور التي أدت إلى احترام الكل لشخصكم الكريم والفاضل.

إن بحثكم القيم أثرى المكتبة القبطية الأرثوذكسية، بل والمكتبات في العالم أجمع. وأتمنى أن تُعطى صورة من هذا البحث رسميًا لمكتبة الإسكندرية لحفظها فيها للأجيال القادمة. وأعتقد أن هذا حق عالمي لن يستطيع أحد أن يرفضه، ولا حتى المسؤولين هناك مثل زيدان. أشركم مرة أخرى شكرًا خالصًا من عمق قلبي، الرب يحفظ حياتكم.

أُتضرع إلى الرب يسوع المسيح إلهنا الصالح ومخلصنا وفادينا بشفاععة السيدة العذراء والدة الإله ودائمة البتولية،

وصلوات راعينا الحبيب قداسة البابا شنودة الثالث، أن يحفظ
كنيسته إلى أبد الدهور من الهراطقة والهرطقات، وعندنا
الوعد العظيم "على أسوارك يا أورشليم أقمت حراساً لا
يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام" (أش ٦٢ : ٦).
حاللني يا سيدي وصل عني.

ابنكم

الأنبا دانييل - أسقف سيدني وشمال شرق آسيا

إلى صاحب النيافة الأنبا بيشوي الكلي الطهر والورع،
أولاً أودّ أن أشكر نيافتك جزيل الشكر، على إهدائك أحدث ثمارك
النافعة، كتاب الردّ على البهتان. الكتاب يظهر الجهد والعمل
الدؤوب لأجل الحقّ، وفقط لأجل الحقّ، الذي لم تخالطه أيّ مصلحة
بشرية، أو هدف شخصي. وهذا أمر نادر بين اللاهوتيين
المعاصرين.

عند قراءتي التوثيق التاريخي في مناقشتك، قرأت في الصفحة
٢١٨ المعلومة الرائعة المنقولة عن القديس ثيوفيلس الأنطاكي.
القديس المدافع عن الإيمان والشهيد لأجل "المسيح الله"، الحقّ. لقد
قرأت نصّ القديس الأسقف الشهيد بلغته اليونانية، وأودّ أن أنقل لكم
الترجمة الحرفية للنصّ اليوناني، غير المعقّد بتاتاً. يقول القديس:
"وكذلك الأيام الثلاث قبل الكواكب النيرة، هي رمز للثالوث، الله
وكلمته وحكمته". ومن الممكن الترجمة أيضاً هكذا: "... هي رمز
للالوث، الله وكلمته وحكمته". وفي أيّ حال، هاتان الترجمتان هما
أدقّ وأقوى من "ثالوث الله وكلمته وحكمته".
إنّي متأكّد أن نيافتكم ستفرحون بكلّ ما يزيد من الشهادة للثالوث
القُدّوس له المجد.

أدامكم الله كوكباً ساطعاً في كنيسته، وعصاً مؤدّبة للضالين.
المخلص

الأرشمندريت د. يعقوب خليل

ملحق (٤)

ردّ نيافة الأنبا بيشوي على مقال الأستاذ بهاء
جاهين في جريدة الأهرام وتعقيب الأستاذ بهاء
جاهين الذي نشره مشكوراً في نفس الصفحة
(منشور بصحيفة "الأهرام" المصرية ٣٠ يونيه ٢٠٠٩ صفحة ٢٨)

رد على مقالة "عزازيل: الرواية خلف الرواية"

الروائي شوّه تاريخ الكنيسة

نشرت صحيفة الأهرام مقالاً للأستاذ بهاء جاهين يمدح فيه رواية
عزازيل التي تتهم مسيحيي مصر بالتعصب، وبالانحراف العقائدي
منذ القرون الأولى للمسيحية وباضطهاد الوثنيين ومن بعدهم
الهرطقة. كما أن الرواية قد أوردت قصة راهب خيالي منحرف
في سلوكه وعقيدته. لهذا أردنا الرد على هذا المقال الذي جرح
مشاعرنا كمسيحيين. وقد أصدرنا كتاباً وثائقياً للرد على هذه
الرواية، وهذا الكتاب هو رد لاهوتي وتاريخي موثق بالبراهين
المستندة إلى أقدم المخطوطات الحقيقية غير الزائفة، وذلك لتصحيح
الأضاليل التي أوردها الدكتور يوسف زيدان في رواية عزازيل
التي مزج فيها الأدب الروائي بالتاريخ والعقيدة والشرح اللاهوتي
بنفس الأسلوب الذي كتب به دان براون روايته المشهورة شفرة
دافنشي وكسب من ورائها ملايين الدولارات.

وقد نشرنا في الولايات المتحدة الأمريكية ردًا علي روايتي دان براون وهما رواية ملائكة وشياطين ورواية شفرة دافنشي، وذلك الرد هو باللغة الإنجليزية في كتاب اسمه "الكأس المقدسة الحقيقية". كما أننا قمنا بالرد عليه في برنامج "البيت بيتك" مع المذيع الصديق العزيز تامر بسيوني في التليفزيون المصري. وقدّمنا في تلك الحلقة التليفزيونية الوثائق التي تدحض ادعاءات دان براون في رواية شفرة دافنشي التي رفض مجلس الشعب المصري بقرار بالإجماع توزيعها في مصر بجميع اللغات وكذلك رفض عرض الفيلم الشهير المبني على هذه الرواية الهدّامة.

وها نحن اليوم نواجه الحجة بالحجة في الرد على الأهداف الهدّامة في رواية الدكتور يوسف زيدان، ولن يجديه نفعًا الاحتجاج المستمر بأن هذا نوع من الأدب الروائي الذي لا دخل لرجال الدين فيه، لأنه استخدم شخصيات حقيقية في تاريخ المسيحية، وأقوالاً وأحداثاً نسبها إليهم بقصد تشويه صورة وسمعة كنيسة الإسكندرية وعقائدها ودفاعها عن الإيمان المستقيم في المسيحية.

فمثلاً حينما ينسب إلى البابا القديس ألكسندروس التاسع عشر في عداد بطاركة الإسكندرية أنه قتل القس المبتدع أريوس بالسّم ٣٣٦م، بينما الثابت تاريخياً أن البابا ألكسندروس قد توفي قبل أريوس بثمانية أعوام كاملة وذلك في ٣٢٨م؛ فهل هذا نوع من الأدب الروائي؟!!

أنا أطالب الأستاذ بهاء جاهين بقراءة كتاب الرد على رواية عزازيل الذي أصدرته منذ شهر أبريل هذا العام قبل أن يحكم بصحة الرواية وقبل أن يمدح فيها بهذه الصورة.

وهل أصبح تزيف التاريخ من الأمور التي يمدحها أصحاب الأقلام على صفحات جريدة الأهرام؟! وهل من العدل أن يتم الحكم على الأمور بالاستماع إلى جانب واحد؟! وهل يقبل المسلمون في مصر تشويه الديانة والعقيدة الإسلامية ورموزها الدينية في عصورها الأولى بسلسلة من الأكاذيب في صورة رواية تدعو في نهايتها إلى إنكار وجود الله وإنكار وجود الشيطان، وتدعو إلى أن يتزواج جميع الرجال من جميع النساء مثل الحمام الجبلي ولا يعرف البشر من هم أولادهم من ثمار هذه الزيجات العابرة؟ نحن نأمل ألا تتطلي هذه الحيلة على علماء المسلمين في مصر والعالم العربي، مهما حكم غالبية أعضاء هيئة التحكيم لها بجائزة الأدب العربي لهذا العام.

الأنبا بيشوي

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

تعقيب بهاء جاهلين

أحب أن أسجل أولاً كل مشاعر الاحترام والتقدير للكنيسة المصرية، ولي في المحبة تاريخ مع كثيرين من المسيحيين المصريين، زاملتهم في المدرسة والجامعة والعمل فلم أشعر يوماً بأن هذا مسلم وذاك مسيحي.

أما بالنسبة لمقالاتي عن رواية عزازيل فقد أحسست وأنا أطلعها — ومازلت أعتقد — أن الرواية معاصرة ترتدي من التاريخ قناعاً. فهي تعالج العنف العقائدي الحالي، لكنها تلجأ للتاريخ حتى لا تكون مباشرة كالمقالة، مما يضعفها فنياً. وإذا كان العمل يحتوي على بعض المغالطات التاريخية، فذلك أمر مؤسف، لكن لا ينتظر من ناقد أدبي التمهيص التاريخي، فهو من شأن العلماء وحدهم ولا يقدر عليه غيرهم.

وأحب أن أعرب في النهاية عن تقديري الشخصي لنيافة الأنبا بيشوي الذي شاهدته على شاشة التليفزيون فوجدته مثلاً للدمائة والعذوبة والتفتح والاتزان.

وأخيراً لابد أن أقول إنني أشعر بالأسى لأنني بغير قصد مني تسببت في إيذاء مشاعر أحبائهم يحتلون موقعاً دافئاً في قلب كاتب هذه السطور.

رد على مقالة «عزازيل: الرواية خلف الرواية»

الروائي شوه تاريخ الكنيسة

نشرت صحيفة «الأهرام» مقالا للاستاذ بهاء جاهين، يمدح فيه رواية «عزازيل» التي تنهم مسيحية مصر بالنعصب، وبالأحرف العقائدية منذ القرون الأولى للمسيحية وناضطهاد الوثنيين ومن بعدهم الهرطقة. كما أن الرواية قد أوردت قصة راهب خيالي منحرف في سلوكه وعقيدته. لهذا أردنا الرد على هذا المقال الذي جرح مشاعرنا كمسيحيين. وقد أصدرنا كتابا وثائقيا للرد على هذه الرواية، وهذا الكتاب هو رد لاهوتي وتاريخي موثق بالمراجع المستندة إلى أقدم المخطوطات الحقيقية غير الزائفة، وذلك لتصحيح الأضاليل التي أوردها الدكتور يوسف زيدان في رواية عزازيل التي مزج فيها الأدب الروائي بالتاريخ والعقيدة والشرح اللاهوتي بنفس الأسلوب الذي كتب به «دان براون» روايته المشهورة «شفرة دافنشي» وكسب من ورائها ملايين الدولارات.

وقد نشرنا في الولايات المتحدة الأمريكية ردا على روايتي «دان براون» وهما رواية «ملانكة وشياطين» ورواية «شفرة دافنشي» وذلك الرد هو باللغة الإنجليزية في كتاب اسمه «الكأس المقدسة الحقيقية» كما أننا قمنا بالرد عليه في برنامج «البيت بيتك» مع المذيع الصديق العزيز تامر ميسوني في التلفزيون المصري. وقدّمنا في تلك الحلقة التلفزيونية الوثائق التي تدحض ادعاءات «دان براون» في رواية شفرة دافنشي التي رفض مجلس الشعب المصري بقراؤها بالاجماع توزيعها في مصر بجميع اللغات وكذلك رفض عرض الفيلم الشهير المبني على هذه الرواية الهدامة. وما نحن اليوم نواجه الحجة بالحق في الرد على الأهداف الهدامة في رواية الدكتور يوسف زيدان ولن نخفيه نفعنا الاحتجاج المستمر بشأن هذا نوع من الأدب الروائي الذي لا نخل لرجال الدين فيه لأنه استخدم شخصيات حقيقية في تاريخ المسيحية وأقوالا وأحداثا نسبها إليهم بقصد تشويه صورة وسمعة كنيسة الإسكندرية وعقائدها ودفاعها عن الإيمان المستقيم في المسيحية. فمثلا حيثما ينسب إلى البابا القديس الكسندروس التاسع عشر في عداد بطريركة الإسكندرية أنه قتل القس المتدع اريوس بالسهم ٣٣٦م بينما التابت تاريخيا أن البابا الكسندروس قد توفي قبل اريوس بشماتة أعوام كاملة وذلك في ٣٢٨م. فهل هذا نوع من الأدب الروائي؟!!

أنا أطالب الاستاذ بهاء جاهين بقراءة كتاب الرد على رواية عزازيل الذي أصدرته منذ شهر ابريل هذا العام قبل أن يحكم بصحة الرواية وقيل أن يمدح فيها بهذه الصورة.

وهل أصبح تزيف التاريخ من الأمور التي يمدحها أصحاب الأقلام على صفحات جريدة الأهرام؟! وهل من العدل أن يتم الحكم على الأمور بالاستماع إلى جانب واحد؟! وهل يقبل المسلمون في مصر تشويه الديانة والعقيدة الإسلامية ورموزها الدينية في عصورها الأولى بسلسلة من الأكاذيب في صورة رواية تدعو في نهايتها إلى انكار وجود الله وانكار وجود الشيطان، وتدعو إلى أن يتزاوج جميع الرجال من جميع النساء مثل الصمام النبيلي ولا يعرف البشر من هم أولادهم من ثمار هذه الزيجات العابرة؟ نحن نأمل ألا تنطلي هذه الحيلة على علماء المسلمين في مصر والعالم العربي مهما حكم غالبية أعضاء هيئة التحكيم لها بجائزة الأدب العربي لهذا العام.

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

تعقيب

أحب أن أسجل أولا كل مشاعر الاحترام والتقدير للكنيسة المصرية، ولدى في المحبة تاريخ مع كثيرين من المسيحيين المصريين، زاملتهم في المدرسة والجامعة والعمل فلم أشعر يوما بأن هذا مسلم وذلك مسيحي.

أما بالنسبة لمقالتي عن رواية «عزازيل» فقد أحسست وأنا أطلعها - ومازلت اعتقد - أن الرواية معاصرة ترتدى من التاريخ فتأعا، فهي تعالج العنف العقائدي الخالي، لكنها تلجأ للتاريخ حتى لا تكون مباشرة كالمقالة، مما يضعفها فنيا. وإذا كان العمل يحتوى على بعض المغالطات التاريخية، فذلك أمر مؤسف، لكن لا ينتظر من ناقد أدبي التمحيز التاريخي، فهو من شأن العلماء وحدهم ولا يقدر عليه غيرهم.

وأحب أن أعرب في النهاية عن تقديري الشخصي لنبافة الأنبا بيشوى الذي شاهده على شاشة التلفزيون فوجدته مثالا للدمامة والعذوبة والفتح والاعتزان. وأخيرا لابد أن أقول أنني أشعر بالأسى لأنني بغير قصد متى تسببت في إيذاء مشاعر أحياء يحتلون موقعا دافئا في قلب كاتب هذه السطور.

بهاء جاهين

bahaajaheen@yahoo.com

Bibliography

- Athanasius, Saint. *Letter to Adelphius*. vol. 4 of NPNF: Second Series.
- _____. *Letter to Epictetus*. vol. 4 of NPNF: Second Series.
- _____. *Statement of Faith*. vol. 4 of NPNF: Second Series.
- _____. *St. Athanasius on the Incarnation: With an Introduction by C.S. Lewis*. 1944. New York: St. Vladimir's Seminary Press, 2002.
- Bercot, David W. ed. *A Dictionary of Early Christian Beliefs*. Massachusetts: Hendrickson, 1998.
- Bettenson, Henry. ed. *Documents of the Christian Church*, 2nd ed. New York: Oxford University Press, 1963.
- *BibleWorks7*. Programmed by Michael S. Bushell, Michael D. Tan, and Glenn L. Weaver, 2006. Bible Concordance and Morphological Analysis Program.
- Bouriant, M. U. *Mémoires: Actes Coptes Du Concile D'Éphèse*. Edited by Ernest Leroux. Cairo: Mission Archéologique Française, 1832.
- Bright, Canon W. *A History of the Church from the Edict of Milan, A.D. 313, to the Council of Chalcedon, A.D. 451*. Oxford: Parker, 1860.
- Brown, D. *The Da Vinci Code*. New York: Doubleday, 2003.
- _____. *The Da Vinci Code: Special Illustrated Edition*. New York: Broadway Books, 2004.

- Charles, R.H. *Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*. vol.2. Oxford, 1913.
- *Commentary on the Gospel According to St. John by St. Cyril Archbishop of Alexandria*. Translated by Thomas Randell. Oxford, 1885.
- Cyril of Alexandria. *Commentary on the Gospel According to St. Luke*. Translated by Payne Smith. Oxford, 1859.
- Cyril of Alexandria, Saint. *Letters 1-50*. vol. 76 of *The Fathers of the Church*. Translated by John I. McEnerney. Washington D.C: CUA Press, 1987.
- _____. *On the Unity of Christ*. Translated by John Anthony McGuckin. New York: St Vladimir's Seminary Press, 1995.
- Davis, Leo Donald. *The First Seven Ecumenical Councils: (325- 787): Their History and Theology*. Minnesota: Liturgical Press, 1983.
- Davis, Stephen J. *The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church and its Leaders in Late Antiquity*. Cairo: American University in Cairo Press, 2004.
- Di Berardino, Angelo. ed. *Encyclopedia of the Early Church*. 2 vols. Translated by Adrian Walford. New York: Oxford University Press, 1992.
- Douglas, James Dixon. ed. *The New International Dictionary of the Christian Church: Revised Edition*. Michigan: Zondervan, 1978.

- Dzielska, Maria. *Hypatia of Alexandria*. Cambridge: Harvard University Press, 1995.
- Easton M. G. *Easton Bible Dictionary*. 3rd ed. 1897 in *BibleWorks7*.
- Eisenberg, Ronald L. *JPS Guide to Jewish Traditions*. Philadelphia: Jewish Publication Society, n.d.
- Ferguson, E. ed. *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed. New York: Garland Publishing, 1999.
- Ferrar, W.J. *The Uncanonical Jewish Books*. London and New York, 1918.
- Geisler, Norman L., and William E. Nix. *A General Introduction to the Bible: Revised and Expanded*. Chicago: Moody Press, 1986.
- Gregory Nazianzen, St. *Theological Orations*. vol. 7 of *NPNF: Second Series*.
- Hefele, Charles Joseph. *A History of the Christian Councils: To the Close of the Council of Nicaea: A.D. 325*. Edinburgh: T. & T. Clark, 1894.
- _____. *A History of the Councils of the Church: A.D. 326 to A.D. 429*. vol. 2. Edinburgh: T. & T. Clark, 1896.
- _____. *A History of the Councils of the Church: A.D. 431 to A.D. 451*. vol. 3. Edinburgh: T. & T. Clark, 1883.
- Helm, Robert. 'Azazel in Early Jewish Tradition.' *Andrews University Seminary Studies* 32.2 (1994): 218.

- Irenaeus, Saint. *Against Heresies*. vol. 1 of *Ante Nicene Fathers*.
- John Bishop of Nikiu. *The Chronicle*. Translated, by R. H. Charles and D. Litt. Oxford University Press, 1916.
- Karesh, Sara E., and Mitchell M. Hurvitz. *Encyclopedia of Judaism*. New York: Facts on File, 2006.
- Kasser, Rodolphe, Marvin Meyer, and Gregor Wurst. eds. *The Gospel of Judas*. Washington D.C: National Geographic Society, 2006.
- Kidd, B.J. ed. *Documents Illustrative of the History of the Church: 313-461 A.D.* vol. 2. New York: Macmillan, 1932.
- Kingsley, Charles. (1853) *Hypatia: New Foes with an Old Face*. Rpt. New York: Garland Publishing, 1975.
- Laird, Harris R. ed. *Theological Wordbook of the Old Testament*. vol.2. Chicago: Moody Press, 1980.
- McGuckin, John Anthony. *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy: Its History, Theology & Texts*. Leiden: E.J. Brill, 1994.
- Metropolitan Bishoy. *The Real Holy Grail: An Orthodox Response to Dan Brown's Deceptions in Angels and Demons and The Da Vinci Code*. New Hampshire: Orthodox Research Institute, 2007.
- Migne, J. P., *Ελληνική Πατρολογία (Patrologia Graeca)*. vol. 77.

- Mitchell, Margaret M., and Frances M. Young. eds. *The Cambridge History of Christianity*. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.
- Morris, Dr Stanley. *The International Standard Bible Encyclopedia*, 1915, 1st ed. IBT, 1997 in *BibleWorks*7.
- Pro Oriente. *Syriac Dialogue: First Non-Official Consultation on Dialogue Within the Syriac Tradition*. Vienna: Author, 1994.
- Quasten, Johannes. *Patrology*. vol. 3. Westminster, Maryland and Texas: Christian Classics, 1950-1960.
- Roberts, Alexander, and James Donaldson. eds. *Ante-Nicene Fathers*. Massachusetts: Hendrickson Publishers, 1994.
- Schaff, Phillip. *History of the Christian Church*. vol. 3. Michigan: Eerdmans Publishing, 1910.
- Schaff, Phillip, and Henry Wace. eds. *Nicene and Post-Nicene Fathers: Second Series*. Massachusetts: Hendrickson, 1995.
- Skolnik, Fred. ed. *Encyclopedia Judaica*, 2nd ed. Jerusalem: Keter Publishing House, 2007.
- Socrates. *Ecclesiastical History: From A.D. 305-439*. vol. 2 of *NPNF: Second Series*.
- Sozomen. *Ecclesiastical History: From A.D. 325-425*. vol. 2 of *NPNF: Second Series*.
- Stevenson, J. *Creeds, Councils and Controversies: Documents Illustrative of the History of the Church A.D. 337-461*. SPCK: London, 1966.

- Strong, James. *The New Strong's Complete Dictionary of Bible Words*. Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1996.
- Theodoret. *Ecclesiastical History*. vol. 3 of *NPNF: Second Series*.
- Theophilus, Saint. *Theophilus to Autolycus*. vol. 2 of *ANF*.
- Wace, Henry, and William C. Piercy. eds. *A Dictionary of Christian Biography*. Massachusetts: Hendrickson, 1994.
- Weinandy, Thomas G., and Daniel A. Keating. eds. *The Theology of St Cyril of Alexandria: A Critical Appreciation*. London: T&T Clark, 2003.
- Wessel, Susan. *Cyrill of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic*. New York: Oxford University Press, 2004.
- Whitfield, Bryan J. "The Beauty of Reasoning: A Reexamination of Hypatia of Alexandria." *The Mathematics Educator*. Volume 6 Number 1: 14-21.
- Wickham, Lionel R. *Cyril of Alexandria: Select Letters*. Oxford: Oxford at the Clarendon Press, 1983.
- Wigram, George V. *The Englishman's Hebrew and Chaldee Concordance of the Old Testament*. Michigan: Zondervan, 1970.
- Young, Frances. *From Nicaea to Chalcedon*. London: SCM Press, 1983.
- Young, Frances, Lewis Ayres, and Andrew Louth. eds. *The Cambridge History of Early Christian Literature: First Edition*. Cambridge University Press, 2004.

- Young, Robert. *Young's Analytical Concordance to the Bible*. Nashville: Thomas Nelson, 1982.

المراجع العربية

- أدب اللغة الآرامية، الأب ألبير أبونا، دار المشرق، المكتبة الشرقية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
- تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، ج ١، ج ٢، سويريوس يعقوب توما (قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث فيما بعد)، بيروت ١٩٥٣م، ١٩٥٧م.
- تجسد الكلمة، القديس البابا أنطونيوس الرسولي بطريرك الإسكندرية العشرون، نصوص آباءية-٦٢، دكتور جوزيف موريس فلتس (ترجمة وتعليقات)، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، الطبعة الرابعة سبتمبر ٢٠٠٦م.
- تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الإسكندري - المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة نصوص آباءية- الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
- تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندري - نصوص آباءية، الجزء السابع، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، عام ٢٠٠٧م. ترجمة عن كتاب *Commentary on the Gospel According to St. John by St. Cyril Archbishop of Alexandria*, trans. from Greek by Rev. Thomas Randell (Oxford, 1885).
- ثيودورس أسقف المصيصة ومفسر الكتب الإلهية، التراث السرياني ٣، د. بولس الفغالي، دار المشرق، بيروت ١٩٩٣م.
- خبز الحياة، كتاب القديس الإلهي حسب طقس كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية، المطران مار ثاوفيلوس جورج صليبا، جبل لبنان ٢٠٠٢م.

- الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، المجلد الأول، مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، حمص ١٩٤٠م.
- رسائل القديس كيرلس الإسكندري ج ٤، (٥١- إلخ)، الرسائل رقم ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٧٢، ٧٤، ترجمها عن اليونانية د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، مركز دراسات الآباء، مؤسسة القديس أنطونيوس، نصوص الآباء ٣٩، يونيو ١٩٩٧م.
- رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، نصوص آباءية- ٥٦، رسالة رقم ٣٩، د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد (ترجمة)، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآباءية، طبعة ثانية يوليو ٢٠٠١م.
- رسائل القديس كيرلس ج ٣، ترجمها عن اليونانية د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، مؤسسة القديس أنطونيوس، مركز دراسات الآباء ١٩٩٥م.
- عبر في سير، أنثاسيوس أفرام برصوم، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٧.
- الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١م.
- الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
- المجمع المسكوني الأول نيقية (٣٢٥م)، الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- المجمع المسكوني الثالث في أفسس ٤٣١م والصراعات العقائدية في القرنين الرابع والخامس حول شخص وطبيعة السيد المسيح، نيافة الأنبا بيشوي، دير الشهيدة دميانة للراهبات ببراري بلقاس، طبعة أولى ٢٠٠٥م.

- **محاضرة** ألقاها المؤلف في مؤتمر الدراسات الآبائية سنة ١٩٩٣م، في قاعة المؤتمرات بدير الأنبا بيشوي.
- **مخطوط سيرة القديسة دميانة** بديرها بالبراري، مخطوط رقم (٧٢٦٣١) وتاريخ نسخها ١٧٣٢م، ومخطوط رقم (٧٢٥٥٥) وتاريخ نسخها ١٧٨١م.
- **مقتطفات** من ترجمة عربية لمحاضرة للمؤلف أُلقيت في المؤتمر الثاني للدراسات الآبائية بالاشتراك مع جامعات أثينا وتسالونيكي المنعقد تحت رعاية البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث في دير القديس الأنبا بيشوي بوادي النطرون في الفترة من ١٩٩٦/١٢/٢٦ إلى ١٩٩٦/١٢/٢٩م.
- **موسوعة الفراعنة، الأسماء - الأماكن - الموضوعات**، باسكال فيرنوس وجان يويوت، ترجمة د. محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠٠١م.
- **الميلاد، مقال القديس مار ساويرس البطريرك الأنطاكي عن الميلاد**، مليكة حبيب يوسف، ويوسف حبيب، كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج ١٩٦٩م. مترجم من الجزء الثامن من مجموعة
Patrologie Orientales R. Graffin – F. Nau Les Homélies
Cathédrales de Sévère d' Antioche Homélie LX III., Publiée et
traduite par Maurice Brière, Paris
- **نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى**، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مار جرجس اسبورتنج، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.